الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة السابعة — العدد ٧٨ — جمادى الآخرة سنة ١٣٩١ هـ — ٢٣ يوليو «تموز» ١٩٧١ م



بسم الله الرحمن الرحيم

بعون الله وتوفيقه تعلن وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية

عن افتتاح دار القرآن الكريم في العام الدراسي الجديد ١٣٩١ - ١٣٩٢ هـ

يحفظ الطالب فيها القرآن الكريم كله ويجيد ترتيله وأحكامه .

يشترط للالتحاق بها الالمام بالقراءة والكتابة دون التقيد بسن

معينة ويستثنى من ذلك مكفوفو البصر .

وستكون الدراسة صباحية بمقر معهد الامامة والخطابة الواقع بشارع

فلسطين . فعلى الراغبين في الانتساب اليها أن يتقدموا بطلباتهم إلى

إدارة الدعوة والارشاد بالوزارة أثناء الدوام الرسمي اعتباراً من

أول يوليه ١٩٧١ م . وستبدأ الدراسة بمشيئة الله تعالى يوم

السبت ١٢ من شعبان ١٣٩١ هـ الموافق ١٩٧١/١٠/٢ م

والله ولي التوفيق

وكيل الوزارة
عبد الرحمن عبد الله المجم



لوحة تمثل حلقة من حلقات دروس الوعظ فى أحد مساجد الكويت .

للرسام : محمد المؤذن

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P. O. B 13

السنة السابعة

العدد الثامن والسبعون

جمادى الآخرة سنة ١٣٩١ هـ

٢٣ يوليو « تموز » ١٩٧١ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر		دينار وربع
المغرب		درهم وربع
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

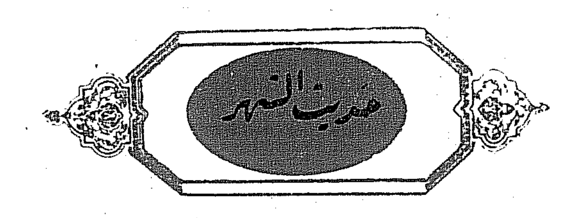
فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(او ما يعادلهما بالاسترلينى)
اما الأفراد فيشتركون راسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ ـ كويت







أصحاب الأخدود

لم تشهد الانسانية فى تاريخها القديم والحديث مآسى ابشع ، ولا اعنف ، ولا أوغل فى الجريمة والوحشية من المآسى التى يدفع اليها ، ويحركها ، ويقودها الاضطهاد الدينى .

والاضطهاد الدينى ليس وليد التدين الصحيح ، ولا الغيرة على عقيدة خالصة مبرأة من الهوى والغرض ، وانما هو وليد التعصب الحاقد الاعمى والغيرة على عقيدة كافرة حمقاء تتستر وراءها أطماع أناس كفروا بالله ، وكذبوا على أتباعهم وأوردوهم موارد الهلكة ، وخاضوا بهم بحارا من الدم الطاهر البرىء .

والقرآن الكريم يقص علينا من أنباء هذا الاضطهاد الدينى الذى وقع فى العصور السابقة على الاسلام قصصا يشيب من هولها الولدان ، ويعرض صورا حية لأبشع ما تعرض له المؤمنون السابقون من تنكيل وتعذيب لغير ما سبب الا أنهم قالوا ربنا الله .

ومن أبرز هذه القصص الدامية قصة أصحاب الأخدود التى ورد ذكرها فى سورة البروج يقول الله تبارك وتعالى :

(قتل أصحاب الاخدود . النار ذات الوقود . اذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود . وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد . الذى له ملك السموات والارض والله على كل شىء شهيد . ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق .

وموضوع القصة كما يقول المفسرون هو أن جماعة من المؤمنين السابقين على الاسلام ابتلوا بأعداء لهم طغاة قساة شريرين أرادوهم على ترك عقيدتهم والارتداد عن دينهم فأبوا وتمنعوا فشق الطغاة لهم شقا فى الارض وأوقدوا فيه النار وجاءوا بالمؤمنين وفيهم النساء والاطفال والشيوخ فكبوهم فى النار على مرأى ومسمع الجموع التى حشدوها تشهد مصرع المؤمنين ولكى يتلهى الطغاة ويثبتوا سلطانهم بمشهد الحريق حريق الآدميين المؤمنين (وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) .

هذا وجه المأساة الدامى ووراء هذا الوجه تكمن حقيقة عليا حقيقة تملأ القلب بالروعة التى يصفها أحد المفسرين بأنها روعة الايمان المستعلى على الفتنة والعقيدة المنتصرة على الجياة والانطلاق المتجرد من أثقال الجسم وجاذبية المادة ، فقد كان فى استطاعة المؤمنين أن ينجوا بحياتهم فى مقابل الهزيمة لايمانهم ولكن كم كانوا يخسرون وهم يقتلون هذا المعنى الكبير معنى زهادة الحياة بلا عقيدة وبشاعتها بلا حرية وانحطاطها حين يسيطر الطغاة على الارواح بعد سيطرتهم على الاجسام انه معنى كريم جدا هذا الذى ربحوه وهم بعد فى الارض ربحوه وهم يجدون مس النار تحرق اجسادهم وينتصر هذا المعنى الكبير معنى الثبات على الايمان والاستمساك بالعقيدة وبعد ذلك لهم عند ربهم حساب ولاعدائهم الطاغين حساب (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق . ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهمجنات تجرى منتحتها الانهار ذلك الفوز الكبير) .

هذه صورة من صور الاضطهاد الدينى الذى أصاب المؤمنين قبل الاسلام كما يصورها القرآن وهى على بشاعتها ليست خاتمة الاحداث ولا أفظعها بل لقد حدث للمؤمنين فى عصر النبوة الخاتمة ما هو أبشع وأفظع .

أجساد المؤمنين مضرجة بدمائهم ممزقة الاشلاء والاوصال ملقاة فى الصحراء بعيدة عن الاعين لا يستدل عليها الا من الطيور الجوارح تحوم حولها وتنقض عليها وترتفع وفى مخالبها يد مؤمنة وساق موحدة وعين طالما بكت من خشية الله .

هؤلاء المؤمنون هم شهداء بئر معونة .

تروى كتب السيرة أنه قدم على رسول الله شيخ من شيوخ بنى عامر ويدعى ابا براء ويلقب بملاعب الاسنة فعرض عليه رسول الله عليه الاسلام فلم يسلم ولم يبعد عن الاسلام . وقال يا محمد لو بعثت رجالا من أصحابك الى أهل نجد فدعوتهم الى أمرك رجوت أن يستجيبوا له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (انى أخشى عليهم أهل نجد) قال أبو براء ــ أنا جار لهم فابعثهم فليدعوا الناس الى أمرك فبعث رسول الله المنذر بن عمرو فى أربعين رجلا من أصحابه من خيار

المسلمين فساروا حتى نزلوا عند (بئر معونة) وهى أرض بين أرض بنى عامر وحرة بنى سليم ، فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله الى شيخ قبيلة بنى عامر بن الطفيل فلما أتاه لم ينظر فى الكتاب وعدا عليه فقتله واستصرخ من حوله الرجال وجمعهم وخرج بهم حتى أحاطوا ببقية الاربعين فقتلوهم ولم يعرف خبرهم الا عمر بن أمية الضمرى فقد ابصر الطير تحوم حول المعسكر فأقبل ينظر ما شأن هذه الطير فاذا القوم فى دمائهم والطير تنهش اجسادهم فلما بلغ الأمر رسول الله حزن أشد الحزن ومكث نحو شهر يدعو على قتلة أصحابه فى بئر معونة وفى الرجيع كلما صلى .

وفى الحرب الصليبية خرجت أوروبا عن بكرة أبيها فى تعبئة لم تشهد القرون الاولى كثافتها واتجهت فى زحفها نحو الشرق الاوسط تستهدف محو الاسلام والقضاء على كتابه وهدم مساجده واستئصال المسلمين وكانت لهم فى بيت المقدس جرائم وحشية فتكوا فيها بالمسلمين فتكا ذريعا وأبادوا عشرات الألوف منهم دون رحمة ولا هوادة .

وفى عصرنا الحاضر ماذا فعلت الصهيونية بالعرب المسلمين فى فلسطين أرض الشهداء فى دير البلح وفى دير ياسين فى كل شبر من الأرض هناك وماذا تفعل الآن بالمسلمين العزل فى السجون ومعسكرات التعذيب ولم حالت بين لجنة حقوق الانسان وبين رؤية هؤلاء المضطهدين المعذبين .

وآخر ما تناقلته وكالات الانباء وما رددته الاذاعات والصحف الاضطهاد الدينى الذى يتعرض له المسلمون فى الفلبين .

قالت صحيفة (مانيلا تايمز) ان رجالا مسلحين ذبحوا سبعين شخصا مسلما فى مقاطعة جنوبية فى كوتاباتو وقالت الصحيفة ان الحادث وقع فى قرية بوالى وأن الضحايا كلهم مسلمون وكانوا ينتظرون فى المسجد عقد مؤتمر للسلام مع المسيحيين حينما داهمت جماعة مسلحة المسجد وبدأت تطلق النار على الرجال والنساء والاطفال الموجودين فى المسجد حتى الموت .

هذا وقد جرح عدد كبير من الموجودين هناك والمعروف ان مئات الضحايا قد لقوا مصرعهم فى الشهور الاخيرة فى مقاطعة كوتاباتو التى تبعد ٨٨٥ كم جنوب عاصمة الفلبين بسبب الهجمات المسيحية المتعصبة والقبائل المتوحشة والتى أعلنت حربا شعواء على المسلمين هناك .

ان هذا الاضطهاد الدينى الذى وقع على المسلمين فى الفلبين ليس وليد اليوم انما هو نتيجة مخطط منظم معاد للاسلام من قديم وقد كشفت صحيفة الاهرام القاهرية هذا المخطط فى تحقيق نشرته أخيرا جاء فيه :
ان الاسلام دخل جزر الفلبين على أيدى تجار الجزيرة العربية وحضرموت والملايو فى القرن الثالث عشر وان أغلبية مسلمة كانت تسكن جزر الفلبين ولما غزا

الاسبان هذه البلاد فى القرن السادس عشر خاض المسلمون حربا ضارية ضدهم دفاعا عن الارض والعقيدة ، وسقطت الجزر المسلمة واحدة واحدة فى أيدى الغزاة وأرغم أهلها على ترك دينهم ومن بقى منهم مسلما غيروا أسماءهم العربية وفى النهاية تركز المسلمون فى جزر الجنوب لكن المسلمين أصبحوا أقلية بعد القرون الاربعة التى عاشتها بلادهم تحت الحكم الاسبانى .

وفى أوائل القرن العشرين أصبحت الفلبين تحت الاحتلال الاميركى ثم استقلت سنة ١٩٤٦ وبعد الاستقلال أخذت المناطق المسلمة تتعرض لغزو جديد ولكن من نوع آخر بدأت عملية تهجير سافرة ومنظمة وكان هدف هذه العملية هو النفاذ الى ذلك المجتمع الذى ظل مغلقا على المسلمين قرونا عديدة واقيمت معسكرات عمل تستقبل العائلات الكاثوليكية المهجرة وكان المهجرون يسعون الى انتزاع الارض من أصحابها المسلمين وهكذا عاما بعد عام فقد المسلمون فى الجنوب آلاف الهكتارات من الاراضى الزراعية وطردوا منها وعاشوا فى أكواخ على شاطىء المحيط ومع عمليات التهجير والتوطين مضت بعثات التبشير الغنية النشيطة فأقامت المستشفيات والمدارس والجمعيات الدينية وشدت المسلمين الفقراء اليها .

وهكذا أجبر المسلمون على التخلى عن أراضيهم وحملوا على ترك دينهم وكان طبيعيا بغد ذلك أن تتناقص أعدادهم ويهتز كيانهم .

لم يعد المسلمون قلة فى الفلبين بل أصبحوا أقلية فى مدن الجنوب ذاتها التى ظلت طوال القرون الماضية بطابعها الاسلامى .

كان كل سكان جزيرة مناوناو من المسلمين وأصبحت نسبتهم الآن لا تتجاوز ٥٠٪ وفى مدينة زامبوا نجا كانت نسبة المسلمين ١٠٠٪ وظلت تتدهور حتى وصلت الى ٣٠٪ لم يبق غير كوتاباتو التى ما زالت تحتفظ بأغلبية مسلمة وقد كانت مسرحا للمذبحة التى جرت أخيرا ويبدو أن أعداء الاسلام لجأوا الى ذبح المسلمين للتخلص منهم .

وما حدث فى فلسطين والفلبين يحدث مثله الآن فى كثير من مناطق افريقيا وآسيا وأوروبا وتوجد أخاديد كثيرة للمسلمين يقوم عليها أعداء الله ورسله وكتبه .

أوليس لهؤلاء المضطهدين من أجل اسلامهم من مجير ذلك ما نرجو أن يكون موضع نظر مؤتمر القمة القادم للملوك والرؤساء والامراء المسلمين .

مدير ادارة الدعوة والارشاد

ضوابا لحبلى

للدكتور على عبد المنعم عبد الحميد
الأستاذ بجامعة الكويت

زهرة الدنيا

عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الارض . قيل : وما بركات الأرض ؟ قال : زهرة الدنيا ، فقال رجل : هل يأتى الخير بالشر ؟ فصمت النبى صلى الله عليه وسلم حتى ظننت أنه ينزل عليه ، ثم جعل يمسح عن جبينه (١) فقال : أين السائل ؟ قال . أنا ، قال أبو سعيد (٢) لقد حمدناه حين طلع لذلك (٣) قال . لا يأتى الخير الا بالخير ، ان هـــذا المال خضرة حلوة ، وان كل ما أنبت الربيع يقتل حبطا أو يلم ، الا أكلة الخضرة ، أكلت حتى اذا امتدت خاصرتاها استقبلت الشمس اجتــرت وثلطت وبالت ، ثم عادت فأكلت ، وان هذا المال حلوة ، من أخذه بحقــه ووضعه فى حقه فنعم المعونة هو ، وان أخذه بغير حقه كان كالذى يأكل ولا يشبع .

رواه البخارى وغيره ...

١ ـــ يحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الحرص على التمكين لقومه فى الأرض ، ليكونوا مناراتها المضيئة ، ومشاعلها عــلى طــريق الخير والسلام ، ولهذا كان حدبا على أتباعه ، مهتما بأمرهم الحاضر ، والمستقبل ، لأنه صلى الله عليه وسلم يعلم أن الفلك لا يتوقف ، وأن الأحوال لا بد أن تتغير ، وبادراكه الناشىء عن نور النبوة يتطلع الى غيب المستقبل فيرى من خلاله دنيا مقبلة على هؤلاء العرب الذين ارتضوا الاسلام دينا ووقفوا جهودهم على الذود

عن حياضه ، ويعملون دائبين على نشره ، وتوسيع رقعته ، فهم قد ذاقوا لذة الايمان بالله وبرسوله ، التى أنتجت منهم بطولات فى مختلف ميادين الوجـود الانسانى ، ولهذا لا يرتضون لأنفسهم الاستئثار بالفضل ، ولا يضنون به على غيرهم ، ومن أجل ذلك فهم سيطرقون أبواب الدنيا يطلبون مفاتيح الأرض ليبسطوا عليها سلطان الهداية والنور ، وسيتبع ذلك الثراء المادى الذى سيبدل الأحوال ويشيع أجواء لا عهد لهم بها ، ويتطلب حكمة وحسن تأت للأمور ، وهم فى وضعهم على عهد سيدى رسول الله اخـوة لم يفرقهم مال ، ولم يميز بعضهم عن بعض جاه ، فالمسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ، وكل ما يصل اليهم من الفتوح ينالونه كما يشاء الله ورسوله فلا اعتراض ، ولا تنافس فأكبر همهم الدار الآخرة ومفتاحها طاعة الله ورسوله ، ودرجاتهـا تدرك برضا الله ورسوله ، وسيدى رسول الله كان مدركا أن التنافس فى الدنيا مهلكة ، وأن مدار التنافس المسىء سيبدأ من انفتاح خيرات الأرض على مجتمع المسلمين ، ففى الحديث الشريف يقول سيدى رسول الله ((.. وانى والله ما أخاف عليكم ان تشركوا بعدى ، ولكنى أخاف عليكم أن تتنافسوا فيها (أى الدنيا))) ..

ويؤيد هذا قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر .

« فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتلهيكم كما ألهتهم » .

وفى رواية ((فتهلككم كما أهلكتهم)) وذلك أن المال مرغوب فيه وترتاح اليه النفس وتمعن فى طلبه وتتفانى فى الحصول عليه وتسلك كـل الطرق للوصول اليه ، وأحيانا تمنع منه فتقع العداوة ، والعداوة مقتضية للقتـال أحيانا ، والقتال يفضى الى الهلاك لا محالة .

٢ ــ ولما كانت تعاليم الاسلام مهداة الى البشرية جمعاء لا تتقيد بعصر أو بمصر ، كان سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى الى أصحابه من الحكمة ما يعنى به أحوال المستقبل وما سيصير فيه ، ولم يزهد أبدا فى جمع المال من حله ، فاليد العليا خير من اليد السفلى ، والمؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ، والمعطى أفضل من الآخذ ، والمال حلوة خضرة وهو زهرة الدنيا وبه زينتها ، وهو سلاح ذو حدين ان أحسن استعماله نما بره وربا خيره وعمر الديـار . وأشاع فيها العلم والمعرفـة ، وأعلى مكانة الأمة ، فيهـابها أعداؤها ، ويوقرها أندادها فبالمال والعلم يبنى الملك السعيد ، وما سعدت أمة أبدا بجهل واقلال ،

أما اذا أسىء استعمال المال وعدل به عن موضعه الحق فحينئـذ يصبح وبالا على صاحبه ، وينعكس وباله على الأمة فيودى بها ، والعجيب فى أمر كثير من الأمم التى مضت مع الزمان وصارت تاريخا من التاريخ أضعفهـا الترف وأودى بها الثراء حين أفقدها توازنها ولم ترزق رجالا يحسنون توجيه المـال ويدركون قوته وخطورته ، فنمت فيها الميوعة ، والخور ، وعشش فى دورها الهوان والتفاهة فاستنام الناس الى ما فى أيديهم ، ولما زاد عن حده بحثوا له عن مصرف ايقظته تخمة البطن وقلة الاجهاد ، وقوته الراحة ، وعززته الشهوات ؛ فترنحت الرءوس ، ولانت الجذوع ، وماتت الاطراف ، وصارت الدولـة أثرا بعدعين .

والحديث الشريف يشير الى الطريقة التى يجب أن يسلكها المال لينتفع به

وللعلماء السابقين فى تبيين أسراره أقوال منها أنهم قالوا : فى هــذا الحديث وجوه من التشبيهات بديع .

(**أولها**) تشبيه المال ونموه بالنبات وظهوره ، **وثانيها** تشبيه المنهمــك فى الاكتساب والأسباب بالبهائم المنهمكة فى الأعشاب **وثالثها** تشبيه الاستكثار منه والادخار بالشره فى الأكل والامتلاء منه ، **ورابعها** تشبيه الخارج من المال مــع عظمته فى النفوس حتى أدى الى المبالغة فى البخل به بما تطرحه البهيمــة من السلح **وخامسها** تشبيه المتقاعد عن جمعه وضمــه بالشاة اذا استراحت وحطت جانبيها مستقبلة عين الشمس **وسادسها** تشبيه موت الجامع المانــع بموت البهيمة الغافلة عن دفع ما يضرها ، **وسابعها** تشبيه المال بالصاحب الذى لا يؤمن أن ينقلب عدوا فان المال من شأنه أن يحرز ويشد وثاقه حياله وذلــك يقتضى منعه من مستحقه فيكون سببا لعقاب مقتنيه **وثامنها** تشبيه آخذه بغير حق بالذى يأكل ولا يشبع .

وفى المال يقول الامام الغزالى ((اعلم أن المال مثل حية فيها سم وترياق ففوائده ترياقه ، وغوائله سمومه فمن عرف غوائله وفوائده أمكنه أن يحترز من شره ويستدر من خيره)) .

٣ ــ وعرج على شرح هذا الحديث الشريف العلامة ابن منظور صاحب ((لسان العرب)) وبسط القول فيه بسطا يقرب فهمه للدارس المتفحص فأحببت أن أنقل قوله دون زيادة عليه لتعم الفائدة كل مطلع عليه من طلاب العلم ورواد السنة الشريفة ــ دون عناء الرجوع الى بطون الموسوعات وما يستلزمه ذلك من مشقة ودأب (٤) ..

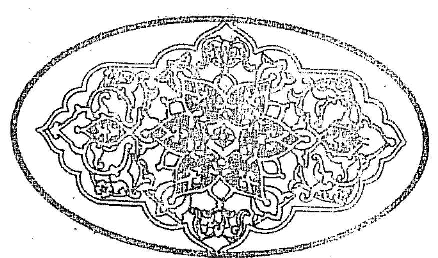
قال ابن منظور : ...

وفيه مثلان : ضرب أحدهما للمفرط فى جمع الدنيا مع منع ما جمع من حقه ، والمثل الآخر ضربه للمقتصد فى جمع المال وبذله فى حقه ، فأما قوله صلى الله عليه وسلم : « وان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا » (كما ورد فى روايته) فهو مثل الحريص والمفرط فى الجمع والمنع وذلك أن الربيــع ينبت أحرار العشــب التى تحلولبها الماشية فتستكثر منها حتى تنتفخ بطونها وتهلك ، وكذلك الذى يجمع الدنيا ويحرص عليها ويشح على ما جمع حتى يمنع ذا الحق حقه منها يهلك فى الآخرة بدخول النار واستيجاب العذاب ، وأما مثل المقتصد المحمود فقوله صلى الله عليه وسلم .. الا آكلة الخضرة ، فانها أكلت حتى اذا امتلأت خواصرها اســتقبلت عين الشمس فثلطت وبالت ثم رتعت ، وذلك أن الخضر ليس من أحرار البقول التى تستكثر منها الماشية فتهلكه أكلا ، ولكنه من الجنبة التى ترعاها بعد هيج العشب ويبسه ، وأكثر ما رأيت العرب يجعلون الخضر ما كان أخضر من الحلى الذى لم يصفر والماشية ترتع منه شيئا فشيئا ولا تستكثر منه فلا تحبط بطونها عنه ، فالخضر من كلأ الصيف فى القيظ وليس من أحرار بقول الربيع ، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم آكلة الخضرة مثلا لمن يقتصد فى أخذ الدنيا وجمعها ولا يسرف فى الحرص عليها ، وأنه ينجو من وبالها كما نجت آكلة الخضر ، ألا تراه قال : فانها اذا أصابت من الخضر استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت ؟ واذا ثلطت فقد ذهب حبطها ، والحبط أن تأكل الماشية فتكثر حتى تنتفخ لذلك بطونها ولا يخرج منها ما فيها (٥) ..

والخــلاصة :

ان المال عصب الحياة وثقافها ، ووسيلة كل خير فيها ، بل هو خير مقوماتها كما سماه القرآن الكريم فى قوله تعالى « ان ترك خيرا .. » الآية اذ به يتوصل الى كل مبتغى ، وينال كل مطلب اذا ملكته رجال تقدره قدره وتعرف كيف تقلبه وتدرك مصادره وموارده ولهذا دأبت القيادات الواعية على تلمس مواطنه وكثيرا ما ثار قتال من أجله ، به بسطت دول سلطانها وأرست قواعد حضارتها وتقدمت غيرها ، ونالت كل مبتغاها ، والاسلام متمثلا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أهمل قط شأنه ولا حط من قيمته ، والقرآن الكريم جعله فى مواضع من آياته نعمة ومنة من الله على عباده ((ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا)) وحث على حفظ حق الورثة فى مال مورثهم مبعدا له عن السرف ولو فى انفاقه فى حلال ((لأن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس)) ..

وفى المقابل ذم رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر فيما أخرجه أبو مسلم الليثى فى سننه ، والبيهقى فى شعب الايمان من حديث أنس رضى الله عنه حيث قال عليه الصلاة والسلام ((كاد الفقر أن يكون كفرا)) وقد عقد المتقدمون فصولا طويلة فى بيان فضله وجليل آثاره وخطير سلطانه ، ولهذا فسيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى وضعه فى مواضعه ، وادراك جهات استغلاله لخيرى الدنيا والآخرة حتى يكون نافعا فى العاجلة والآجلة ، وأوضحت السنة الشريفة فى أحاديث كثيرة كيف يجمع وكيف ينفق ، وفى السنة أسرار خير الدنيا والآخرة وما لو ترسمه المسلمون فى حياتهم العملية والواقعية لكانوا فى القمة ، ولبلغوا ما يتشوفون اليه مما وصلت منتهاه أمم أخرى ولعل قوارع الايام توقظهم وتفتح قلوبهم على مضامين القرآن والسنة وتسديده ، والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، ولنا — ان طال المقام — الى هذا الحديث عودة والله المستعان وحده .



---

(١) أبو سعيد : هو راوى الحديث .

(٢) يمسح عن جبينه : أى العرق كما ورد فى رواية أخرى .

(٣) حمدوا السائل : لانهم لاموه أولا حين رأوا سكوت النبى صلى الله عليه وسلم فظنوا أنه قد أغضبه ثم حمدوه أخيرا حين رأوا أن مسألته كانت سببا فى الشرح الذى استفادوا منه ما يرمى اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٤) فى الحديث ما يحتاج الى مواقف وتأملات خصوصا لمن أراد استكناه أسرار السنة الشريفة وساعرج على كل ذلك بالتفصيل فى مقال تال بعون الله تعالى وتوفيقه .

(٥) لسان العرب ج ١ ص ٥٥٣



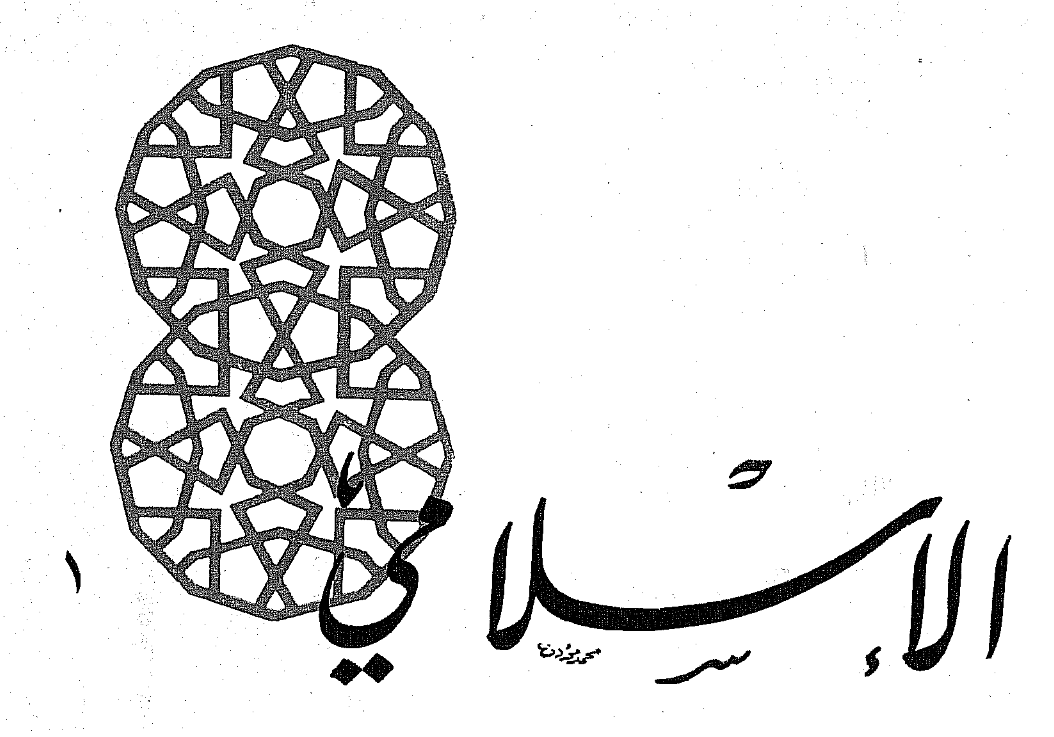
يختلف الفكر التشريعى ، ويتعدد باختلاف الشرائع وتعـددها بحسب ما وضعت لتحقيقه من أغراض وأهداف مختلفة ، اذ كان ذلـك سببا فى اختـلاف أسسها وتعارضها والتباعد بين قواعدها وطرائق تطبيقها ، وتبع ذلك اختـلاف أحكامها وتعارضها فى كثير من مسائلها وفروعها ، ومن أجل ذلك لكل شريعـة اتجاه خاص فى تأسيسها ووضع قواعدها ، وتأصيل أصولهـا وسن أحكامهـا وتفريع مسائلها .

ولقد ظهر فى المجتمع فى هذا العصر نظامان هما :

١ ـــ النظام الفردى .

٢ ـــ والنظام الاشتراكى .

وكان أساس النظام الفردى مصلحة الفرد ، أو المنفعة الخاصة ومن ثـم اتجهت تشريعاته الى التمكين للمصلحة الفردية ، وتقديسها وجعلها الأصل الأول الذى يراعى فى شرائعه وأحكامه التى اتخذها طريقا الى حماية الحرية الفردية ، وعدم المساس بالملكية الخاصة ، محتفظا بتنظيمها للسلطة التشريعية بالتصرف فيها للسلطة القضائية ، وكان أساس قيام المجتمع فيه ونظامه المحافظـة على الحرية الفردية ، وغير ذلك من الأصول ذات النزعة الفردية التى رفعها أصحاب هذا المذهب الى مرتبة المقدسات والأسس التى لا تمس ، ولذا كان للفرد فى هذا النظام أن يفعل ما يشاء فى حدود القانون ، بحيث لا يضر بغيره ضررا يمنعه من



للشيخ : علي الخفيف

حقه ، وبذلك كان حرا فى ارادته حرا فى عقيدته حرا فى تملكه ، وكان الفكر التشريعى لهذا النظام متمثلا فى حرية الفرد ، واطلاق تصرفه ، والاتجاه الى تحقيق مصالحه الخاصة ، ومنفعته الذاتية أولا فى حدود ما يوضع من نظام ، وعلى هذا الأساس سنت شرائعه ووجه نشاطه .

أما النظام الاشتراكى أو الجماعى فان أساسه قام على النظر الى المجتمع ورعاية مصالحه رعاية تجعلها محل النظر والاعتبار ، والوصول به الى أعلى ما يتمنى أن يصل اليه من الرقى ، واليسر ، والرخاء ، بحيث لا يكون فيه محل لأسباب الانحطاط والضعف من الفقر والمرض والجهل ، ونحوها ، وبحيث تتلاشى أمام مصالحه مصالح الأفراد وارداتهم ، ويكون نشاطهم كله موجها الى مصالحه دون نظر الى مصالحهم ، فلا أعتبار لها أمامه الا بقدر ما يجعلهم أقوياء قادرين على القيام بما تتطلبه منهم مصالح المجتمع من جهد وسعى ، وبذلك تتضاءل المصالح الفردية فى هذا النظام ، وتضمحل أمام مصالح المجتمع وأهدافه التى أرادها له أصحاب هذا النظام وواضعوه .

ومن أجل هذا لم يكن الحق فى النظام الاشتراكى مصلحة لصاحبها يحميها

القانون كما يراه أصحاب النظام الفردى ، وانما يعد فيه مكنة أو صلاحية يقوم بها الفرد فى مجال العمل والمساهمة فى تحقيق مصالح المجتمع التى يستهدفها ، ولم يكن للفصل بين السلطات الثلاث : الشرعية والقضائية والتنفيذية فيه محل ولا داعية ، اذ المفروض فيه تضافر جميع الأفراد على اختلاف أعمالهم وما نيط بهم فى الوصول الى ما يتطلبه المجتمع من مصالح ، وعلى هذا تسن شرائعه وترتب أنظيمه ، وكان الفكر التشريعى فيه يتمثل فى النظر الى كل الأمور والأفعال باعتبارها وسائل لتحقيق متطلبات هذا النظام ، وتوجيه النشاط فيه سواء كان فرديا أو جماعيا هذه الوجهة حتى لا يكون الفرد فيه الا جزءا من كل ، يتحرك بحركته وينغمر فى غماره ويسير فى تياره وذلك ما يولد تضامنا اجتماعيا عاما بين جميع أفراده حاكمين أم محكومين للوصول الى غاية اجتماعية منشودة من الجميع خلافا للنظام الفردى ، اذ لا يتغيا أفراده جميعا غاية واحدة مشتركة ، وانما يتغيا كل فرد فيه مصلحته الخاصة ، وبذلك تتعارض المنافع الخاصة والمصالح الذاتية على صورة توجد الصراع بين الطبقات وتؤدى الى وجود الأحزاب وتعارضها ، ومن هنا يختلف الفكر التشريعى فى النظام الفردى عن الفكر التشريعى فى النظام الجماعى ، وهكذا يختلف الفكر التشريعى ويتعدد باختلاف الشرائع وتعددها ، واختلافها فى الغاية والهدف .

واذا كان لكل شريعة فكر تشريعى خاص يلائمها ، ويتفق مع أهدافها ، فان للشريعة الاسلامية كذلك فكرا تشريعيا خاصا يلائمها ويوجهها الى تحقيق أهدافها السامية .

وذلك يتضح فيما يلى :

فى بيان الفكر التشريعى الاسلامى :

يتمثل الفكر التشريعى الاسلامى فيما أرساه الاسلام من قواعد ، وما أقامه من أسس وما أصله من أصول ، وما اتجه اليه من اتجاهات فى سبيل ايجاد مجتمع سليم ، ذى نظام متكامل مترابط فى قواعده وعناصره ونظمه ، محكم فى بنائه ، قوى فى لبناته وشدة تماسكها ، مرتبط أشد الارتباط وأحكمه بأصول الدين الحنيف ومثله العليا وفضائله السامية ، مؤمن بالجزاء على أعماله ليسعد أفراده وتطيب حياتهم وتزكو نفوسهم وتطهر قلوبهم ، وعلى هذا الأساس أقام شريعته التى نزل بها كتابه الحكيم ، وبينها للناس رسوله الأمين ، فكانت واضحة الأهداف ، بينة المعالم ، متسقة فى أحكامها وأغراضها ، تجمع بينها روح عامة ، وفكرة شاملة ، كانت بمثابة النظام الذى به ترابطت ، والاطار الذى فيه تضامنت واجتمعت ، وكان انطواؤها تحت هذا النظام دليل شرعيتها وصحتها ، وخروجها عنه أمارة بطلانها ، فالحكم حكم الله ما انطوى تحته وظل فى دائرته ، وباطل ما تعدى حدوده وتجاوز اطاره .

وانك لترى هذه الروح واضحة فيما شرع الله فى كتابه من الأحكام ، وفيما جاء به رسوله من شرع وبيان ، وفيما وضع وسن لتطبيق ذلك من طرق ميسرة ، جانبت المشقة ، وجانبت الحرج والعنت على ما لذلك من صور وأوضاع نتيجة لتعدد الأحداث وتنوعها ، واختلافها فى أسبابها وظروفها ، كما تراها كذلك بينة فيما لهذه الشريعة من اجتهادات ، وما تضمنته من أنظار ، وما روعى فيها من موازنات ومقايسات ومفارقات ، مما ساعد على تحديد الأغراض وظهور العلل والأسباب .

ولقد كان كل هذا فى عهد الرسول صلوات الله عليه ملحوظا فى قوله وفى فعله وفى اقراره وفى اجتهاده ثم اتخذه أصحابه ومن جاء بعدهم فيما بعد وفاته أساسا أقاموا عليه اجتهادهم وبنوا عليه أحكامهم بقدر ما أخذوا عن رسولهم ، وما أمكنتهم قدراتهم ، وأسعفتهم أنظارهم على اختلافهم فى فهمهم وتقديرهم ، فازداد بذلك الفكر التشريعى الاسلامى وضوحا وتكشفت معالمه ، وتبينت طرقه ومناحيه ، وذلك بما كان لهم من دقة فى المتابعة ، واحكام فى الاتساء برسول الله صلى الله عليه وسلم فى اجتهاده ، ومقايساته واستنباط الأحكام واستلهام ما قصد اليه الشارع الحكيم من جلب مصلحة ، أو درء مفسدة مما يتمثل فى القصد الى حفظ ضروريات الحياة وحاجاتها وكمالياتها ، وما يستتبعه ذلك من كل ما يزول به الضيق ويرتفع به الحرج ويكمل به العمران ، وتزكو به النفوس ، وتطهر القلوب ، وهذا هو ما يهدف اليه الفكر الاسلامى التشريعى بما يصوره ويمثله من أصول وقواعد وأنظار أسست عليها أحكام الشريعة الاسلامية التطبيقية العملية ، سواء فى النفوس ، أو الأموال ، أو الأعمال ، أو العقود ، أو المعاملات ، وكذلك بما قرره من مبادىء وطرق فى تطبيقها روعيت فيه ظروف التطبيق وملابساته وأحوال الناس حتى تكون مرنة سهلة ، ولقد وضعت تلك القواعد وفق مقتضياتها ، مستهدفة غاياتها ، وكان الفكر الاسلامى التشريعى لذلك متمثلا فى أمرين :

أحدهما : أحكام الشريعة الاسلامية واتجاهاتها الموضوعية .

وثانيهما : أحكامها المتعلقة بطريقة التنفيذ والتطبيق ، وكان النظر فى الامرين من وسائل تعرفه وتحديده ، والوقوف عليه ، وذلك بعد استقراء أحكامها ، والكشف عن عللها وأسباب اختلافها ، وجميعها أنظار عديدة تنوعت بحسب تنوع ما تعلقت به ، وليس من اليسير حصرها وضبطها ، ولئن أمكن ذلك باللجوء الى الضوابط والاكتفاء بالاجمال عن التفصيل ، فان التعرض لها أيضا على هذا الوضع يتطلب من البيان ما لا يتسع له الوقت ولا ينفسح له مجال البحث ، وقد يكون فى الاشارة الى بيان مصادرها التى منها استنبطت ومنها انبثقت الطريقة المثلى ، والوسيلة الممكنة الميسرة الى التعرف عليها بالصورة المرضية فى بحث كهذا تعرفا كافيا للاحاطة بمعناها وبمالها من أغراض وأهداف ، وما يجب أن يلاحظ فيها من قيود ، وأن يراعى فيها من استثناء تستوجبه الضرورات ، أو تتطلبه الحاجيات تبعا لتعدد البيئات واختلافها وتطورها ، واختلاف الأعراف وتغيرها ، ويلى ذلك بيان ببعض تلك الانظار فيما تقوم به الحياة ويؤسس عليه العمران والنظام ، وترتد اليه كثير من الاتجاهات النظرية والتطبيقية الأخرى مما ينبنى عليها ويتفرع منها حتى يكون فى ذكرها بعض الغناء عن ذكر سائرها .

مصادر التعريف بالفكر الاسلامى التشريعى :

تعرف الفكر التشريعى الاسلامى والكشف عن أهدافه واتجاهه وأصوله يكون بالنظر فى نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية ، وفيما انتهى اليه النظر فيهما على اختلاف اربابه فى تنازعهم وقدراتهم ، وأحاطتهم بما دلت عليه النصوص من القرآن والسنة .

وأما ما أجمع عليه من الأحكام أو ما استمد منها من العرف فانه لا يعدو أن تكون أحكاما قد أجمع عليها ، لدليل دل عليها من كتاب أو سنة أو نظر كان محل اتفاق من المجتهدين ثم أغفل الدليل وتنوسى ، وعندئذ ينتظمها البيان المتعلق بما

دلت عليه النصوص من الاحكام ، أو المتعلق بما كا ناساسه النظر من الأحكام — وإما أن تكون أحكاما استند فيها الى العرف وعندئذ ينتظمها ما ستشير اليه مما يتعلق بما دلت عليه المصلحة من أحكام ، لأن العرف لم يجربها بصفة عامة الا لاستحسان الناس لما رأوه فيها من مصلحة ، فان استقراء ما جاءت به تلك المصادر من الأحكام والقواعد والمبادىء والحكم والأسباب والعلل والموازنة بينها ، وما بينها من مفارقات ومشابهات ، وما ترتب على ذلك من اختلاف فى الأحكام يكشف عن الاتجاه التشريعى الاسلامى فى الاحكام الشرعية على العموم ، ويستبين به النظر التشريعى الذى جعل أساسا لشرع تلك الاحكام ، وأسباب تخصيص العام من أدلتها ، وتقييد المطلق منها وارادة الاطلاق فيما يجىء على صورة المقيد والعموم فيما جاء على صورة الخاص ، وارادة الاستثناء حيث لا يكون فى النص استثناء لفظى ، وهكذا مما هو مبين فى مواضعه من كتب الفقه وأصوله ، ولا شك أن فى ملاحظة ذلك جميعه الوسيلة الكفيلة ببيان الفكر التشريعى الاسلامى بيانا كاملا تتضح به أهداف الأحكام وأغراضها على اختلافها .

فأما النصوص على العموم فان اتخاذها سبيلا الى الوقوف على هذا الفكر يتطلب النظر فيما جاءت به من أحكام بطريق النص عليها أو بطريق الاشارة والدلالة عليها بأى طريق من طرق الدلالة المعتبرة التى تحدث عنها علماء أصول الفقه ، وهى دلالة الاشارة ، ودلالة النص التى يسميها بعض العلماء بمفهوم المخالفة ، أو دلالة الاقتضاء ، وفيما عللت به تلك الأحكام من علل أشارت اليها هذه النصوص ، ولو جاء ذلك على وجه الايماء والتنبيه فان الناظر فى كتاب الله تعالى لا يجد صنيعه فى بيانها سردا مجردا عن بيان حكمها وعللها ، بل يرى أن قد عنى كثيرا ببيان العلل والحكم فى كثير منها عناية أشعرت بأن كل حكم جاء به انما كان لمصلحة أريد تحقيقها وذلك بما يرى فى تعلله من احاطة وشمول على ما يلاحظ فيه من تغيير وتنويع ، وتفصيل واجمال ، فتارة يذكر الحكم مرتبا على وصف يفهمه السامع أن هذا الحكم يدور معه أينما وجد . وأخرى يذكر الحكم ومعه سببه مقرونا بحرف العلة ، وآونة يذكر الحكم ومعه أثره المترتب عليه . وهكذا مما يخرجنا بيانه وتفصيله عما نحن بصدده .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله » . وقوله : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم » . وقوله تعالى : — بعد ذكر ما حدث من قتل أحد ابنى آدم أخاه — « من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل .. الآية » وقوله بعد بيانه لقسمة الفىء : « كيلا يكون دولة بين الأغنياء » . وقوله فى بيان علة تحريم الخمر والميسر : « انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء .. » الآية .

وعلى الجملة فان الناظر فى كتاب الله تعالى المستقرىء لأحكامه وما جاء به من قواعد كلية يرى أن الله سبحانه وتعالى لم يشرع أحكامه الا لتكون وسيلة الى جلب الخير للناس ودفع الضر عنهم ، وأنه سبحانه قد بين ما فى المنهى عنه من المفاسد حثا للناس على اجتنابها ، وما فى المأمور به من المصالح ترغيبا لهم فى الاقبال عليها وفى اتيانها ، وأن لدلالة كتاب الله على ذلك من القوة والظهور ما لدلالة آياته الصريحة المحكمة بسبب ما اجمعت عليه واتفقت فيه من دلالة ، كشفت عن أن قصد الشارع من شرعه حفظ الضروريات الخمس : الدين ، والنفس ، والعقل ، والنسل ، والمال ، وهى جماع مصالح الناس فى حياتهم الأولى والآخرة ، وكذلك كان مسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيانه

القرآن ، وفيما بلغه من الأحكام فان المتتبع لأحاديث الأحكام يجد أن الرسول صلوات الله عليه كثيرا ما يذكر الحكم مبينا حكمة شرعه وموضحا ما يترتب عليه من مصالح دنيوية وأخروية ، وأنه عند النظر والتدبر يرى أنه لم يأمر بشىء ، ولم ينه عن شىء الا لداعية دعت الى ذلك الأمر أو النهى ، ويلاحظ أن تنوع الحاجة واختلاف البيئات والناس كثيرا ما دعت الى اختلاف الحكم فى الحوادث المتماثلة تبعا لاختلاف الأثر بسبب اختلافهم ، ولذا فقد يظن أن فعلا ما ينبغى الاتيان به ، لأنه خير فى بادىء الأمر ، وينهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يرى من أن خيره يعارضه شرفيه أعظم منه ، وأن المصلحة فيه تصاحبها مفسدة تفوقها فهذا عبد الله بن عمرو بالغ فى عبادته ، فصام نهاره وقام ليله ظنا منه أن فى ذلك رضا مولاه ، فيشكوه أهله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا يرضى ذلك رسول الله ، ويقول : انك اذا فعلت ذلك هجعت عينك ، ونقهت نفسك ، وان لنفسك عليك حقا ، ولأهلك حقا ، فصم وأفطر وقم ونم . ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل وقد شكاه الى الرسول بعض أصحابه لطول صلاته : أفتان أنت يا معاذ ؟ من صلى بالناس فليخفف ، فان فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة . ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبى وقاص حين عاده وقد استشاره فى التصدق بثلثى ماله : الثلث ، والثلث كثير ، انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس .

وينص الكتاب العزيز على جواز الوصية فيقول بعد بيانه لسهام الورثة فى سورة النساء : « من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار » ويكرر ذلك المعنى فيها فيأتى حكم الكتاب فى الوصية مطلقا ، ويقيده رسول الله بقوله : ان الله قد اعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث . وبقوله : لا وصية بأكثر من الثلث الا أن تجيز الورثة . ثم يكون لبعض المجتهدين اجتهاد فى هذا التقييد .

وينهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجمع بين المرأة وعمتها ، أو بين المرأة وخالتها فيقول : أنكم ان فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم . وينهى كذلك عن أن يخطب الرجل على خطبة أخيه أو أن يبيع على بيع أخيه ويأذن النبى صلى الله عليه وسلم لقوم نضبت أزوادهم وأملقوا ، فى نحر ابلهم ، ويبلغ ذلك عمر فيقول لهم : ما بقاؤكم بعد ابلكم ، ويدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا له : ما بقاء هؤلاء القوم بعد ابلهم فيقول صلى الله عليه وسلم : ناد فى الناس فليأتون بفضل أزوادهم ويبسط لذلك نطعا جعلوا أزوادهم عليه ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا وبرك عليه ثم دعاهم بأدعيتهم ، فاحتسى الناس منه حتى فرغوا .

وخلاصة القول أن السنة مليئة بالأحكام المعللة ، وأن منها ما دل على أن بعض أحكامها تدور مع المصلحة التى لأجلها شرعت ، وذلك ما يبين أيضا لمن تتبع ما كان يجيب به رسول الله صلى الله عليه وسلم سائله ، وأنه كان يخالف فى اجابته لاختلاف ظروف السائل ، فقد سأله شيخ مسن عن قبلة الصائم فلم ير أن بها بأسا ، وسأله شاب عنها فنهاه عن ذلك حتى لا تكون ذريعة الى ما بعدها وكان صلى الله عليه وسلم يسأل فى حين فينتظر الوحى ، وفى حين آخر يجيب من غير انتظار ، وقد ينزل القرآن ببيان خطئه فى اجتهاده هذا ومعاتبته مع ذكر السبب كما فى معاتبته فى قبول الفداء من أسرى بدر ، وفى اذنه بالتخلف لبعض المتخلفين فى غزوة تبوك ، وهكذا يتضح لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فوض اليه الحكم فى كثير من الأمور وخاصة ما يتعلق بالمعاملات المالية ،

والأمور الادارية وذلك حسبما يراه من المصلحة ، وكان رأيه فيها سنة مشروعة واجبة الاتباع .

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن نعرض لما جاءت به نصوص القرآن والسنة من قواعد ومبادىء كانت ببيان الفكر التشريعى الاسلامى أعلق وألصق ، ومن ذلك ما جاء فى الكتاب العزيز من مثل قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم » وقوله تعالى : « فان طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا » . وقوله تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » وقوله تعالى : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » وقوله تعالى : « وأن ليس للانسان الا ما سعى » ، وقوله : « ولا تكسب كل نفس الا عليها » وقوله : « لينفق ذو سعة من سعته » . وقوله : « لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها » وقوله : « لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » وقوله : « انما تجزون ما كنتم تعملون » وقوله : « وليوفوا نذورهم » وهذا الى ما شرعه فى كتابه من تخفيف فيما كلف الناس به اذا ما لحقتهم مشقة واضطرار ، كما فى قوله تعالى : « الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان » وقوله : « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا أثم عليه » وقوله : « الا ما اضطررتم اليه » وقوله : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » .

ومن ذلك ما جاءت به السنة من قوله صلى الله عليه وسلم : لا ضرر ولا ضرار . وقوله : انما الاعمال بالنيات ، وقوله : انما البيع عن تراض ، وقوله : المسلمون عند شروطهم الا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا ، وقوله : لا ضمان على مؤتمن ، وقوله : العجماء جرحها جبار ، وقوله : لا يحل مال امرىء مسلم الا بطيب نفس منه ، وقوله : أنت ومالك لابيك ، ونهيه عن بيع الغرر ، وغير ذلك كثير ، وكل ذلك يبين كما ذكرنا هدف الاسلام من شريعته ، وأن الاتجاه التشريعى فى جميع أحكامها تصوره وتمثله أنظار أسست عليها شريعته قصدا الى تحقيق هذا الهدف .

وأما النظر فقد كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجع بعض الأحكام فقد اجتهد عليه السلام ، وصدرت عنه فتاوى فى بعض الأقضية والوقائع تقوم على الرأى والنظر ولأن أقوال الرسول وأفعاله وتقريراته جزء من التشريع ، كان اجتهاده عليه السلام واجب الاتباع ، فاذا قرر حكما أو رأى رأيا وأقره الله عليه كان سنة شرعية من سننه يجب الحفاظ عليها والعمل بها .

ومن الأحكام التى أجتهد فيها الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يقره الله عليها ورده الى الصواب فيها قبوله الفداء من أسرى بدر ، واذنه بالتخلف لمن اعتذر عن غزوة تبوك ، وفى اعراضه عن عبد الله بن أم مكتوم ، حين جاءه فى أمر من أمور الدين ، وهو مشغول مع الرؤساء من قريش يدعوهم الى الاسلام ، فان الرسول فى مثل هذه الأحكام كان يستجيب لمصلحة قدرها ورآها ، ولكن الله سبحانه وتعالى بين له أنه قد ترك فى مراعاة تلك المصلحة مصلحة أخرى هى أعظم منها وكانت أولى بالمراعاة ، فعاتبه من أجل ذلك وغفر له .

على أن اجتهاد الرسول صلوات الله عليه لم يقتصر على أمور الدين ، فقد تجاوزه الى الأمور الدنيوية كالرأى الذى كان منه فى تأبير النخل ، اذ نهى عنه لأنه لم ير فيه نفعا ، فلما فسد الثمر أعرض عن ذلك قائلا : أنتم أعلم بشئون دنياكم وكما فى غزوة بدر حين نزل بجيشه منزلا رآه حسنا ، ولم ير ذلك الحباب بن المنذر

فأشار عليه بمنزل آخر بين له فائدة النزول عليه ، فانتقل الرسول عن المنزل الذى نزله الى ما أشار به الحباب لما رآه من المصلحة فى ذلك .

وهناك وقائع غير هذه اجتهد فيها الرسول ، وكلها تدل على أنه عليه السلام لم يكن ليفعل الا ما يرى فيه المصلحة .

وكما اجتهد الرسول صلى الله عليه وسلم فقضى فى بعض ما عرض عليه ، اجتهد أصحابه فى حضرته بأمره ، كما فى اجتهاد سعد بن معاذ حين حكمه الرسول فى بنى قريظة ، وفى غيبته باذنه كما يدل على ذلك حديث معاذ بن جبل حين أرسله الرسول قاضيا فى اليمن ، وسأله بم يقضى به ، فقال : أقضى بكتاب الله ، فان لم أجد فبسنة رسول الله ، فان لم أجد أجتهد رأيى ولا الو ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذى وفق رسل رسول الله الى ما يرضى الله ورسوله .

وقد يكون اجتهاد أصحابه بغير اذن منه كما فى حادثة غزوة الخندق ، اذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه الا يصلين أحد العصر الا فى بنى قريظة فقد اجتهد بعضهم فرأى أن المراد بذلك الاسراع لا تأخير صلاة العصر ، ورأى آخرون حظر صلاة العصر الا هناك فلم يصلها الا بعد العشاء الأخير ، ولم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أحد منهم ما رأى ، ولم يكن النظر فى ذلك العهد سواء أكان من الرسول صلوات الله عليه وسلم أم من أصحابه الا بحثا عن حكم الله فيما هو معروض ، وذلك بالبحث عن المصلحة أين تكون ، لما استقر فى نفوسهم ، وعرفوه من فهم كتاب الله ، وما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحكام فى أحداث حدثت جاءت محققة للمصلحة فيها .

وعلى هذا كان اجتهاد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن جاء بعدهم حيث لا يجدون فى المسألة كتابا ولا سنة اذ كانوا يلجئون الى النظر مسترشدين بما حفظوا من كتاب الله ، وبما وعوه من أحكام أثرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما عرض عليه من أقضية ، وما سئل عنه من مسائل ناهجين منهجه ، مستنين سنته ، مستعينين بما مرنوا عليه من استنباط أقرهم عليه ودرية اكتسبوها من مراجعة بعضهم بعضا فيما حدث لهم من الاحداث أو نزل بهم من الوقائع، ولم يكن ذلك متوافرا فى كل فرد منهم ، بل اختص به قلة اصطفاهم الله بما أعطاهم من نفاذ نظر ، وسلامة تقدير ، ووزن وحسن ادراك ، ودقة ملاحظة ، مما هيأ لهم ما صاروا اليه من الأهلية والقدوة والأسوة والمتابعة فيما يكشفون عنه من أحكام فى المسائل التى عرضت لهم ، والوقائع التى استجدت فيهم ، ولم يكن لهم سبيل الى تعرفها الا البحث عن المصلحة التى راعاها الشارع فى أحكامه أين تكون : لأنها دليل حكم الله فيها ، وكان بحثهم يقوم تارة على الحاق الشبيه بشبيهه ، وتارة على تطبيق قاعدة عامة استنبطوها من أحكام الشريعة العديدة التى قامت عليها ، واستندت اليها ، وتارة يقوم على مراعاة العرف ومتابعته حيث لا نص يعارضه ، لأن جريان العرف عندئذ دليل ارادته وقصده لما فيه من مصلحة قامت لسد حاجة ، وتارة يقوم على المصلحة المعتبرة من الشارع دون مقايسة أو تطبيق لقاعدة أو مراعاة لعرف ، بانين نظرهم على اطمئنان النفس بوجودها حيث انتهى نظرهم ، وليس أدل على ذلك من قول عمر لأبى بكر رضى الله عنهما حين أبى ابتداء أن يستجيب الى ما أشار به عليه ودعاه اليه من جمع

القرآن ، استنادا منه الى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعلــه ، وأنه كيف يفعل أمرا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قال له : « هو والله خير» ،ولاشك أن عمر رضى الله عنه كان يعنى بالخير ما فيه صلاح الاسلام والأمة فهو قد احتج بالمصلحة ، ورأى أبو بكر أنها حجة سليمة ، فأقر عمر على وجهة نظره ، واقتنع بها ، واستجاب الى ما دعاه اليه . وطلب من زيد بن ثابت رضى الله عنه أن يقوم بذلك فأبى عليه ذلك أولا حتى اذا قال له أبو بكر تلك العبارة التى قالها عمر اقتنع زيد واستجاب .

ومن ذلك ما كان عليه الناس فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسـلم وحقبة بعد وفاته حيث كانت الأمانة عامة فى الناس شاملة من استئمان الصناع وعدم تضمينهم عند ادعائهم هلاك ما أعطى لهم من أموال لتكون محلا لصنعتهم ، ولكن حيث كثرت دعاوى الهلاك ، ووقع كثير من الناس فى الحرج بسبب ذلك رأى كثير من الصحابة تضمين الصناع حفظا لمصالح الناس ، وفى هذا أثر عن على رضى الله عنه أنه قال : « لا يصلح الناس الا ذلك » فتركوا ما كان عليه زمـن الرسول ، وزمن أبى بكر ، وألزموا الصناع بضمان ما تحت أيديهم .

ومن ذلك أيضا ما فعله عثمان رضى الله عنه من زيادة أذان ثـان يـوم الجمعة حين كثر الناس على عهده ، ورأى أن الأذان الأول غير كاف لاعلامهم .

ومنه أيضا عدم اقامة عمر رضى الله عنــه حد السرقــة فى غلمة لحاطب سرقوا ناقة لرجل من مزينة فانتحروها وأكلوها ، وذلك حين ظهر له أن حاطبا قد أجاع هؤلاء الغلمة ، وغرم سيدهم جزاء ذلك ضعف قيمة الناقة التى سرقوها .

وكذلك عدم اقامة حد السرقة والشرب فى الغزو والسفر ، وفى السرقة من بيت المال ، وفى سرقة الخادم متاع سيده ، وذلك فى عهد عمر ، ففى كنز العمال ما أخرجه عبد الرازق وابن أبى شيبة عن القاسم أن رجلا سرق من بيت المال فلما كتب فى ذلك الى عمر ، كتب لا يقطع فان له حقا فيه ، وروى عن مالك فى الموطأ أن عبد الله بن عمرو المخزومى جاء بغلام الى عمر ، فقال له : اقطع يد غلامى فانه سرق ، فقال له عمر : ماذا سرق ؟ قال: سرق مرآة لامرأتى ، ثمنهـا ستـون درهما ، فقال عمر : أرسله فليس عليه قطع ، خادمكم سرق متاعكم ، والأمثلة من هذا النوع عديدة ، وهى تدل على أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم — وقد كانوا شديدى الحرص على متابعة رسول الله والاقتداء به — قد سلكوا سبيله فى تعليل الأحكام ، وبيان المصلحة التى لأجلها شرعتوإناطة الأحكام بها وانزالها بمرعاة ذلك على ما يجد من الاحداث طلبا للمصلحة فيها ، وتعرف الحكم فيمـــا سيجد من الحوادث مما لم يؤثر فيه حكم عن رسول الله ، ولم يكن له شبيه سبق الحكم فيه ، وذلك بالبحث عن المصلحة وتعرفها أين تكون ، فاذا عرفوها حكموا بما يحققها ، بل كانوا فيما تدعو اليه الحاجة يعمدون الى الحكم المنصوص فيديرونه بدوران علته ، وذلك بما كان لهم من علم ومعرفة ، ليوسعوا دائرته ، بـل وليجعلوها مناطا له يدور معها وجودا وعدما ، معتقدين أنهم بذلك عند حكم الله لم يخالفوا عنه .

والحوادث من هذا النوع كثيرة ، والكلام فيها يطول ، وحصرها متعــذر ، ولكن النتيجة التى ننتهى اليها من ذكرها والنظر فيها هى أن الله سبحانه وتعالى لم يشرع حكما الا لمصلحة الناس وهى نتيجة قطعية دل عليها الاستقراء ، وأيدتها النصوص ، ولذا كانت أساس التشريع وهدفه ، وكانت دليلا على الحكم اذا أعوز النص ، بل كانت عند وجوده السبيل الى فهمه وتفسيره وتعيين المراد منه بمـــا

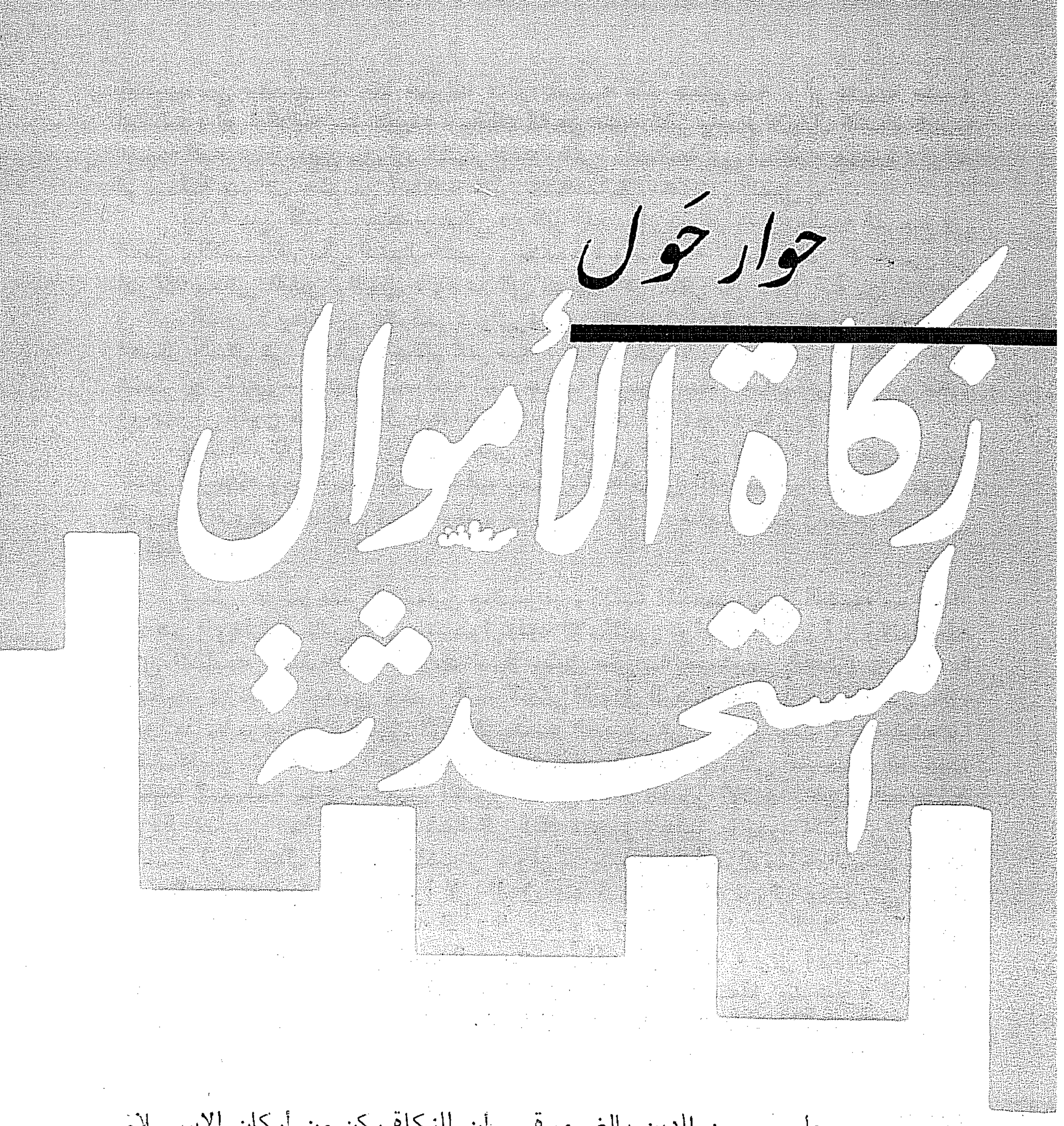
تقتضيه من تخصيصه عند عمومه ، أو تعميمه عند خصوصه ، أو تقييده عند اطلاقه ، أو اطلاقه عند تقييده ، وذلك لما هو ثابت على وضع لا يقبل الشك كما أشرنا اليه فيما سبق من أن الشارع قد راعى المصلحة فى أحكامه جميعا ، وأنه لم يهملها فى أى حكم من أحكامه حتى كانت دليلا عند عدم النص .

واذا كان الله سبحانه وتعالى قد آثر العقل فى كتابه وجعله المرجع فى النظر والاستدلال على أصول الدين وعقائده ، وجعل له السلطان الأعلى فى ادراك معانى الخير والحق ، ودعا الى تحكيمه فى أكثر من ٣٠٠ آية من كتابه ، وعاب الذين لا يحكمون عقولهم ، وأزرى بهم ازراء شديدا ، لم يكن من الجائز اهمال العقل فى مجال الأحكام الفرعية ، اذا ما دل على تخصيص أو تقييد ، أو عموم أو اطلاق ، تحقيقا للمصلحة التى جعلها الشارع مناط أحكامه وأصل شرعه ، ووجب أن يكون دليل العقل بيانا للنص والارشاد الى تعرف ما يراد منه .

وقد أشرنا فيما سبق الى بعض ما ورد فى ذلك من أمثلة ، وقد كان هذا الذى شرحناه وبيناه مسلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تفهمهم للشريعة ، وفى قضائهم فيما عرض عليهم من نزاع وفتاوى فيما رفع اليهم من استفتاء ..

وعلى هديهم سار التابعون وتابعوهم والائمة المجتهدون من الفقهاء ممن جاء بعدهم ، وعلى أساس ذلك وضعوا للفقه الاسلامى قواعده الكلية ، وضوابطه التى انتظمت أحكامه ، واعتبرت أصلا يطبق على ما يحدث من أحداث يشملها فأعطيت ما تدل عليه من حكم ، لأنه الحكم المحقق للمصلحة فيها ، وكان من هذه القواعد ما يرجع الى تطبيق الأحكام بقصد التيسير فى تطبيقها ، وتخفيف ما تتضمنه من مشقة وشدة فى بعض حالات تدعو الحاجة فيها الى التيسير والتخفيف تحقيقا للمصلحة مثل : يتحمل الضرر الادنى دفعا للضرر الأشد ، تنزل الحاجة منزلة الضرورة اذا دعت المصلحة الى ذلك فيجوز لأجلها ما يجوز للضرورة ، وان الاضطرار لا يبطل حق غير المضطر ، وان ما يمتنع عادة ينزل منزلة الممتنع حقيقة فلا يطلب ، ووجوب الصيرورة الى البدل عند امتناع أصله ، وأنه يغتفر فى البقاء ما لا يغتفر فى الابتداء ، وأنه اذا زال المانع عاد الممنوع ، وأن الكلام يحمل على حقيقته متى أمكنت ، وأن السؤال معاد فى الجواب عليه ، وأن المشقة تجلب التيسير ، وغير ذلك من القواعد ، كما كان منها قواعد تتعلق بموضوع الحكم لا بتنفيذه مثل الأمور بمقاصدها ومعانيها لا بألفاظها ومبانيها ، واليقين لا يزول بالشك ، والضرورات تبيح المحظورات ، والضرورة تقدر بقدرها ، وما حرم أخذه حرم اعطاؤه ، وما حرم فعله حرم طلبه ، والعادة محكمة والمعروف كالمشروط ، واذا بطل الشيء بطل ما فى ضمنه ، والتصرف بالولاية منوط بالمصلحة ، والولاية الخاصة مقدمة على الولاية العامة ، والجواز الشرعى ينافى التضمين ، والغنم بالغرم ، وغير ذلك ، وكلا النوعين مستنبط من استقراء الأحكام وملاحظة أهدافها فكان تأصيلها استمرارا وامتدادا وتأصيلا لأهداف الفكر التشريعى الاسلامى وأغراضه ، وهو النفع الانسانى العام الذى هو عماد الدين والدنيا ، ولذا كان من الضرورى أن يكون قصد الانسان وارادته واختياره فى مجال النشاط والعمل متفقا مع قصد الشارع ، اذ أنه حين يقوم بذلك يجب أن يلاحظ أنه انما يقوم به بحكم خلافته فى الأرض عن خالقها فى اقامة المصالح بحسب طاقته ، وبقدر وسعه تحقيقا لمقاصد شريعته ، فوجب ألا يحيد عن حدوده وشريعته ، ولا يقصد خلاف ما قصد من اقامة الحق والعدل .

للحديث صلة



معلوم — من الدين بالضرورة — أن الزكاة ركن من أركان الاسلام الخمسة ، ومن المسلم به أن الله عز وجل انما فرض الزكاة على الأغنياء وأصحاب الأموال المختلفة من زرع وضرع ، وصناعة وتجارة ، لحكمة بالغة واضحة ، وهى تحقيق التضامن الاجتماعى ، والتعاون الأخوى بين المسلمين فى المجتمع الواحد : « ان هذه أمتكم أمة واحدة »(١) فتؤخذ الزكاة من أغنيائهم وترد على فقرائهم ، فلا يكون بينهم سائل ولا محروم .

والزكاة — على هذا الاعتبار ركن متين من أركان المجتمع الاسلامى ، وأساس أصيل من أسسه الاقتصادية ، بدونه لا يستقيم حال هذا المجتمع الانسانى ، ولا يستقر عيشه ، ولا تهدأ خواطر أفراده ، ولا يمثلون أمة

للأستاذ : أحمد محمد جمال

واحدة — كما وصفهم القرآن — كالبنيان المرصوص يشد بعضهم بعضا — كما نعتهم الحديث النبوى .

وليس مثل الحرمان فى جانب ، والترف فى جانب آخر : عامل هدام لبنيان المجتمع الانسانى ، مفرق لشمله ، مورث للحسد والبغضاء وحرب الطبقات بين أعضائه وأبنائه .

هذه مقدمة موجزة عن حكمة تشريع الاسلام للزكاة ، وعن الأثر السيىء لتعطيلها والاحتيال للاعفاء منها .

وحوارنا — هنا — يدور بصفة خاصة حول زكاة الاموال المستحدثة ، ويدور بصفة أخص حول « العقار » من بين هذه الأموال .

ان أصحاب هذه الأموال المستحدثة النامية الرابحة لم يعدموا فقيها أو عالما أو مفتيا جريئا يقول لهم . ان الشركات والمؤسسات الفردية ، التجارية والصناعية والزراعية لا تجب الزكاة فيها الا بمقدار ٥ر٢٪ من صافى الأرباح ، وهى فعلا لا تؤدى زكاة أعمالها التجارية الا بهذا المقدار .

كما لا يعدم المشتغلون بانشاء العقار وشرائه ، وبيعه وتأجيره — من يفتيهم بأن الزكاة لا تجب عليهم فى أرباحهم الطائلة من أثمان عقاراتهم وأجورها .. قياسا على اعفاء الفقهاء القدامى دور السكن وآلة الحداد والنجار ، ودابة الركوب من الزكاة !! أو يفتيهم بأن الزكاة انما تجب عليهم بعد أن يحول الحول على الأجور والأثمان بعد قبضها !

وهذا — فى رأيى — تجاهل ، ولا أقول : جهل ، لأصول تقدير الزكاة وعلة تشريعها ، والكيفية الصحيحة لأخراجها . فالشركات التجارية ذات الأسهم المحدودة ، أو العامة تمثل مقادير أسهمها أو سنداتها « عروض تجارة » وعروض التجارة — كما هو معلوم — تجب الزكاة فيها بمقدار ٥ر٢٪ من قيمة كامل الأسهم — أى مجموع رأس المال — مع الارباح .

وليس فى صافى الأرباح وحده كما أفتى المفتون وقال العلماء العصريون !

ولا شك عندى أن هذا التجاهل لعلة وجوب الزكاة ،وحكمة تشريعها وأصول تقديرها وكيفية اخراجها .— سواء أكان هذا التجاهل من المفتى أم

من المفتى لهم — الى جانب كونه مخالفة صريحة لتعاليم الدين ، وهدما لأحد أركانه .. فهو كذلك :

حرمان لمستحقى الزكاة المقررة شرعا لهم ، وهو بالتالى : اخلال بميزان المجتمع الاقتصادى الذى هو — أى الميزان — يحقق التضامن الاجتماعى بين المسلمين .

وكذلك ملاك العقارات الضخمة الفخمة التى تدر أجورا ، بل كنوزا سنوية من الأجور ، الذين لا يؤدون زكاة عن حصيلة عقاراتهم ظانين أنها لا تجب فيها الزكاة مطلقا ، أو أنها تجب فيها بعد حولان الحول ، ولكنهم يتهربون من تمام الحول بمسارعتهم عند قبضها الى شراء عقار جديد ، أو انشاء لعمارات تجارية جديدة — هؤلاء مثل أولئك مانعون للزكاة الواجبة مطففون فيها ، أو محتالون لامساكها بشتى الحيل .

ان من الواضح الجلى .. الذى لا يخفى على المسلم العامى فضلا عن العالم بأمور دينه ، الخبير بشؤون الاقتصاد والعمل التجارى وصوره العديدة ، ومجالاته المختلفة — ان اقامة الدور والقصور بقصد الكسب ، وتنمية الثروة ، وتحريك رأس المال .. هى تجارة صريحة أصيلة لا شبهة فيها ولا غبار عليها .

شمول الزكاة لكافة الأموال النامية

ومما لا ريب فيه — وهو واقع مشهور وملموس — : ان أموالا نامية جديدة قد استحدثها الناس فى عصرنا الحاضر : و (النماء) أو (التنمية) فى قيام هذه الأموال المستحدثة ، وحركتها بالتجارة بيعا أو كراء : هى علة وجوب الزكاة فيها ، اذ أن الاساس التشريعى فى ايجاب الزكاة فى الاموال عامة . هو عمل أصحابها فى تنميتها بالاتجار فيها ، على مختلف أنواع الاستثمار ، وشتى مجالات الاستغلال .

فاذا توفرت (العلة) صح (الايجاب) ولو لم تعرف هذه الانواع الجديدة من التجارات الحديثة أو الاموال النامية المستحدثة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو زمن الصحابة ، أو حتى عهود الأئمة الاربعة الذين تدور معظم العبادات والمعاملات — فى العالم الاسلامى — على مذاهبهم المعروفة .

فالرسول عليه الصلاة والسلام انما نص على زكاة الأموال الموجودة فعلا فى زمنه : كالابل والبقر والغنم من الحيوانات ، وكالقمح والشعير والتمر والزبيب من الزروع والثمار ، وكالدراهم الفضية من النقود . ومع ذلك لم يتقيد فقهاء التشريع الاسلامى بالنص النبوى فيما تجب فيه الزكاة ، وانما قاسوا على تلك الاموال التى نص عليها الحديث النبوى أموالا أخرى .. رعاية لعلة الايجاب ، وتحقيقا لحكمة الزكاة .

فأما (العلة) فهى كما أسلفنا : « النماء » فى هذه الأموال المستحدثة وأما الحكمة فهى أخذ زكاتها من الأغنياء وردها على الفقراء — كما هو توجيه التشريع الاسلامى للزكاة فى حديث معاذ رضى الله عنه حين بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم الى اليمن .

ولو تقيدنا بالنص النبوى — مع أن الفقهاء الأقدمين لم يتقيدوا به كما سيرد فيما بعد — فى منع الزكاة عن هذه الاموال المستحدثة النامية ،

المتعددة والمتنوعة ، والتى هى أكثر جولانا ودورانا فى العمل التجارى ، وأعظم أرباحا من الأموال القديمة المعروفة — لو فعلنا ذلك لعطلنا حكمة الزكاة ، وهى العطف على الفقراء ، واللطف بالمساكين والمحتاجين ، ولحرمناهم من حقوقهم فى أموال الأغنياء ولجعلنا هذه الأموال الكثيرة الوفيرة المتزايدة يوما بعد يوم : « دولة بين الاغنياء » وهو ما حذرنا منه القرآن (٢) .

أما أن الفقهاء الأقدمين لم يتقيدوا بالنص النبوى ، فيتضح ذلك من ايجابهم للزكاة فى الأموال التالية التى لم يرد ذكرها فى النص النبوى :

(١) **الذهب** .. قياسا على الفضة الواردة فى النص النبوى ، لأنهما نقد الناس الذى يكتنزونه ، ويجيزونه أثمانا على ما يتبايعون به قبل الاسلام وبعده — كما أشار الى ذلك الامام الشافعى فى رسالته — وقد ذكر القاضى الفقيه أبو بكر بن العربى — فى شرح الترمذى — : انما جاء النص النبوى على زكاة الفضة لأن تجارة عهده انما كانت فيها ، فوقع التنصيص على المعظم ليدل على الباقى — وهذا « الباقى » الذى يذكره ابن العربى ينسحب عليه حكم زكاة الفضة سواء أكان ذهبا أم عملة ورقية ، وهى التى يجرى بها التعامل فى عصرنا الحاضر .

(٢) عروض التجارة .. لم يرد بها نص صحيح صريح بوجوب الزكاة فيها ، ومع هذا نقل الاجماع عليها ، ولم يخالف الا الظاهرية الذين يطالبون بالنص فى كل صغير وكبير ، وقد شنع عليهم ابن العربى فى ذلك .

قلت : ان النص القرآنى موجود : « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم » فعروض التجارة مما يدخل فيه .

(٣) **الخيل** .. أوجب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الزكاة فيها عندما تبين له أن فيها ما يقوم بمال عظيم ، وتبعه فى ذلك الامام أبو حنيفة ما دامت سائمة واتخذت للنماء والاتجار .

(٤) **العسل** .. أوجب الامام أحمد فيه الزكاة لما ورد فيه من الأثر ، وقياسا على الزرع والثمر .

(٥) **المعادن** .. كذلك أوجب الامام احمد فيها الزكاة قياسا على الذهب والفضة ، ولعموم الآية القرآنية . « ومما أخرجنا لكم من الأرض » فالمعادن تخرج من الارض كالزروع والثمار ، ومثلها البترول وكل مشتقاته وقد أصبحت جميعها تجارات ناجحة رابحة .

(٦) **ما يستخرج من البحر** .. من لؤلؤ ومرجان وعنبر وغيرها .

أوجب الزهرى والحسن وأبو يوسف فيها الزكاة (الخمس) قياسا على الركاز والمعادن .

هذا وقد أجاز بعض الفقهاء العصريين (٣) اخراج النقود زكاة للفطر دون الزام بالتمر أو الحنطة أو الشعير — كما هو النص النبوى — لما لوحظ من أنهم يأخذون هذه الأصناف ثم يبيعونها بأبخس الأثمان على تجارها ، نظرا لشدة حاجتهم الى النقود ليشتروا بها كساء لهم ولأولادهم فى عيد الفطر .

وكما أوجب معظم الفقهاء القدامى الزكاة فى أموال مستحدثة كثيرة لم يذكرها النص النبوى ، فانا نجد — كما يقول العلامة الاستاذ المودودى فى كتابه عن « الربا » — ان الخلفاء الراشدين وأمراء المؤمنين بعدهم قد فرضوا الجزية على المجوس وعبدة الأصنام ، مع أن القرآن الكريم انما نص على

أخذ الجزية من أهل الكتاب ، ولكنهم داروا مع العلة والحكمة فى تشريعها وأخذوا بالقياس .

وقد أورد الاستاذ محمود أبو السعود — فى كتابه ((خطوط رئيسية فى الاقتصاد الاسلامى)) رأى الامام الشافعى فى شمول الزكاة لغيـــر الأصناف السبعة وهى : ((النقدان ، والبر ، والشعير ، والتمر والابل ، والغنم ، والبقر ، والمعدن ، والركاز)) وقال الاستاذ أبو الســعود : ان الامام الشافعى أدخل أربعين سلعة مدخل المزكيات السبع ، لأنـــه رأى انتشارها وشيوع استعمالها وحاجة الناس اليها .

قلت : ان الله عز وجل قد أوجب ((الزكاة)) وترك بابها مفتوحـــا ، فعلينا أن نتقصى حكمتها ، وأن نتفهم علتها ، وأن نقيم لأنفسنا نظاما يتفق مع أحكامها وأهدافها ، ويساير مقتضيات مصالحنا المرسلة ، فليس من المعقول أن نفرض الزكاة على التمر والشعير ، ونعفى ((القطن)) مثلا — وقد أصبح ثروة تجارية مربحة ، أو نعفى ((العقار)) كما هو رأى بعض الفقهاء القدامى والمحدثين — من الزكاة مع أنه معد للتجارة والاستغـــلال بيعا وكراء ، وقد اتجه اليه معظم أصحاب — رؤوس الاموال لاستثمـــار أموالهم فى بنائه واقتنائه ، وبيعه وشرائه ، وفى تعميره وتأجيره ، وأصبح يدر على ملاكه مئات الألوف أو عشرات الملايين من الريالات كل حول .

واذن فلا لزوم للتقيد بالنص النبوى فى الأصناف التى أوجب فيهـــا الزكاة ، ولا فى الأصناف التى عينها لزكاة الفطر ، وانما اللازم عقـــــلا والثابت نقلا : أن ندير العلة مع معلولها ، وأن نحقق الحكمة التشريعيـــة والثابت نقلا : أن ندير العلة مع معلولها، وأن نحققالحكمة التشريعية للزكاة وهى الموضحة فى حديث معاذ :« تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم » .

والآن نصل الى صلب القضية ، وصميم الموضوع ، وهو قـــــول القائلين بمنع الزكاة عن « العمارات » الاستغلالية و « المصانع » التجارية ذات الآلات الضخمة المنتجة انتاجا عظيما مربحا ، وعن مؤسسات الطيران والبواخر والسيارات وأمثالها — قياسا على اعفاء قدامى الفقهـــاء دور السكن ، وآلة الحداد والنجار وشفرة الحلاق ، ودابة الركوب من الزكاة !!

ان هذا القياس الأعوج الأعرج من مانعى الزكاة — هؤلاء — فى هذه الاموال المستحدثة النامية : انما هو خطأ واضح ، واحتيال فاضح والا فأين الدار الخاصة بسكن صاحبها من العمارات الضخمة ذات الطبقات العديدة التى يربح مالكوها من أجورها كل حول مئات الألوف بل عشرات الملاييـــن من الريالات ؟

وأين من دابة الرجل ، التى تحمله أو تحمل متاعه ، وهو يقـــــوم بعلفها ورعايتها — من مؤسسات الطيران والبواخر والسيارات المعـــدة للتجارة والربح من طريق التأجير ، والتى تدر فعلا أرباحا طائلةحوليا على أصحابها سواء أكانوا أفرادا أم شركات أم مؤسسات حكومية ؟

وأين كير الحداد ، ومنشار النجار ، وشفرة الحلاق وأضرابهم من المحترفين بأيديهم وأبدانهم — من الآلات الصناعية الكبيـــرة التى تـــــدار بالكهرباء وتنتج ملايين الأطنان من السلع التجارية طعاما كانت أو كساء أو مواد وحاجات معيشية أو عمرانية أو اقتصادية أخرى ؟

ومع ذلك فان الفقهاء القدامى قد عللوا اعفاء تلك الآلات البســـيطة التى يستخدمها المحترفون الافراد — بأنها مشغولة بالحاجة الأصليـــة ، وليست نامية .. أى أن علة الزكاة فيها مفقودة .

آراء الفقهاء القدامى
فى زكاة ما أعد للكراء

فى (بدائع الفوائد) للامام ابن القيم رأى للفقيه الحنبلى ابن عقيل : بأن فى العقار المعد للكراء زكاة ، وفى كل سلعة تعد للايجار زكاة قياسا على رأى الامام أحمد بن حنبل فى ايجابه زكاة الحلى المعد للكراء — يقول ابن عقيل : « ثبت من أصلنا ان الحلى لا تجب فيه الزكاة ، فاذا اعد لكراء وجبت فاذا ثبت أن الاعداد للكراء أنشأ الزكاة من شىء لا تجب فيه الزكاة ، كان الاعداد للكراء فى جميع العروض التى لا تجب فيها الزكاة ينشىء ايجاب الزكاة . يوضح ذلك : أن الذهب والفضة عينان تجب الزكاة بجنسهما وعينهما ، ثم ان الصياغة والاعداد للباس والزينة والانتفاع غلب على اسقاط الزكاة فى عينه ، ثم جاء الاعداد للكراء ، فغلب على الاستعمال وأنشأ ايجاب الزكاة ، فصار أقوى مما قوى على اسقاط الزكاة ، فأولى أن يوجب الزكاة فى العقار والأوانى والحيوان — التى لا زكاة فيها » .

وهكذا يوجب ابن عقيل — بالقياس طردا وعكسا ، الزكاة فى العقار والآلات والحيوان ، اذا أعدت للتجارة والربح ، وبهذا تنهار حجة القائسين لهذه الأموال النامية على آلة الحداد والنجار والحلاق ، وعلى المنزل الخاص بسكن الرجل ودابته الخاصة بركوبه ، التى أعطاها الفقهاء القدامى من الزكاة ، لكونها ليست نامية أخذا بالحديث . « لا زكاة على الرجل فى فرسه وعبده » لأنهما مشغولان بخدمته ، وانتفاعه الشخصى ، لا يتاجر بهما فى بيع ولا تأجير .

ومذهب الامام أحمد فى اسقاط الزكاة عن الذهب والفضة اذا صيغتا حليا للاستعمال الخاص ، ثم ايجابها اذا أعد الحلى للايجار — صحيح وسليم وحكيم لاستناده على الأصل الأصيل فى وجوب الزكاة وهو أن الزكاة لا تجب فى مال غير نام أو مشغول بحاجة صاحبه ، انما الزكاة فى الأموال النامية التى تدر على صاحبها ربحا وكسبا .

وكذلك ترى (الهادوية) من الشيعة الزيدية . ايجاب الزكاة فى المستغل من كل شىء ، ولأجل الاستغلال ، استنادا الى الآية القرآنية : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » كما جاء فى البحر الزخار .

آراء فى كيفية تزكية العقار

وهناك آراء مختلفات فى كيفية تزكية العقار لبعض الفقهاء القدامى والمحدثين نوجزها فيما يأتى :

(١) روى عن الامام أحمد رحمه الله أنه قال : « من أجر داره فقبض كراءها وبلغ نصابا وجبت عليه الزكاة اذا استفاده من غير انتظار حول » (٤) .

(٢) يرى العلامة الاستاذ محمد أبو زهرة — من الفقهاء العصريين — : أن يزكى العقار فور قبض أجوره دون انتظار حول ، وهو فى هذا يذهب مذهب الامام احمد بن حنبل ، ويحدد نسبة الزكاة بـ ٥ ٪ أى نصف العشر وهذا نص كلامه (٥) : من المقرر أن غلات العقارات المعدة للاستغلال تجب فيها الزكاة كما تجب فى الارض الزراعية ، وعلى ذلك نقول ان كل ما يحصل

من غلات العمارات المعدة للسكنى أو نحوها تجب فيها الزكاة،واذا انقطعت الغلات أمدا انقطعت الزكاة فى ذلك الأمد . وتتبع الزكاة الأدوار التى تحصل بها غلات تلك العقارات وما يشبهها ، فاذا كانت الغلات تؤخذ كل شهر وجبت الزكاة كل شهر ، وان كانت تحصل كل عام وجبت كل عام .

ويؤخذ نصف عشره — وكذلك أدوات الصناعة تجب فيها الزكاة ، وتكون من قبيل الاموال الثابتة ، فتجب الزكاة فى ثمراتها ، وقد قدرناها بنصف العشر أسوة بما قرره النبى صلى الله عليه وسلم فى الزرع .

(٣) أما العقار المعد للبيع والشراء ، فيري بعض العلماء أن يعامل معاملة عروض التجارة ، أى تجب الزكاة فى رأس المال والربح معا بنسبة ٥ر٢٪ (ربع العشر) وذلك أن مالكه يعده للبيع يبنى الدور والعمارات الكبيرة ، ويعرضها للتجارة بيعا لاكراء ، وكلما باع دارا بنى أو اشترى غيرها بقصد التكسب وأعدها للبيع ، وهكذا دواليك .

قلت توضيحا لما سبق — : ان فتوى العلامة أبى زهرة — فى نظرى — هى الصواب بالنسبة للعمارات المعدة للاجارة ، فانها تعامل معاملة الارض المزروعة ، فى دوراتها الزراعية ، أى كلما أنتجت تعطى زكاتها يوم حصادها ، فكذلك العقار المعد للايجار كلما أخذت أجرته شهريا أو سنويا أعطيت زكاته بالمقدار المذكور من فورها دون انتظار لحولان الحول — ذلك بأن الملاك لا يحتفظون بالنقود لديهم ، بل انهم يسارعون الى بناء عمارات أخرى أو شرائها بقصد التكسب من تأجيرها .

وهكذا كلما قبضوا أجورا أنفقوها فى بناء أو شراء جديدين ، ويجدون فى ذلك مندوحة للهرب من الزكاة ، وبالتالى يفتقد الفقراء والمساكين والمحتاجون حقوقهم المشروعة فى أموال الأغنياء .

وبعد فانا نعود فنؤكد ما ذكرناه — فى صدر هذا البحث — من أن « الزكاة » ، ركن متين من أركان المجتمع الاسلامى ، وأساس أصيل من أسسه الاقتصادية ، وقد أثنى على تشريعها فى الاسلام حتى الذين لا يؤمنون به ، ممن درسوا ديانته وحضارته ، وبحثوا فى تأريخه وتشريعه أمثال « توماس كارليل » الذى قال — فى كتابه « الأبطال » الذى دافع فيه عن نبى الاسلام عليه الصلاة والسلام رسالة وخلقا وجهادا — : « فى الاسلام خلة أراها من أشرف الخلال ، وهى التسوية بين الناس ، فالناس فى الاسلام سواء — والاسلام لا يكتفى بجعل الصدقة سنة محبوبة ، بل يجعلها فرضا حتما على كل مسلم ، وقاعدة من قواعد الاسلام ، ثم يقدرها بالنسبة لثروة الرجل فتكون جزءا من أربعين من الثروة ، تعطى للفقراء والمساكين والمنكوبين — جميل والله كل هذا ، وما هو الا صوت الانسانية صوت الرحمة والاخاء والمساواة .

---

(١) ٩٢ من سورة الانبياء .

(٢) ٧/ من سورة الحشر .

(٣) من هؤلاء الفقيه السورى مصطفى الزرقا ، والفقيه المصرى محمد أبو زهرة .

(٤) نقلناه عن بحث فى زكاة الاموال المستفادة للأستاذ يوسف القرضاوى نشرته مجلة حضارة الاسلام الدمشقية .

(٥) عن حضارة الاسلام أيضا .

فلينظر الإنسان مم خلق

٤

وأثر هذه النظرة في تثبيت العقيدة وتقويم الخلق

للدكتور : محمد سلام مدكور

مراحل التخلق :

بينا فى المقالات السابقة الصلة الوثيقة بين الانسان والأرض ، وتنوع الآيات التى أشارت الى خلق الانسان ، وقدرة الله على خلق الانسان على غير نظام التطوير المألوف ، كما تكلمنا عن حقيقة النطفة ورحلتها الى القرار المكين ومدة هذه الرحلة ، والتوفيق بين ما جاء بالحديث وما أثبته الطب الحديث ، وأشرنا الى بعض الأحكام المتعلقة بالنطفة ونتكلم هنا عن التخلق بادئين بمرحلة **العلوق** .

. . .

يقول الله سبحانه : « ثم خلقنا النطفة علقة » ، واذا نظرنا فى النظم القرآنى الكريم نجده عبر فى ايجاد العلقة بما لم يعبر به فى ايجاد النطفة اذ يقول جل شأنه بالنسبة للنطفة « ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين » بينما عبر هنا بالنسبة للعلقة بالخلق. وما ذلك الا لأن فى هذه المرحلة يظهر أول تطور واقعى فى الانسان فالنطفة فى رحلة العلوق بجدار الرحم تدخل فى مرحلة مغايرة تماما للمرحلة التى كانت عليها ولذلك استحقت أن توصف بوصف الخلق .

من أجل ذلك نجد أن الله سبحانه وتعالى امتن علينا بهذا الطور دون سابقه فى أول آيات القرآن نزولا اذ يقول جل شأنه « اقرأ باسم ربك

الذى خلق . خلق الانسان من علق ..» وما دام العلوق هو أول مراحل التخلق المعتبرة على ما أشعرت به الآية الكريمة ، فان هناك مرحلة أخرى يكون فيها تخليق وتصوير . به تظهر الأعضاء والأجهزة ، وهى مرحلة المضغة . اذ يقول الله سبحانه : « فخلقنا العلقة مضغة » ويقول فى آية أخرى فى سورة الحج « ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة .. » وسنبدأ بالكلام عن مرحلة العلوق لأنها الأسبق فنبين معنى (العلقة) الواردة فى النص القرآنى الكريم ، وما تتركب منه ، وبدء ذلك الطور ومدته ، وقد يجدر بنا أن نشير الى ما يتعلق بها من الأحكام الفقهية .

١ — معنى العلقة وتركيبها :

جاء فى كتب اللغة . علقت المرأة وكل أنثى بالولد حبلت ، وعلق الشوك بالثوب تشبث به ، واستمسك ، فمعنى العلقة يؤدى الى الارتباط بالشىء والتشبث به .

وأكثر المفسرين يفسر العلقة بالنطفة الجامدة من الدم (١) استنادا الى ما ورد فى بعض تفسيراتها اللغوية . لكن الذى يترجح عندى فى تفسير هذا الطور على ضوء دراستى للموضوع دراسة تقارنية . أنه تلك النطفة منذ يبتدىء تعلقها بجدار الرحم وتشبثها به . وانما رجحنا ذلك لأنه بدء ذلك الطور من الناحية العملية وهو الذى يتفق مع التحليل العلمى ويتمشى مع تفسيرات اللغة التى عرضنا . فهى اذن مجموعة الخلايا التى اتخذت لنفسها شكل التوتة والتى يطلق عليها العلم الحديث (الجرثومة التوتية) والتى قلنا انها ناتجة من البويضة الملقحة عندما تصل الى جدار الرحم وتلتصق به .

فهى بعد أن كانت حرة الحركة فى فراغ الرحم فانها تعلقت بجدار الرحم وتشبثت به لتغوص فيه وتتغذى عن طريقه . وهى فى هذه المرحلة وحتى قرب نهاية الايام الاخيرة منها لا تحوى خلايا دموية على الاطلاق ، وان كانت فى الأيام الأخيرة لها تبدأ ظهور الجزر الدموية بها ، كما يؤكد العلماء المتخصصون فى علم الأجنة .

فالعلقة تتركب من خلايا نشأت بطريق الانقسام عن البويضة الملقحة التى تمثل الخلية الانسانية الأولى ، وهى تتركب من نواه « وسيتوبلازم » بصفة أساسية بخلاف الدم ، وما قاله المفسرون ليس هو الشريعة الاسلامية بذاتها ، وانما هومجرد فهم واستنباط لهؤلاء العلماء يتفق مع الفهم العلمى المعاصر لهم ، واذا كان الفهم الذى ذهبوا اليه لا يصور الواقع فانه لا يقلل من دقة النص القرآنى الكريم لأن ما قالوه مجرد تفسير ممن يجوز عليهم الخطأ فى الفهم والتصور ، على أن هذا الخطأ لا يقلل من شأن هؤلاء الأئمة المفسرين بوصفهم علماء شريعة لأن هذا الخطأ — ان صح هذا التعبير — لا يتعلق بحكم شرعى من أى نوع ، كما أنه أمر خفى لم تعرف حقيقته الا فى عصر التحليل والتجارب العلمية ، بل وعذرهم فيما ذهبوا اليه واضح لأن عدتهم فى ذلك الفهم ما ورد فى كتب اللغة مما يفيد ذلك .

٢ — بدء ذلك الطور ومدته :

هذه المرحلة تقضى فيها تلك العلقة مدة يقدرها الطب بنحو أسبوعين ، ولا تعارض أيضا بين هذا القول وبين حديث الصحيحين « ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما ثم يكون فى ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون

فى ذلك مضغة مثل ذلك .. » على ما ذكرنا فى المقال السابق اذ لا معنى لقيد « فى ذلك » الا ما تفيده دلالة اللفظ وهى أن طور العلقة يكون فى أثناء المدة الأولى ، وتكون كلمة ثم للترتيب الذكرى لا للترتيب الخارجى . فمرحلة العلقة متداخلة فى نفس المدة الأولى — مدة النطفة ، ومدة المضغة متداخلة فى نفس مدة العلقة . وبذا يمكن التوفيق بين ما جاء فى الحديث على هذه الرواية وما ذهب اليه الطب الحديث من أن مرحلة العلقة تبدأ من اليوم الثامن من وقت التلقيح ، وما ذهبنا اليه من تفسير العلقة بأنها ما يعلق بجدار الرحم فتكون مرحلة المضغة من مراحل العلوق أيضا لأنها تكون عالقة بجدار الرحم أيضا .

٣ — ما يتعلق بالعلقة من أحكام شرعية :

بين الفقهاء الحكم الشرعى بالنسبة للعلقة اذا ما حدث سقط فخرجت من الرحم ، كما تناولوا حكمها من ناحية الطهارة والنجاسة ، وسنتكلم أولا عن الاسقاط وحكمه الأخروى والدنيوى ، ثم نتبع ذلك بالكلام عن حكم طهارة ذلك السقط أو نجاسته :

أ — حكم الاسقاط :

تعبر بعض كتب الفقه بالاجهاض بدل الاسقاط ، وجاء فى المصباح أجهضت الناقة والمرأة ولدها أسقطته ناقص الخلق . وللفقهاء كلام كثير فى موضوع الاجهاض وتفصيل بين ما اذا كان بعد الشهر الرابع أو قبله مما نرجىء الكلام عنه تفصيلا الى ما بعد الانتهاء من التحدث عن مراحل التخلق ، وعند الكلام عن الاحكام التى تتعلق بالجنين وترتبط به ، ولكننا هنا نشير الى خلاصة ما قاله الفقهاء فى اسقاط العلقة بعد استقرارها وتشبثها بالرحم فنقول :

انه نقل عن فقهاء الحنفية القول بأنه يباح للمرأة اسقاط الولد قبل أربعة أشهر ولو بلا اذن الزوج ، ونقل ابن عابدين الفقيه الحنفى عن بعض فقهاء الحنفية عدم الحل الا لعذر كانقطاع لبن المرأة بعد ظهور الحمل وكشعورها بالهزال والضعف عن تحمل أعباء الحمل ، وكون الوضع بالنسبة لها يتم من غير طريقه الطبيعى وقد تكرر لها ذلك . وما نقله ابن عابدين هو عندي أشبه بالفقه وأدق فى النظر وهو ما نتجه اليه ، ولعل من قال منهم بالاباحة ، انما يقصد حالة العذر ، وهذا هو ما علق به ابن وهبان على ذلك القول (٢) :

وقد كان المالكية أكثر تشددا فى الجملة من الحنفية فى هذا اذ منعوا الاجهاض من بعد العلوق ولو قبل الأربعين يوما على ما هو المعتمد فى المذهب (٣) ، اذ جاء فى شرح الدردير : « لا يجوز اخراج المنى المتكون فى الرحم ، ولو قبل الأربعين يوما » ويقول القرطبى : « ان النطفة لا يتعلق بها حكم اذا ألقتها المرأة قبل أن تستقر فى الرحم » وهذا واضح فى أن العلقة لا يحل اسقاطها .

والمتجه عند الشافعية (٤) أنه بعد الاستقرار فى الرحم والأخذ فى مبادىء التخلق الحرمة ، وان كان يتجه بعضهم الى جواز الاسقاط فى فترتى النطفة والعلقة ، ويصرح الزيدية (٥) بأنه يجوز القاء النطفة والعلقة وكلام الحنابلة والشيعة الجعفرية فى هذا عام ويشعر بالحرمة .

وتكاد المذاهب الفقهية أن تكون متفقة فى الجملة على وجوب (الغرة)

بمثابة تعويض على الاسقاط ، ولا يبرز الاختلاف بينهم الا فى القدر الواجب فالمالكية يرون أنه يجب بالقاء الجنين وان كان علقة عشر ما يجب فى أمه بينما يفصل الزيدية والشيعة الجعفرية على ما سنبينه تفصيلا فى موضعه بعد .

ويعنينا هنا قبل أن نترك هذه الجزئية ان نشير الى أن القانون الجنائى المصرى يحرم الاجهاض فى جميع مراحله ويعاقب عليه حتى لو كان ذلك باذنها ورضائها ، كما ينبغى أن نشير الى أن هذا الحكم لا يسرى على العزل واتخاذ الوسائل المانعة للحمل مؤقتا يقول الامام الغزالى ما حاصله : ان العزل ليس كالاستجهاض والوأد .. ويقول ابن حجر « وفرق بين ذلك وبين العزل بأن المنى حال نزوله لم يتهيأ للحياة بوجه بخلافه بعد استقراره فى الرحم وأخذه فى مبادىء التخلق .. » وواضح أن الاستقرار فى الرحم لا يكون من وقت العلوق .

ب ــ طهارة العلقة ونجاستها :

ينقل ابن قدامة الحنبلى (٦) روايتين :

الاولى : أنها طاهرة كالمنى لأنها بدء خلق آدمى .

الثانية : أنها نجسة .

قال : وهو الصحيح لأنها دم ولم يرد من الشرع فيها طهارة ، وقياسها على المنى ممتنع لكونها دما خارجا من الفرج « وينقل ابن عابدين الحنفى : أن العلقة نجسة كالمنى » . واذا كان ابن قدامة الحنبلى يقيسها على المنى فى الطهارة فذلك لأن مذهبهم الحكم بطهارة المنى لأمر الرسول السيدة عائشة بفركه ، واذا كان الحنفية قد قاسوها على المنى فحكموا بنجاستها فذلك بناء على مذهبهم من القول بنجاسة المنى لأن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بغسله اذا كان رطبا وان كان رخص فى فركه ان كان يابسا رفعا للحرج ، وتخفيفا على الناس .

وبعد فقد التمس من القارىء العذر أنى خرجت عن موضوع النظر والتأمل فى خلقه ليطمئن الى صدق عقيدته من أن الله حق وأن محمدا صلوات الله عليه رسول اصطفاه الله وصنعه لتبليغ رسالة ربه ، ثم ينتهى الى أن الله على رجعه لقادر فيحسن صنعه فى الدنيا ويعمل لآخرته كأنه يموت غدا . التمس عذرا من القارىء اذ تغلب على صناعتى فاستطرد لبيان الأحكام الشرعية واسترسل فى بيانها بعض الشىء ، وقد تتحقق بهذا فائدة أخرى للقارىء فيتعرف الأحكام التى تتعلق بالجنين وهى مبعثرة فى كتب الفقه مع تعددها ، واختلاف المذاهب فيها بعثرة قد لا تسمح لغير المتوفرين على دراسة الفقه بالاهتداء الى معرفتها .

المضغة وتكوين الجسم :

المضغة مقدار ما يمضغ والمراد هنا القطعة بمقدار ما يمضغ .. وهذه المرحلة هى مرحلة التجميع التى يشير اليها قوله عليه السلام .. « يجمع أحدكم فى بطن أمه .. » الحديث فانظر كيف نحا فيه منحى التجميع الذى يكون مع وجود **مادة النطفة** مما يشعر بتداخل **الأطوار ــ وهنا** تبدأ مرحلة التصوير **والتخليق** وهو معنى قول الله سبحانه **على ما فهمه** كثير من أئمة **السلف « ثم من مضغة** مخلقة وغير مخلقة » **وان كان** بعض المفسرين **يفهم أن المراد بالتخليق هنا** نزول **المولود** من الرحم كاملا **لا نقص**

فيه ، وأن عدم التخلق نزوله ناقصا بعض الأجزاء .

ويذهب البعض الى أن غير المخلق هو السقط الذى لم يتكامل انسانا ولفظة المخلق يراد منها من تكامل وولد حيا .

فهذه المرحلة اذا هى التى يقع فيها التخليق بتقسيم اجزاء تلك المضغة وقد يمتد ذلك التخلق حتى الأطوار التى ما بعد هذا الطور فالجنين — كما يقرر الطب والتشريح فى نهاية الشهر الأول وهو مضغة تظهر فيه أربعة براعم تمثل الأطراف ، وفى الشهر الثانى تتميز اليدان والأصابع وتظهر الأذن الخارجية وتنفصل فتحة الفم عن الأنف ، وفى الشهر الثالث يظهر جفنا العين ملتحمين وتظهر أعضاء التناسل الخارجية وان كان لا يمكن تميزها ، وفى الشهر الرابع يبدأ ظهور الشعر والأظافر وتتضح الأعضاء التناسلية ، وفى الشهر الخامس ينفصل جفنا العينين وتظهر الطبقة الدهنية على سطح الجلد ، وفى الشهر السادس تظهر أهداب الجفنين وشعر الحاجبين مع تقبض الجلد وتلونه بالحمرة ، وفى الشهر السابع يبدأ ظهور طبقة دهنية تحت الجلد ، وفى الشهر الثامن ينبسط الجلد فيذهب تجعده ويصير لونه ورديا لامعا وتصل الأظافر الى أصابع اليدين ، وفى الشهر التاسع يتم تخليق بقية الأجزاء بحكم الله ودقة صنعه وهو الذى أتقن كل شىء فأحسن صوره .

ففى الشهور الأولى من الحمل تكون الرأس عبارة عن كتلة صغيرة منبعجة تحمل على جانبيها بروزين جاحظين هما العينان وفى أسفلهما يمتد شق مستطيل هو الفم وفى مقدمتهما ثقبان هما المنخران ، ثم فى الشهور الأخيرة تتشكل هذه الكتلة وتتجدد معالمها وتنسق أبعادها .

هذا ما قاله الطب عن مراحل التخلق فى المضغة وهو ما أجمله القرآن الكريم فى قوله سبحانه فى سورة المؤمنين .. « فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما .. » .

ولعل أهم ما يحدث للمضغة من تخليق هو تكوين وعاء القلب من مجموعة الخلايا الدموية الصغيرة . وهذا بدء تكوين القلب الذى يأخذ بعد ذلك فى التطور الى أن يصبح قلبا حقيقيا . كما أنه من أهم ما يحدث فى المضغة من تخلق هو نشوء الأعضاء التناسلية . وتنشأ هذه الأعضاء من نقطة فى ظهر الجنين حتى اذا اكتمل نموه انحدرت الأعضاء التناسلية الى موضعها الخارجى من الجسم ، هذا ما يقوله المتخصصون فى علم الأجنة ويتضح من هذا أن ذرية الانسان من الظهر مصداقا لقول الله تعالى فى سورة الأعراف : « واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم » كما يتضح أيضا أن الأغشية الثلاثة التى تحيط بالجنين دقيقة لا يمكن أن تظهر الا بالتشريح ولعلها هى التى حدثنا عنها القرآن وسماها ظلمات ثلاث فى قوله جل شأنه فى سورة الزمر « يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك .. »

وأما قول الله سبحانه « فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما » ففيه اشارة لطيفة الى أن اللحم ساتر لتلك العظام وأنه مع ما يؤديه من وظائف مجمل لها ومحسن لصورة الانسان عليها . أنظر الى هيكل عظمى مجرد من اللحم لترى ما فيه من بشاعة وازعاج ولا سيما اذا فوجئت به أو نظر اليه من لا عهد له بشأنه . ولقد قال علماء التشريح : ان طور خلق

العظام وكسوتها لحما مشترك فى التكوين والتخلق .

فالله سبحانه جعل تكوين العظام واللحم مرتبطين ببعضهما مع بعض وهذا لا ينافى التعبير القرآنى الوارد فى قول الله تعالى : « فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما » لأن الفاء كما أنها موضوعة فى لغة العرب لافادة التعقيب فهى موضوعة أيضا لبيان التفصيل وان لم يكن هناك ترتيب ولا تعقيب فى الدلالة ونظير هذا ما قاله بعض المفسرين فى قوله تعالى : « فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم » ، فان القتل غير متأخر عن التوبة وانما هو شىء ملابس لهما ومختلط بها . ومن ذلك قوله تعالى : « فانتقمنا منهم فأغرقناهم » فليس هناك ترتيب ولا تعقيب بين الانتقام والاغراق وانما وقع الاغراق تفسيرا للانتقام .

هذا وقد تعرض علماء التشريح لبيان تفصيل دقيق طويل للمرحلة التى يتكون فيها كل من العظم واللحم ، كما تناولوا سائر أعضاء جسم الانسان وأجهزته بالبيان والتفصيل من تطور نمو الجنين والأجهزة التى يحتوى عليها جسمه من الجهاز القلبى الوعائى ، والجهاز التنفسى ، وجهاز الاغتذاء الذى يشمل الفم والمرىء والمعدة والأمعاء الدقيقة ، والجهاز البولى ، وجهاز الافراز الداخلى ، والجهاز العصبى وما يؤديه الكبد من وظائف ، والهيكل العضلى ، وتوارث الصفات وتكون التوأم الى غير ذلك مما يتعلق بأطوار تكوين الجنين ومما لا يتسع له المقام هنا وان كنا قد بينا ذلك فى كتابنا « الجنين والاحكام المتعلقة به فى الفقه الاسلامى » ولكنا نسوق هنا شيئا مما قاله ابن القيم أثناء تصويره لبدائع صنع الله فى خلقه مما يدل على وحدانيته وصفات كماله . يقول : « وقد ندب الله سبحانه الى التفكر فى آياته والنظر فى آيات كثيرة أوردها . . ثم قال : فانظر الى النطفة بعين البصيرة وهى قطرة من ماء مهين وجعلها فى مكان مكين لا يناله هواء يفسده ولا برد يجمده ولا عارض يصل اليه . وأنظر كيف قسم ذلك الشىء الواحد الذى هو المضغة الى الأعصاب والعظام والعروق والأوتار ثم ربط بعضها ببعض أقوى رباط ، وكيف كساها لحما ركبه عليها وجعله وعاء وغشاء وحافظا لها ، وأنظر كيف صور أجزاء الجسم فأحسن صورها » . .

وأطال ابن القيم فى هذا التصوير بما يدل على أن علماء الاسلام اتجهوا الى أن من صميم دينهم أن يأخذوا من كل تفكير وصل اليه مستوى العلم الى زمنهم ما يزيد المؤمن ايمانا ويعينه على تصور الكتاب الكريم وتفهم آيات الله فى الآفاق والأنفس مصداقا لقوله سبحانه « وفى الأرض آيات للموقنين . وفى أنفسكم أفلا تبصرون » فالآية الأولى توجه الى النظر فى الآيات الكونية ، والآية الثانية توجه الى النظر فى الآيات النفسية ، وكل من الآيتين تنتهى بالناظر المتأمل الى الايمان الكامل .

القرآن ليس بكتاب طب ولا فلك ، وانما جاء بالموعظة الحسنة والأحكام العامة التى تمكن الناس من حياة رغدة ، وكذلك السنة ما كان من شأنها أن تكون طبا وفلكا تتصدى لبيان التفاصيل والجزئيات فى الفلك والطب ونحو ذلك وانما جاءت مبينة ومفسرة لمقصود القرآن الأول ، ولا شك أن مقصوده الأول هداية الناس وموعظتهم ووضع أسس الأحكام التى تنظم لهم حياتهم فى المجتمع الانسانى . وحينما يتعرض الكتاب أو السنة الى الآيات الكونية أو الآيات

النفسية انما يلمسها بالقدر الذى يفتح به الأذهان الى عظمة الخالق وقدرته والايمان به والخضوع والانقياد الى دعوته وحكمه .

وحسبهما من السمو والنبل ورفعة المستوى فى هذه النواحى تسجيل الصدق فى كل ما أورده منها لمناسبة دعت الى ذلك .

وأما حقائق تلك العلوم مما يسعى اليها العلماء ببحوثهم وينتهون اليها بتجاربهم وملاحظاتهم جيلا بعد جيل . فانها ليست هدفا للكتاب والسنة وانما هى مما علمه الله للانسان بالاعداد والتوجيه وصدق الله « علم الانسان ما لم يعلم . » .. وحقا « وفوق كل ذى علم عليم » وها هو التقدم العلمى السريع وتطوره يزيدنا ايمانا بقول الله : « وما اوتيتم من العلم الا قليلا » .

هذا والذى يبين من الاستعمالات القرآنية أن الانسان ليس جسما فقط وانما هو روح وجسد واذ كنا تكلمنا عن تطور الجسد فان الروح كما يقول الله سبحانه « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » والظاهر أن السؤال كان عن حقيقة الروح الذى هو مدار البدن الانسانى ومبدأ حياته لأن ذلك من أول الأمور التى لا يمكن لأحد انكارها ويشرئب كل الى معرفتها وتتوافر دواعى العقلاء اليها وتكل الاذهان عنها .

ويقول الامام الرازى ان الروح حادثة حصلت بفعل الله وتكوينه وايجاده والأرواح فى مبدأ الفطرة تكون خالية عن العلوم والمعارف ثم يحصل فيها ذلك فهى لا تزال تكون فى التغير والتبديل وكلاهما من أمارات الحدوث .

ويبدو أن فى الانسان روحين روح حيوانية يكون بها الحس والحركة ، وهذا هو القدر المشترك بين الانسان وبين الحيوان وهو معنى ينفصل عن الانسان بموته كما ينفصل روح الحيوان عنه بالموت ، وروح انسانية يتميز الانسان بها عن غيره .

يقول العز بن عبد السلام الفقيه الشافعى : ان الأجساد مساكن الارواح ولا شرف بالمساكن وانما العبرة بالساكن ثم يقول واعلم ان فى كل جسد روحين روح اليقظة ، وهى الروح التى أجرى الله العادة أنها اذا كانت فى الجسد كان الانسان مستيقظا واذا خرجت نام .. وروح الحياة وهى التى أجرى الله العادة أنها اذا كانت فى الجسد كان حيا ، فاذا فارقته مات الجسد فاذا رجعت اليه كان حيا .. وهاتان الروحان لا يعرف مقرهما الا من أطلعه الله على ذلك ..

ويقول الامام الغزالى عن الروح الحيوانية « انه جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسمانى وانه ينتشر بواسطة العروق وأن جريانه فى البدن يضاهى فيضان النور من السراج فى زوايا البيت » ، ويبدو أن هذا لا يختلف فى الجملة مع الطب الحديث فهم يقرون أن التأكد من موت الانسان بوقف حركة القلب كما يقولون ان القلب هو الذى يمد الجسم بالدم

الذى به تكون الحركة وقيام جميع الاعضاء بوظائفها المطلوبة ولا شك أن هذا القدر لا يفيد الوقوف على حقيقة الروح وكنهها ومعرفة سر الحياة وانما هو تصوير لمنبع حركتها فى الجسم وطريق انتشارها .

ولقد نقل بعض الكاتبين ان الباحثين فى المسائل النفسية فى أمريكا وأوروبا توصلوا بمباحثهم الى أن فى الجسم الانسانى روحا من طبيعة علوية وان هذه الروح المستقلة عنه تتصل به وقت تكوينه وتغادره عند موته ، وان الروح وان كانت أمرا إلهيا لا يدرك كنهه أحد فان لها جسدا أثيريا على صورة جسم صاحبها وهى غاية فى اللطافة ..

ولعل قول الله سبحانه «ثم أنشأناه خلقا آخر » تشير كما يقول كثير من المفسرين الى خلق الروح ولا مانع عندى أن تكون الآية تشير الىكل من الروحين الانسانى والحيوانى فان الجنين له طور فيه يتحرك ويحس كما يتحرك الحيوان ويحس وهذا هو أثر الروح الحيوانى .

وأما الروح الانسانى فانه يبدأ فيه بالقوة لا بالفعل وبما خلق الله فيه من التهيؤ لكسب المعلومات ونمو الادراكات ، وبعد فهذا الجنين الذى يصل فى طوله بعد ولادته ونموه الى قرابة المترين وفى وزنه الى قرابة المائة كيلو والذى له عينان ولسان وشفتان وجوارح متعددة وأجهزة مختلفة وعقل مفكر مدبر والذى يطغى ويتجبر ويمشى فى الارض مرحا يظن أنه يخرق الارض أو يبلغ الجبال طولا ... خلق من ماء مهين وصدق الله « لقد خلقنا الانسان فى كبد » أى فى مكابد ومشقة وجهد وكد وكفاح وكدح . وصدق سبحانه اذ يقول « يا أيها الانسان إنك كادح الى ربك كدحا فملاقيه » .

« خلق الانسان من علق » فالعلقة التى هى مبدأ التكوين الجنينى لا تستقر فى الرحم حتى تبدأ فى الكدح والكد لتوفر لنفسها بأذن الله وتوجيهه الظروف الملائمة للحياة والغذاء وما تزال كذلك فى أطوارها المتلاحقة حتى تنتهى الى الخروج من مكان ضيق الى الحياة الدنيا فتتنفس الهواء وتجد فى كل حركة بعد ذلك كبدا . ومع هذا فان الانسان يحسب ان لن يقدر عليه أحد ، ونسى كيف خلق من علق ، وكيف تميزت هذه العلقة الى خلايا بالأعصاب والعظام والعضلات وغيرها .

وبعد ذلك هل يشك أحد فى الله وفى أن محمدا رسول الله . أيشك أحد فى البعث والحساب وأن الله سبحانه قادر على أن يعيده الى حياة أخرى بقدرته سبحانه التى أوجدت الانسان فى الحياة الاولى . وصدق الله « أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه . بلى قادرين على أن نسوى بنانه . » ..

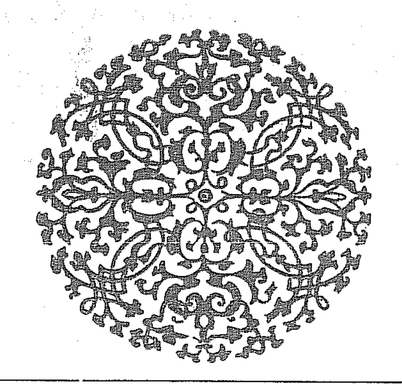
وأن بسط القول فى ذلك لا نهاية له وحسبنا أن نشير الى قول الله تعالى « ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شىء قدير .

وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور » ويقول جل شأنه « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .

ففيم يختلف الناس من أمر هذا الخالق كيف يتنكر عاقل للقائه . أليغالطوا عن الحقائق أنفسهم فيعيشوا فى الدنيا كما تعيش الأنعام ويرخوا لأنفسهم حبل الأمل فى حياتهم !! « ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون » ، « يوم لا ينفع مال ولا بنون . الا من أتى الله بقلب سليم » .

والواجب على كل من له عقل أو قدر من العقل أن ينتهى الى أن الله حق ، ورسالة محمد صلوات الله عليه حق ، والبعث حق ، وان الواجب علينا أن نعد أنفسنا للقاء الآخرة ونحن مزودون بالعمل الصالح وملتزمون حدود الله . « من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا » .

وأن خير ما نختتم به حلقات هذا الموضوع « فلينظر الانسان مم خلق » .. هو دعاء الرسول صلوات الله وسلامه عليه الذى كان يردده دائما « اللهم أنت نور السموات والارض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت الحق ووعدك حق وقولك حق ولقاؤك حق ، اللهم لك أسلمت وعليك توكلت وبك آمنت واليك أنبت وبك خاصمت واليك حاكمت . فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا اله الا أنت » .



---

(١) راجع فى هذا « الجامع لاحكام القرآن للقرطبى » جـ ١٢ ص ٦ طبع دار الكتب المصرية ، والتفسير الكبير للرازى طبع المطبعة المصرية جـ ٢٣ ص ٨٤ ، وروح المعانى للامام الالوسى جـ ١٨ ص ١٣ .

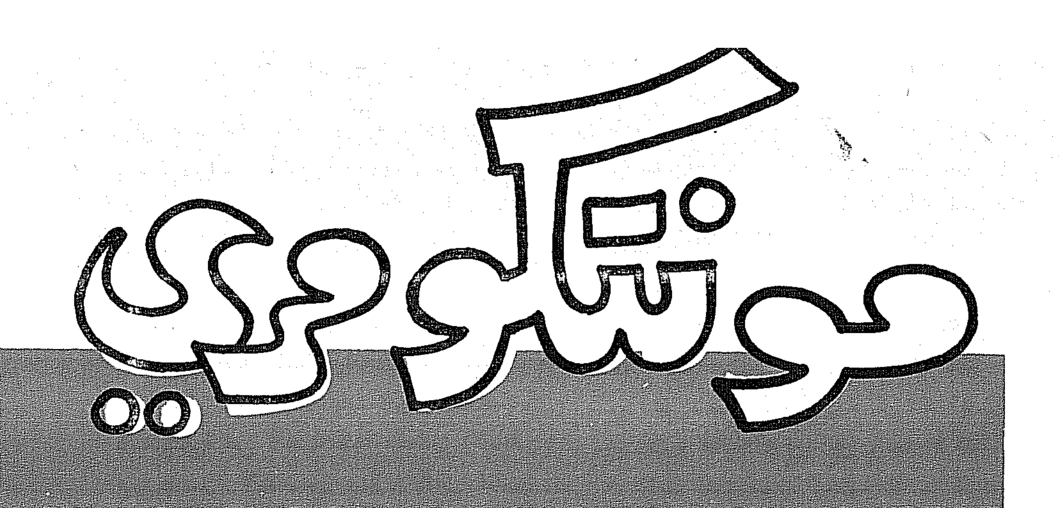
(٢) راجع حاشية ابن عابدين جـ٣ص ٤١١ .

(٣) الشرح الكبير جـ ٢ ص ٨ .

(٤) نهاية المحتاج جـ ٨ ص ٤١٦ .

(٥) البحر الزخار جـ ٣ ص ٨١ .

(٦) المغنى جـ ٢ ص ٤٤ .



— ١ —

المشير مونتكومرى قائد بريطانى ، من أبرز قادة الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٥) . وقد لمع اسمه لأول مرة بعد انتصاره على جيوش المحور فى معركة (العلمين) سنة ١٩٤٢ ، فأصبح معروفا فى العالم كلــه .

بدأ حياته العسكرية العلمية برتبة ملازم فى الحرب العالمية الأولى « ١٩١٤ — ١٩١٨ » ، وتدرج فى الرتب العسكريـــة ، وتولى المناصب القيادية ومناصب الاركان ، وأصبح معلما فى كلية الاركان البريطانية فى « كامبرلى » وهو منصب تعليمى تربوى مرموق .

وفى أواخر الحرب العالمية الثانية أصبح قائد مجموعة جيوش مؤلفة من مختلف الأسلحة ، وكان تعدادها يناهز المليونين من الجنود وضبـــاط الصف والضباط والمراتب الأخرى .

وبعد الحرب العالمية الثانية تسنم منصب رئيس هيئة اركان الحرب فى بريطانيا ، ثم تسنم منصب نائب القائد الاعلى لحلف الاطلسى .

وأخيرا أصبح عضوا فى مجلس اللوردات البريطانى ، اذ منح لقب : « لورد العلمين » ، فتفرغ لواجبه فى هذا المجلس ، وعكف على التأليف ، وأصبحت هوايته توجيه الشباب ورعايتهم .

وقد أمضى فى الخدمة العسكرية نحو خمسين سنة ، ربى خلالهـــا ما لا يعد ولا يحصى من العسكريين معلما ومدربا ومثقفا ومحاضرا وقائدا .

وقد سجل فى آخر مؤلفاته : « السبيل الى القيادة » عصارة تجاربه فى تربية الأطفال وتوجيه الشباب . وهو يرعى فى الوقت الحاضر جماعة من الشباب ، ويجد لذة ومتعة فى توجيههم ، ويرى فى ذلك خدمة لوطنـــه وتطبيقا لمبادئه التربوية .

وسأذكر ما أورده فى كتابه عن التربية ، لعل فيها فائدة للذيـــن لا يرضخون الا لآراء الغربيين ، والذين لا تطربهم مغنية الحى ، وتشفى عيونهم

اللواء الركن : محمود شيت خطاب

وآراؤه التربـويـة ..

رمال الغرب ، وتدميها ورود بلدهم ، ويستسلمون للأجنبي ولا يسالمـون العربي أو المسلم ، بهرتهم حضارة الغرب لأنهم يجهلون حضارة أمتهـم واستحوذ عليهم الاستعمار الفكري البغيض .

الى هؤلاء أسوق آراء مونتكومري التربويـة ، تلك الآراء التي لو سمعوها من عربي مسلم لكالوا له التهم جزافا ولرموه بالتخلف والرجعية !!

ترى ! ماذا سيقول هؤلاء عن آراء مونتكومري التربوية ؟

— ٢ —

عقد مونتكومري في كتابه : « السبيل الى القيادة » بابا كاملا هو الباب الحادي عشر بعنوان : « قيادة الشبيبة » استغرق نحو ثلاثيـن صفحة من كتابه ولا أرى مسوغا لعرض آرائه التربية كافة ، لأنني لا أريد أن أطيل فأثقل على القارىء ، ولكنني سأعرض مختصر آرائه لاعطاء فكرة كاملة عنها ، وهذا يقتضيني أن أكثف تلك الآراء بعيدا عن الايجاز المخـل والاطناب المـمـل .

ويذكر مونتكومري أن أولاد أمته لا نقص فيهم من حيث المادة أو النوع ، ولكن الخطأ فـي أسلوب تربيتهم ، مما أدى الى أن يصبحوا دون المستوى المطلوب ، وهذا خطأ المربين لا خطأ الشباب .

ثم قال : « انني غير راض عن شباب اليوم (١) » .

ويمتدح بنات جيله فيقول : « ان البنات لم يكن يسمح لهن بالخروج من البيت وحدهن والذهاب مع الأولاد الى المراقص وغيرها » (٢) ، وبذلك ينتقد مر النقد ما يراه من ترك الأبوين بناتهم يسرحن ويمرحن كما يشأن دون رقيب أو حسـيب .

ويقول عن تربية الأطفال وتنشئتهم ليكونوا عناصر مفيدة للمجتمع : « **ان ولد اليوم** ، وهو **رجل المستقبل** ، يجب أن يكون الغرض من تربيتـه بناء سجيته ، ليتسنى له عندما يحين الوقت المناسب ، ان يؤثر في الآخرين الى ما فيه الخير . وهنـاك أمر يجب الا نخطىء فيه ، وهـو أن أسس

(السجية) يجب أن توضع فى البيت ، بل أن التربية الأساسية يجب أن تبدأ هناك ، فهذه التربية هى التى تؤثر فى الولد ، وتوجهه طيلة حياته ، أما الى الخير أو الى الشر . وعلى أسس الخير القويمة التى تبنى فى البيت ، سيبنى المعلم سجية الولد عندما يأتى الى المدرسة ، فان لم تكن تلك السجيه قد أقيمت فى البيت ، فلا يستطيع المعلم أو اى شخص آخر أن يفعل شيئا فى هذا الصدد اننا نسمع اليوم الكثير عن : (آثام الاحداث) التى لا شك أن السبب الرئيسى لأغلبها هو اهمال الآباء .

« ان تجربتى الشخصية تحملنى على الاعتقاد بأن الأسس لبناء السجية يجب أن تغرس فى الولد عندما يصبح فى السادسة من عمره ، وأهم ما فيها التمييز بين الخطأ والصواب والتحلى بالصدق والمروءة » (٣) ويرثى مونتكومرى لحال البشرية التى أصبحت تلهث وراء (المادة) وتبتعد عن (الروح) فيقول : ألسنا نعيش جميعا فى ضباب من خداع النفس ، فى عالم تستحوذ عليه (المادية) وتنبذ فيه القيم الروحية ؟!

فلنفكر مثلا فى نماذج الاعلانات الكثيرة التى تواجهنا أنى ذهبنا ، والتى تؤثر فى كثير من الناس ، فهى توحى الينا أن حل كل مشكلة يمكن أن تشترى بالمال . انها تقول مثلا : أتنشد السعادة فى بيتك ؟! اذن فاشتر هذه المكنسة الكهربائية أو ذلك النوع من طعام الفطور ، أو هذا الصابون ، أو اشرب تلك الجعة ! ولا شك أن الناس جميعا لا ينخدعون بهذه الاعلانات الكثيرة ، ولكن الولد المراهق يتعرض للخطر وهو يعيش فى هذا الضباب من خداع النفس . (ماذا ينفع الانسان ، لو حصل على الدنيا كلها ، وأضاع روحه (٤) .. (٥)) .

هكذا يستشهد مونتكومرى بآيات من الانجيل لتأييد آرائه فكم من قادتنا يستشهد بآيات من الذكر الحكيم ؟

ويضيف مونتكومرى : « اذا أردنا أن يجتاز العالم بسلام وتعقل حالة الهياج والاضطراب التى تسوده اليوم ، فينبغى أن نحيا الحياة الحقة ونقتدى بالمسيح عليه السلام ، بدلا من الخبط فى دياجير الظلام » (٦) .
انه ينصح بالاقتداء بالمسيح ، وهذا طبيعى لأنه مسيحى ، فكم من رجالنا ينصح علنا وبكل قوة العرب والمسلمين بالاقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم ؟!

ويقول : « وهكذا نرى مدى الصعوبة التى يجابهها أولاد اليوم ، وجسامة (الواجب) الذى يجابهه الآباء والمعلمون فى تفسير كل ذلك لهم وتوجيههم نحو الصراط المستقيم . وقد زادت المهمة صعوبة زيادة كبيرة من جراء أحوال الحياة العصرية — الحياة التى يواجه فيها الاولاد مغريات ومشاكل أعظم من تلك التى واجهها أى واحد منا عندما كنا شبابا . فالاشياء المثيرة ، وافلام العصابات ، والبيوت المخربة بسبب التهاون فى الواجبات الزوجية ونشر القضايا الجنسية فى بعض الصحف ، كل هذه تفرض على الولد المراهق ضغطا شديدا ، وليس من السهل أن ننمى السجية فى ظروف كهذه (٧) » .

ونحن ؟! لماذا نستورد افلام العصابات ؟ لماذا نسمح للصحف والمجلات بنشر القضايا الجنسية ؟ لماذا نعرض الافلام الخليعة والتمثيليات

الداعرة فى الاذاعة المرئية ؟ الأجل ان نخرب بيوتنا بأيدينا ؟ الأجل أن نشيع الفاحشة فى أولادنا ؟! الأجل أن تتصاعد نسبة الرسوب فى مدارسنا وكلياتنا ؟ .. لماذا ؟!

— ٣ —

ويمضي مونتكومرى بالحث على تلقين الأطفال التعاليم الدينية فيقول .
« لقد سبق أن ذكرت كلمة (الضبط) ان لهذه الكلمة صدى غير مستحب عند فريق من الناس ، وربما كان السبب هو لأنها غير مفهومة فهما صحيحا ان الأساس الحقيقى للضبط ، هو ضبط النفس ، وهو السيطرة على النفس وكبح جماحها ، وأن يعيش المرء حياة ، منظمة ومقيدة بقيود اختيارية يفرضها على نفسه ، وقد تعد هذه القيود بمثابة (واجبات) ينبغى أن نشعر بضرورة القيام بها .

« ان مفهوم (الواجب) هذا يؤكد أهمية التعاليم الدينية التى تتعلق بالسيرة الشخصية للانسان ، ويجب أن يوحى بهذه التعاليم الى كل طفل حالما يبدأ بالذهاب الى الروضة « يريد روضة الأطفال التى تسبق المدرسة الابتدائية وينبغى أن يتم ذلك حتما قبل بلوغه السنة السادسة من عمره » . (٨)

ويتساءل مونتكومرى : « فما هو غرضنا ؟ » ، ويجيب : « ان الغرض هو أن نبث فى صفوف الشبيبة الاستقامة والشجاعة الأدبية ، والحمية ، بغية اقامة حصن يتحدى المؤثرات المخربة التى تسعى الى تحطيم أخلاق أولادنا . وينبغى تربية هؤلاء ليكونوا « نقاطا قوية » فى الأمة ، تدافع عن الأمانة وسط مغريات تحرض على الخيانة ، وتدافع عن العمل الجماعى والاخلاص ، وعن الجهد الصادق وشعور الواجب الرفيع ، بل عن كل شىء فيه خير البلاد (٩) .

ثم يقول : « أين يجب ان يبدأ التعليم ؟ فى البيت طبعا ، فذلك هو المكان الذى يجب أن يبدأ فيه تكوين « السجية » . ويجب أن يتعلم الطفل فى البيت أمورا معينة تعد خطأ وأخرى تعد صوابا ، ويجب أن يتعلم أسس الأمانة والاخلاص والصدق والثبات على ما يعتقده صوابا وحقا ثباتا راسخا برغم ما يواجهه من اغراء . ويجب أن تبدأ أسس هذه التربية فى وقت مبكر ، وأن ترسخ فى ذهن الطفل عندما يبلغ السادسة من عمره ، حتى اذا ما بدأ بالذهاب الى المدرسة لا يكون فريسة لتأثيرات شريرة قد يواجهها » . (١٠)

ثم ينعى مونتكومرى على العالم تخليه عن : « المثل العليا » ، ويتوجه الى قومه البريطانيين برأيه صريحا واضحا . « لكى نخدم بريطانيا ونفخر بأننا بريطانيون ، ليس من الضرورى أن نملك قنابل ذرية بقدر ما تملكه الولايات المتحدة الامريكية أو علماء بقدر ما تملكه روسيا ، فليست البلاد التى تنقصها القنابل الذرية أو القوات الكبرى هى التى يجب أن تدعى : دولا من الدرجة الثانية ، بل ينبغى أن يطلق ذلك على البلاد التى تعوزها المثل العليا ، وهذه المثل تبقى وغيرها يفنى » . ثم قال « ان أول ما نحتاج اليه ، هو معالجة الجهل المتفشى بيننا عن الحقائق الأولية للدين » (١١) .

— ٤ —

— ووصف مونتكومرى آراءه التربوية التى تؤدى، الى اعداد قادة

المستقبل ورجال الأمة فقال : « وقد لا تكون آرائى مقبولة على العموم ، لكنها بسيطة على الأقل ، وقد بنيت على « مثل عليا » وحقائق أزلية ، لن تتغير مهما كان العصر الذى نعيش فيه » (١٢) .

ثم يكرر ما قاله سابقا باسلوب جديد ، أكثر وضوحا وتفصيلا فيقول : « انى من المؤمنين ايمانا راسخا بوجوب توجيه الشباب نحو « العلا » ، ويجب أن نوضح لهم ما يجب أن يفعلوه لبلوغ ذلك ، وأن نبين لهم السبب . ان ذلك لأمر مهم ، لأن المستقبل هو للشباب ، فهم الذين يجب أن يستلموا المشعل منا . ان مهمتنا أن نوحى الى الشباب أن يستهدفوا غرضا « أخلاقيا » عاما مبنيا على ايمان واع قوى بالدين . فاذا استطعنا بعدها أن نوحد شبابنا وراء قادة يهتمون بهذا الدين كما يهتم الشيوعيون بعقيدتهم ، فما من شىء نخشاه : لا الأعداء ولا المشكلات الاقتصادية ، اذ يمكن التغلب عليهما معا . ان أهم ما فى التربية ــ وفى الحياة كذلك ــ هو أن يكون لدى الطفل أو للشاب احساس بالغرض قوى الى درجة تمكنه من مواجهة الصعاب والتغلب عليها . ان غرضا كهذا لا يمكن أن يبنى الا على « عقيدة » ولا يمكن تنمية هذه « العقيدة » الا فى زمن الصبا . لكنه يجب أن تكون هذه « العقيدة » حسنة ، فالعقيدة السيئة هى السبب فى معظم ما نعانيه اليوم من اضطرابات » . (١٣)

ويعتبر مونتكومرى تضليل الطفل أو الشاب أخلاقيا من أعظم الجرائم فيقول : « سئلت ذات مرة عن رأيى فى أسوأ جريمة يمكن أن يرتكبها أى انسان ؟ فأجبت بدون تردد : تضليل طفل أو شاب أخلاقيا !

وأضفت الى ذلك قولى : ما من عقوبة تعد قاسية بحق انسان كهذا » (١٤) . ومن الواضح أن رأى مونتكومرى هذا سليم الى أبعد الحدود لأن الذى يضلل طفلا أو شابا أخلاقيا ، سيقضى على مصدر الخير فيه ، وسيجعل منه بؤرة للفساد والشر ، اذ سيكون عاملا من عوامل اشاعة الفساد بين الناس ، يهدم ولا يبنى ، ويفسد ولا يصلح ، ويخرب ولا يعمر .

ان الوالدين اللذين لا يربيان طفلهما تربية سليمة ، يضللان طفلهما ويحرمانه من ومضات النور والخير .

والمعلم الذى لا يعلم تلميذه تعليما ناجعا ، يضلل تلميذه ويفسد طبعه ويوجهه نحو الجهل والضياع . فكم من أب وأم ضللا طفليهما عن عمد باهمالهما تربيته أو عن غير عمد لجهلهما التربية السديدة .

وكم من معلم ضلل تلميذه ، لكسله أو جهله أو عدم تقديره المسئولية الملقاة على عاتقه ، فأصبح ذلك التلميذ مشردا ، أو لصا أو قاتلا أو تافها .

ــ ٥ ــ

ــ ويعود مونتكومرى الى تلخيص آرائه التربوية فيقول : « ما هى النصيحة التى أقدمها للشباب ؟ كيف يستطيعون احراز مجد الفتوة ؟ اننى أقدم اليهم الوصايا الأربع التالية :

أولا : ليكن لديك شىء من رزانة الفكر ! ان ذلك لا يعنى أن الطفل أو الشباب لا يجب أن يكون سعيدا نبيها ، بل بالعكس . ولكن أنبه الناس هو من كان ذا بصيرة ، وقلب بسيط ، وضمير طاهر ، ومن يحاول قلبيا وبكل تواضع التمسك الشديد بتعاليم الدين .

ان الملذات التى لا نهاية لها ، والفرص الضائعة ، والامتيازات التى يساء الاستفادة منها — كل هذه الأمور لا تعوض عن ضياع الفضيلة ، وفقدان الرجولة ، وعدم احترام النفس .

ثانيا : أوصى بالطاعة ، تلك الفضيلة التى يبنى عليها السلطان ، وهى تعنى قبول قانون « الواجب » قانونا للحياة ان الله سبحانه وتعالى يفوض شيئا من سلطته الى اخواننا البشر منذ السنين الأولى من حياتنا يفوضه أولا الى أبوينا ، ومن ثم الى الذين يولون علينا ، فاحترام السلطة اذن واجب مقدس كما هو أمر إلهى ، وما من عصر انتهكت فيه حرمة هذا الأمر الا وساد فيه الفساد . ان آمال الأمم تتعلق باخلاص ابنائها وتواضعهم وفى طاعة شبيبتها واحترامهم لمن هو أكبر منهم سنا .

ثالثا : أوصى بالجد والمثابرة ، فالوقت المتيسر للعمل والدراسة قصير ، وسن الصبا سرعان ما يمر من غير أن نشعر به الى دور الشباب فدور الرجولة .

رابعا : لقد تعلمت فى حياتى الخاصة ، أن صفات ثلاثا ضرورية للنجاح . العمل الشاق ، والاستقامة المطلقة ، والشجاعة الأدبية ، — وهى تعنى عدم خوف الانسان من قول ما يعتقده صوابا ، والثبات على هذا الاعتقاد (١٥) .

ولا يكتفى مونتكومرى بهذا الباب من كتابه للحديث عن : آرائه التربوية ، بل يعود ثانية فى الباب الخامس عشر الى عرض آرائه فى التربية فيقول : « بالاضافة الى تزويد المدارس بنظام تربوى جيد ، وبمعلمين ماهرين ، يجب أن يتيسر فيها نظام سليم للتدريس الدينى بالتعاون مع رجال الدين » . (١٦) .

ثم يقول عن أثر المثال الشخصى الذى هو التطبيق العملى للنظريات التربوية : « والواقع أن التربية الفكرية والخلقية التى نزود بها أولادنا ، هى ليست بذاتها أهم الأمور ، بل المهم هو ما سيفعلونه بهذه التربية ، والفائدة التى سيجنونها منها فى السنين القادمة . ومن الواجب تخصيص قسم من هذه التربية لغرس الصفات التى هى جزء لا يتجزأ من القيادة الجيدة ، ويجب أن يقوم بذلك خيرة المعلمين الذين يمكن أن نحصل عليهم وأن يقوموا به بالمثال الشخصى الحسن الذى يضربونه بأنفسهم لتلاميذهم وطلابهم » (١٧) .

وفى ختام كتابه قال مونتكومرى . « عندما أنظر الى عالمكم اليوم ، ينتابنى القلق أحيانا على الجيل الجديد ، عندهم مغريات لم نحصل عليها أنا وأنت (١٨) . ويبدو أنهم ينضجون مبكرا ، ولكن ذلك يجرى فى عالم غير مأمون ، وهم يميلون الى أن يجعلوا للأمور « المادية » قيمة كبيرة ويهملوا « القيم الروحية » .. على الشباب أن يتسلح جيدا بالشعور « الروحى » اذا أراد الا ينحرف أو أراد الا يجرفه التيار ..

ان « الحرية » الحقيقية هى أن يكون لديك الخيار فى أن تفعل ما « يجب » أن تفعله لا ما (تريد) أن تفعله ... ان هذه هى الحقيقة بعينها التى تواجه أى ولد ، وهى التوفيق بين ما (يريد) أن يفعله وبين ما يوحى اليه ضميره أن يفعله » (١٩) .

تلك هى موجز آراء مونتكومرى فى التربية المثالية ، أعرضها للذين يتلقون الوحى من الأجنبى ، ويؤمنون بما يقوله دون مناقشة .

أما الذين يعرفون ما ورد عن : التربية المثالية ، فى تراثنا العربى الاسلامى العظيم ، والذين درسوا هذا التراث بامعان من منابعه الاصلية فيعلمون أن أراء مونتكومرى تعتبر تافهة عند موازنتها بآراء السلف الصالح من علمائنا الأبرار .

وبكل صراحة وأمانة ، أذكر اننى نقلت آراء مونتكومرى فى التربية مضطرا وبعد تردد طويل . ولكن ما حيلتى مع الذين تستهويهم آراء الأجانب ولا يستهويهم آراء الأقارب ؟؟

على كل ، فان العلم لا وطن له ، وباستطاعة من يشاء أن ينقل ما يشاء من علوم الآخرين وآرائهم ، على أن تكون تلك الآراء مفيدة وبناءة .

ولكن رأيى الذى أومن به ، هو أن العربى المسلم ، اذا وجد فى تراثه ما يتفوق على تراث الأجانب أو يشابهه ، فلا ينبغى أن يغمط حق آبائه واخوته ليستورد من الأبعدين ، أو يتباهى بأقوال الأجانب ويتنكر لأقوال قومه وبنى عقيدته .

اننا بحاجة الى علوم الغرب ، ولكننا لسنا بحاجة الى مبادئه ، ومرة أخرى .... لو أبدى عربى مسلم مثل آراء مونتكومرى فى التربية ، فماذا يقول عنه أبناء جلدته المحدثون ؟!

ان الاسلام أقوم المبادىء التى تبنى الرجال والنساء ، وهو دين الخلق الكريم والفضيلة والعزة والمجد والسؤدد .

فمتى يعرف قيمة هذا الدين أبناؤه من العرب والمسلمين ؟؟ متى ؟؟

---

(١) السبيل الى القيادة (١٩١ و ١٩٢) .
(٢) السبيل الى القيادة (١٩٣) .
(٣) السبيل الى القيادة (١٩٤) .
(٤) آية من آيات الانجيل .. ترى ! كم من قادتنا يستشهدون بآيات الذكر الحكيم ؟!
(٥) السبيل الى القيادة (١٩٥) .
(٦) السبيل الى القيادة (١٩٦) .
(٧) السبيل الى القيادة (١٩٦) .
(٨) السبيل الى القيادة (١٩٧) .
(٩) السبيل الى القيادة (١٩٨) .
(١٠) السبيل الى القيادة (١٩٨ و ١٩٩) .
(١١) السبيل الى القيادة (٢٠٥) .
(١٢) السبيل الى القيادة (٢١١) .
(١٣) السبيل الى القيادة (٢١٣) .
(١٤) السبيل الى القيادة (٢١٥) .
(١٥) السبيل الى القيادة (٢١٧) .
(١٦) السبيل الى القيادة (٢٩١) .
(١٧) السبيل الى القيادة (٢٩٢) .
(١٨) يقصد الناس من جيله .
(١٩) السبيل الى القيادة (٣٠٧ — ٣٠٨) .

الشباب في اطار التربية الاسلامية

للدكتور عبد العال سالم مكـــرم

الشباب فى عصرنا الحاضر تتنازعهم تيارات شتى ، وتسيطر على نفوسهم قيم عديدة ، وهم بين هذه التيارات ، وهذه القيم فى صراع عنيف مع أنفسهم ، ومع مجتمعاتهم حتى أظلمت الحياة أمامهم كأنهم فى بحر لجى يغشاه موج ، من فوقه موج ، من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض .

واستغلت المذاهب الالحادية ، والنزعات المادية هذا الصراع النفسى الذى استبد بالشباب فظهرت (الوجودية) لتدعو الشباب الى تحقيق الـــذات بشتى الوســـائل ، ومختلف السبل ، ومن بعدهـــا ظهرت الطبقة (الهيبية) وتميزت بارسال اللحى ، وإطالة الشعور واتخـــذت الحفاء مذهبا ، والعبث سلوكا ، والاستهتار بالتقاليد مبدأ وعقيدة ومن ثم كثر الفســـاد ، وعـــانت المجتمعات الغربية والاوربية من سلوك شبابها الشيء الكثير مما عقد الحياة ، وضاعت صرخات الشيوخ والآباء أمام عناد أبنائهم وبناتهم .

ماذا يعنى هذا ؟ اننا فى عالم متشابك ، قرب بعيده ، ودنا قاصيه ، ولم تعد حواجز المجتمعات أو حدود الاوطان حائلا بين تسرب هـــذا الفساد الى أمتنـــا الإسلامية والعربية ، ومن ثم اذا لم نتدارك شبابنا ، ونرعاهم كما نرعى النبتة الصالحة والشجرة الفارعة ، والثمرة الغالية لحل بشبابنا ما حل بشبابهم ، وحينئذ نعض بنان الندم بعد فوات الوقت ، وضياع الامل .

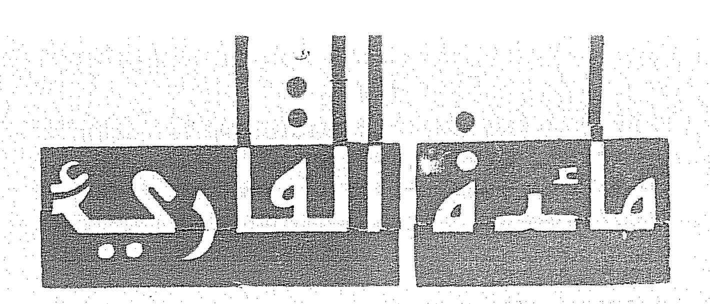
نريد من شبابنا أن يغرسوا فى نفوسهم وقلوبهم الايمان بالله . ذلك لأن النفس البشرية تموج بشتى الغرائز ، والشهوات العارية ، والرغبات الصارخة ، فالايمان بالله سلاح عنيف ضد هذه الغرائز ، وهذه الشهوات ، واذا ما انتصر الشاب المسلم فى ميدان نفسه أصبح قوى الجانب ، عزيز النفس ، صلب الارادة والمجتمع الذى يضم أمثال هذا الشباب مجتمع قوى يسير نحو العـــزة ، نحو الكرامة ، نحو البطولة والمجد .

نريد من شبابنا أن يملكوا من سلاح العلم والمعرفة رصيدا ضخما ، يصرع الجهل ويقضى على أمراضه فى عصر التحديات ، ولا أريد من الجهل مجرد جهل القراءة والكتابة ، وانما أريد به التخلف عن ركب التكنولوجيا والعلم الحديث .

ونريد من شبابنا أن يحموا ثروة العلم والمعرفة بالخلق ، انه الحـــارس الامين الذى يحفظ للامـــة كيانها من عدوان المعتـــدين ، وكبرياء المســـتبدين ، وسلطان المستعمرين .

ونريد من شبابنا أن يتعلموا معنى التضحية والفداء . فان أسلافهم من شباب الاسلام حينما تربوا فى مدرسة محمد عليه الاسلام كان أول درس تعلموه هو التضحية بكل ما يملكون من أجل القيم والمبادىء ، ومن أجل أن يسود الحق ، من أجل أن ينتصر الايمان ،من أجل احقاق الحق ، وابطال الباطل ، مهما كان الثمن ومهما كان الفـــداء .

وبسبب هذا الدرس العظيم استطاع شباب الاسلام أن يسيطروا عـــلى ثلاثة أرباع الكرة الارضية من المحيط الى الخليج .



جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم — يشكو جاره فقال له — اذهب واصبر ، فأتاه مرتين وثلاثا ، فقال له : اذهب ، فضع متاعك على ظهر الطريق ،فوضعه ، فجعل الناس يمرون عليه ويسألونه ، فيخبرهم خبر جاره ، فجعلوا يلعنونه ، فجاء الى النبى ، فقال — يا رسول الله — لقد لقيت من النـــاس ، قال وما لقيت منهم ؟ قال يلعنونني ، قال قد لعنك الله قبل الناس ، فقال انى لا أعود فجاء الذى شكاه ، وقال له (ارفع متاعك فقد كفيت) .

رواه أبو داود

اللــــه

سأل رجل جعفر الصادق عن الله فسأله جعفر — ألم تركب البحـــر ؟ قال — بلى ، قال جعفر : فهل هاجت بكم الريح عاصفة ؟.. قال نعم .. فقال جعفر — فهل خطربالك أو انقدح فى نفسك أن هناك من يستطيع أن ينقذك ان شـاء .. قال نعم ..... قال جعفر فذلك هو الله .

مؤهلات الولايـــة

احتاج عمر بن الخطاب يوما الى وال كفء يوليه عملا هاما من أعمال الدولة فقال لجلسائه دلونى على رجل أستعمله على أمر قد أهمنى ، فقالوا فلان . قال لا حاجة لنا فيه ، قالوا فمن نريد ؟ قال أريد رجلا اذا كان فى القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم ، واذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم ، قالوا ما نعرف هذه الصفة الا فى الربيع ابن زياد الحـــارثى . قال : صدقتم فولاه .

النساء المؤمنات

قالت ام المؤمنين عائشة — ان لنساء قريش لفضلا وانى والله ما رأيت أحدا أفضل من نساء الأنصار ، أشد تصديقا لكتاب الله ، ولا ايمانا بالتنزيل .. لما نزلت فى سورة النور (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) انقلب رجالهن اليهن يتلون عليهم ما أنزل الله اليهم منهـــا . يتلو الرجل على امرأته وابنته واخته وعلى كل ذى قرابة ، فما منهن امـــرأة الا قامت الى مرطهـــا المرحل فاعتجرت به تصديقـــا وايمانا بما أنزل الله من كتاب فأصبحن وراء رسول الله كأن على رؤوسهن الطير .

أم التوائــــم

نقل فى كتاب « العذب الفائض » عن الامام الشافعى أنه قال — رأيت فى بعض البوادى شيخا ذا هيبة فجئت لاستفيد منه فاذا بخمسة كهول قد جاءوا فقبلوا رأسه ودخلوا الخباء ، ثم خمسة شبان فعملوا كذلك ، ثم خمسة أصغر منهم ، ثم خمسة أحداث ، فسألته عنهم ، فقال كلهم أولادى وكل خمسة منهم فى بطن وأمهم واحدة فيجيئون كل يــوم ويسلمون علــى ويزورونها ولى منها خمسة أخر فى المهد .

مزرعة على ظهر جمل

روى أن جميلة بنت ناصر الدولة احدى بنات ملوك بنى بويه لما حجت كانت أول من استنت محامل البقول مزروعة على أظهر الجمال مع عدة أصناف من الرياحين .

الراس الثقيلة

أتى رجل الى أبى محمد النوبهارى فقال له — وضعت رأسى فى حجر امرأتى فقالت : ما أثقــل رأسك ؟ فقلت : أنت طالق ان كانت رأسى أثقل من رأسك .

فقال له أبو محمد : تطلق عليك امرأتك قيل لــه ولم ؟ قال — لان القصابين أجمعوا عــلى أن رأس الكبش أثقل من رأس النعجة .

ما هو ؟

قال العباس بن الاحنف —

قلبــى الى ما ضرنى داعـــى
يكثـــر أسقامى وأوجاعــى
كيف احتراس من عــدوى اذا
كان عـــدوى بــين أضلاعى
ان دام بى هجــرك مع كل ذا
يوشك أن ينعـــانى الناعــى

الجواب — الطعام .

البـــدوى المفتون

روى أن بدويا يدعى أبا وهب كان يملأ خياله تصور البطــولة وكانت تمتلىء أحلامه بهذه الصورة وكان مثل البطولة الأعلى فى رأيه وفى حياته وفى أحلامه (تابط شرا) وذات يــوم لقى أبو وهب هذا (تابط شرا) فطلب اليه أن يتبادلا اسميهما وأن يكون أبو وهب (تابط شرا) وأن يكون (تابط شرا) أبا وهب .. ويرضى (تابط شرا) هذه المساومة لقاء ما أخذه من مال وأثواب وانصرف كل منهما الــى وجهته .

مضى البدوى يقطع الصحراء فى خيلاء وعجب وكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها حين خلع عليــه (تابط شرا) أما تابط شرا فقــد خلا الى نفسه يضحك ويردد أبياتا يقول فيها :

ألا هل أتى الحسناء أن حليلهــا
تابط شرا واكتنيت أبــا وهــب
هبيه تسمى اسمى وسميت باسمه
فأين له صبرى على معظم الخطب
وأين له بأس كبأسى وشــدتى
وأين لــه فى كل فادحــة قلبى ؟



قضية إسقاط التدبير قضية صوفية قديمة شغلت أذهان المتصوفين ، وأخذت من جهودهم وأوقاتهم قسطا وفيرا ، واستغرقت من كتبهم فراغا كبيرا ، وترددها على الدوام سمة من سمات شيوخ المتصوفين ومريديهم ، أو إن شئت فقل إنها شعار من شعاراتهم ، وهى قضية فكرية ودينية معا تستحق أن تدرس ويكرر فيها القول ، لأنها تتعلق بحياة المسلمين ونشاطهم ومكانهم فى محيط الحياة الزاخرة ، وإسهامهم فى حضارة العالم وازدهاره ، ومن حق أجيال المسلمين أن يكونوا منها على بصيرة ، وأن يستبينوا وجه الصواب .

وقبل أن ندخل فى مناقشتها وبيان آثارها وأخطارها على النحو الذى يفهمه منها كثير من القدامى والمحدثين ، نرى أن نكشف عن بعض الكلمات التى ترتبط بهذا الموضوع ، وهى **العقل ووظيفته ، ورسالة الانسان على الأرض ، والتدبير ، وإسقاط التدبير .**

للشيخ أبو الوفا المراغي

أما العقل : فلم يصل العلم ولا العلماء بعد الى معرفة حقيقته معرفة تسمح بتحديده تحديدا منطقيا جامعا مانعا كما يقولون ، لذا لجأ العلماء الى رسمه بآثاره وخواصه رسوما مختلفة ، غلب على كل رسم منها اصطلاح كل طائفة منهم ، **فعرفه اللغويون :** بأنه ما يكون به التفكير والاستدلال ، وما يتميز به الحسن من القبيح والخير من الشر ، والحق من الباطل ، **وعرفه الفلاسفة :** بأنه القوة المدركة للأشياء على ما هى عليه من حقائق المعنى ، **وعرفه المفسرون :** بأنه الذى يكرم الله به بنى آدم ليهتدوا به الى أسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما فى الأرض ، والتمكن من الصناعات واتساق الأسباب والمسببات العلوية والسفلية الى ما يعود عليهم بالمنافع ، واتفقوا على أن العقل هو الذى يتميز به بنو آدم من الحيوان ويتم بناء الانسان ويكمل وجوده ، وخير ما جاء فى تعريف العقل قوله صلى الله عليه وسلم « العقل نور بالقلب يفرق به بين الحق والباطل » .

ووظيفة العقل كما قال الماوردى : هى أن تعرف به حقائق الأمور ، ويفصل بين الحسنات والسيئات ، وهو الذى جعله الله تعالى للدين أصلا وللدنيا عمادا فأوجب الدين بكماله ، وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه والف بين خلقه ، مع اختلاف هممهم ومآربهم وتباين اغراضهم ، ومقاصدهم ، وجعل ما تعبدهم به قسمين ، قسما وجب بالعقل فوكده الشرع ، وقسما جاز فى العقل فأوجبه الشرع فكان العقل لهما عمادا .

أما رسالة الانسان فى الأرض : فهى رسالة عقائدية وعملية ، **العقائدية** الاعتقاد بوجود الله ووحدانيته وتنزيهه عن الش...

وان له صفات الكمال كلها ومظهر ذلك الاعتقاد أداء ما أمر الله به والانتهاء عما زجر عنه ، ويفصل ذلك ما جاءت به الرسالات والرسل كما قال تعالى : « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد ان يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » .

أما رسالة الحياة العملية : فهى الجد والكفاح فى سبيل العيش وحفظ الحياة ودوام النوع بما زود بـه من العقل والمواهب كما قال تعالى : « وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم » ، وكما قال جل شأنه « هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها » .

والتدبير كما عرفه اللغويون : هو التفكير فى عواقب الأمور وتصريفها واختيار ما يترجح فيه جانب الخير والمصلحة ، وتهيئة الأسباب الكفيلة ببلوغ الأغراض والمقاصد ، وانجاح الحاجات وازالة الحوائل والموانع التى تحول دون هذه الغايات .

وأما إسقاط التدبير : فهو ترك التفكير فى عواقب الأعمال وايثار الصالح منها ، وصرف الهمم عن اتخاذ الأسباب للوصول اليها وترك الانسان نفسه للأقدار التى لا يعرفها تتصرف فى مستقبله وهو مستسلم لها راض عنها .

وبعد . فقد اختلفت عبارات المتصوفين عن التدبير وإسقاطه بين التعميم والشمول وبين التقسيم والتفصيل ، ومن عباراتهم الشاملة لاسقاط التدبير فى كل شىء قولهم إن التدبير منك لنفسك جهل منك بحسن النظر لها فان المؤمن قد علم أنه اذا ترك التدبير مع الله كان له بحسن التدبير منه . ومن عباراتهم أن اهتمامك بأمر نفسك وتدبيرك لها منك جهل بالله بل الأمر كما قال : « وما قدروا الله حق قدره » وأن التدبير والاختيار وباله عظيم وخطره جسيم وذلك أنا نظرنا فوجدنا أن آدم عليه السلام إنما حمله على أكل الشجرة تدبيره لنفسه ، ومن عباراتهم روح العبودية وسرها إنما هو ترك الاختيار وعدم منازعة الأقدار ، ومن عباراتهم الخروج عن الارادة هو أفضل العبادة ، وأن التدبير والاختيار أشد الذنوب والأوزار ومن عباراتهم التى تناولت إسقاط التدبير بالتفصيل والتقسيم قولهم : إن التدبير على قسمين : تدبير محمود وتدبير مذموم ، فالتدبير المذموم : هو كل تدبير ينعطف على نفسك بوجود حظها لا لله قياما بحقه ، والتدبير المحمود : هو ما كان تدبيرا بما يقربك من الله ، ليس إسقاط التدبير الممدوح ترك الدخول فى أسباب الدنيا والفكرة فى مصالحها لتستعين بذلك على طاعة الله تعالى من أجلها وأن يأخذها كيف كان من حلها .

هذه عبارات المتصوفين عن قضية إسقاط التدبير . فما المراد من هذه العبارات ؟ وما وجه الصواب فيها ؟

لا شك أن المتصوفين المستنيرين الواقفين على أسرار الشريعة وحكمها ، وعلى أسرار خلق الانسان وتحميله أمانة خلافة الله فى الأرض وتكليفه استعمارها لا يقرون هذا الاطلاق فى العبارات ولا يشترطون ... ان إسقاط التدبير فى الأعمال والأقوال ، لأن إسقاط التدبير

إهدار لنعمة العقل الذى كرم الله به بنى آدم وميزهم به عن الحيوان ، إذ أهم وظائف العقل هذا التدبير والتفكير فيما ينفع فى الحياة ويكون سببا الى النجاة ، وهو أيضا إبطال للأعمال واستسقاط لرسالة الانسان ، وتقويض للعمران ، فرسالة الانسان ازدهار العمران وتحقيق الاطمئنان ودفع البغى والعدوان وعمل دائب وتجربة مستمرة ، والعمل والتجربة والاعداد والقوة أساسها النظر والفكر والتدبير والترجيح ، وكل حركة من حركات الانسان وكل عمل من أعماله الاختيارية لا بد أن يكون مصحوبا بفكر وتدبير وإلا كان عشوائيا ان صادف الصواب مرة صادفه الخطأ مرات ومرات وقد أمر الله بالعمل لأنه سبيل العيش الكريم قال تعالى : « فاذا فرغت فانصب . وإلى ربك فارغب . » وقال عز من قائل : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » وكان مما أمر به الزراعة والصناعة والتجارة وغيرها من وسائل الرزق ، وكل منها لا بد فيه من التدبير العميق والتفكير المحكم حتى يتحقق الغرض المقصود منه ويقع على الوجه الصحيح ، ومحال أن يطالبنا الله بما لا بد فيه من التدبير ثم يستحب لنا أو يطالبنا باسقاطه وإغفاله ، هذا وان فى ترك التدبير وعدم الاشتغال بالأسباب انصرافا كاملا عن الدنيا . وليس هذا مقصود الشرائع وهو مناف لما ورد فى الأخذ بنصيب منها كما قال تعالى : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » وكما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه » .

لقد كان أهم ما يبنى عليه أنصار قضية إسقاط التدبير أن فى التدبير منازعة لله فى أحكامه ومضادة له فى نقضه وإبرامه وتدبيره واختياره ، وذلك شىء لا يجوز للمؤمن بل إنه يخل بالايمان وينقضه ، وذلك فى رأينا توجيه غير سديد لأنه ليس فى تدبير العبد منازعة فى تدبير الرب ولا اغتصاب لشىء من إرادته وسلطانه فهو الذى وهبنا حق التدبير والاختيار بما وهبنا من نعمة العقل فما وهبنا العقل الا لننتفع بثمرات التفكير والتدبير فكيف نسقط ما نحن مؤاخذون به ومسئولون عنه .

ولما رأى بعض المتصوفة خطأ ذلك الاطلاق حاولوا أن يصححوه ويخصصوه ، وانقسموا فى تصحيحهم فريقين : فريقا رأى أن يقسم الأمور الى قسمين قسم يحمد التدبير فيه وهو التدبير فيما يقربك إلى الله ، وقسم يذم التدبير فيه وهو كل تدبير ينعطف على نفسك بوجود حظها لا لله قياما بحقه ، وفريقا يرى ذم التدبير ووجوب إسقاطه فيما لله حكم فيه من الأمور لأن التدبير فى ذلك منازعة لله فيما دبره واختاره ، والى ذلك يشير قوله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » ويبيح التدبير فيما وراء ذلك ، وفى ذلك يقول بعض الصوفية إن إسقاط التدبير ليس هو الخروج عن الأسباب حتى يعود الانسان ضيعة، فيكون كلا على الناس فيجهل حكمة الله

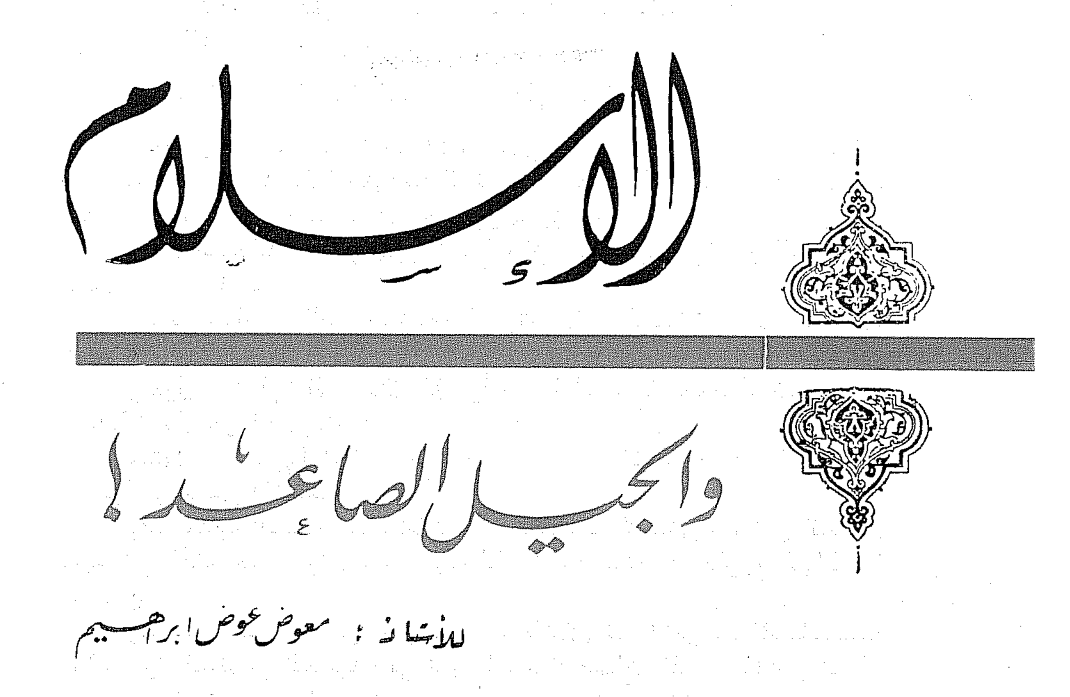
فى إثبات الأسباب وارتباط الوسائط ، وكيف ينكر الدخول فى الأسباب بعد أن جاء قوله تعالى : « وأحل الله البيع وحرم الربا » .

ولقد قامت رسالات الأنبياء ونجحت ، وقامت دعوات المصلحين ونجحت لحسن التدبير ومن درس سير الأنباء يرى العجب فى حسن التدبير بالالهام مرة وبالاجتهاد مرات يرى كيف دبر ابراهيم عليه السلام لهداية قومه وتزييف معتقداتهم فى الأصنام كما حكى الله عنه إذ قال جل شأنه : « وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون . قالوا مَن فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم . قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم . قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون » ويرى كيف دبر محمد صلى الله عليه وسلم لانجاح دعوته وتبليغ رسالته كيف دبر للهجرة ، وكيف دبر اللقاء الأول والثانى بأهل المدينة بالعقبة ، وكيف دبر بالمؤاخاة بين الأوس والخزرج ، وكيف دبر شئون المسلمين عامة فى حياته حتى تم الأمر واستقرت دولة المسلمين ، ثم كيف دبر أبو بكر وعمر بعده شئون المسلمين حتى خلفوا الامبراطوريات وفاقوها حكمة وعدلا وسلاما وأمنا ، فهل كان هؤلاء على غير الصواب فى أمر التدبير .

إن دعوى إسقاط التدبير فى كل الأمور دعوى منافية للطبيعة والشريعة وكل ما استند إليه أربابها من أدلة فهو موضع النظر ، فالملاحظ فيها بوجه عام أنها تدور كلها حول إسقاط التدبير فيما قرره الله واختاره مما لا يصح الاعتراض عليه والتدبير فى اختيار غيره ، من ذلك استدلالهم بقوله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » ، وقوله تعالى : « وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة » وقوله تعالى : « أم للانسان ما تمنى » وبقوله صلى الله عليه وسلم « ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا » وقوله : « اعبد الله بالرضا فان لم تستطع ففى الصبر على ما تكره خير كثير » .

ولا شك أن موضوع الرضا بما حكم الله به وهو ما دارت حوله الأدلة فرض على كل مؤمن ولا يجوز التدبير فيه إلا أنه ليس فى تلك الأدلة ما يوجب على المؤمن ترك التدبير فيما عداه مما تقوم عليه فطرة الانسان وطبيعته وتقوم عليها حياته ومعاشه .

إن دعوى إسقاط التدبير فى كل الأمور والترويج لها دعوى خطيرة الأثر على أجيال المسلمين ربما يتأثر بها بعضهم فتبعثهم على التوانى فيما انتدبوا له من كفاح ونضال فى وقت أصبحت موازين الأمم والأفراد بالعمل الجاد المبنى على التخطيط والتدبير ويكفينا فى اعتبار التدبير نداء الاسلام لنا بالعمل فى عشرات من آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .



الإسلام والجيل الصاعد!

للأستاذ : معوض عوض ابراهيم

رعاية الأبناء ، والحرص على تنشئتهم ، منذ نعومة أظفارهم ، تنشئة فاضلة كاملة يكونون بها قرة أعين آبائهم فى هذه الحياة ، وعملا صالحا يرجون أجره عند الله يوم نلقاه ، حقوق أوجبها الاسلام علينا ، وان سواء الفطرة لتدعو اليها وتحث عليها ، فأبناؤنا امتداد لوجودنا ، ووصل لما ينقطع حين تقضى الينا آجالنا .. حيث نحيا بهم فى أعمارهم مرة أخرى .

ولا يعين على حسن تربية الأبناء شىء أفضل من سلوك الآباء والأهل والمربين ، وما يسمعون من قرناء وأصدقاء ، وما يترسب فى أذهانهم من الكلمة المسموعة والكلمة المقروءة والكلمة المرئية المشاهدة فى جرائد ومجلات ، وفى كتب ونشرات ، وسينمات واذاعات وتليفزيونات .. تلك التى يسمونها اليوم وسائل الاعلام ، ونرجو أن تكون وسائل خير واصلاح ، وأن لا يخلو منها مكان لهذه الأخرى التى يلونها الشيطان ، ويؤلف عباراتها ، ويحدد مراميها وغاياتها ، فتعصف بالفضائل التى أرسينا قواعدها بين أعطاف ناشئة عزيزة ، ستصير اليها مواريث الدين والدنيا غدا أو بعد غد ، فتصونها أو تهينها — لا قدر الله — !!

.. ان رعاية الأبناء والحرص على تنشئتهم تلك التنشئة الفاضلة الكاملة ، أعود بالخير عليهم من المال الذى يورثه لهم الآباء فيبددونه

بحماقتهم فى يوم أو بعض يوم ، ثم يمضون مبعث سخط ونقمة على أصول أهملت الفروع فشبت عوجاء ، وزادت على الايام انحرافا واسفافا « ومن شب على شيء شاب عليه » .

واذا كان الصادق المعصوم ، صلوات الله عليه يقول (الولد سر أبيه) فان الشاعر العربى يقول :

وينشأ ناشيء الفتيان فينا على ما كان عـــوده أبـــوه

ولقد أوجب الله هذا الحق للأبناء ومن يلينا فقال : « يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجـــارة عليها ملائكة غـــلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » (١) .

وقال سبحانه : « والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم .. » (٢) .

والنبى صلوات الله وسلامه عليه يقو ل: « ألزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » .

ويقول : « ان الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع حتى يسأل الرجل عن أهل بيته » .

ويقول : « مروا أولادكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع » .

واذا كانت الصلاة هنا مثلا لسائر التكاليف الاسلامية ، فان التفريق بينهم فى المضاجع عنوان لسهر ويقظة دائمين حتى لا يقارب الأولاد ما يشـــين ..

وتقليد الصغير للكبير ، والضعيف للقوى فى الأفراد والجماعـــات والأمم من المسلمات البدهية التى قررها علم الاجتماع منذ ابن خلدون العالم المسلم ، واستعلنت بها حكمة الحكماء وشعر الشعراء فقالوا ...

وهل ينبت الخطى الا وشيجه وتغرس الا فى منابتها النخل !

ولقد فصلت السنة أدب الرســـول فى ختان الأطفال وتسميتهم ، والعقيقة والصدقة عنهم فى اليوم السابع من ولادتهم ، وأنه صلوات الله عليه كان يعجبه الاسم الحسن ، وكان يتفاءل به ، ويسارع الى تغيير ما يدعو منه الى نفرة واشمئزاز ، أو الى اعتساف واسراف فى معانى البر والفضل والكمال ..

روى الامام مسلم بسنده عن عمرو بن عطاء قال : سميت ابنتى برة ، فقالت لى زينب بنت أبى سلمة : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا الاسم ، وسميت برة فقال رسول الله صـــلى الله عليه وسلم : « لا تزكوا أنفسكم ان الله أعلم بأهل البر منكم » . فقالوا : بم نسميها ؟ قال : (سموها زينب) .

وقدم على النبى رجل من المسلمين فسأله : ما اسمك ؟ قال : غاوى أبن ظالم .

هكذا سماه أبواه فى الجاهلية ، وكانت فلسفتهم فى تسمية مواليهم أنهم يختارونها جميلة حسنة متاعا لأنفسهم ، بينما يســـمون أبناءهم على نقيض ذلك ارهابا لعدوهم ..

فقال الرسول للرجل : بل أنت راشد بن عبد الله !

والفرق بين جهل هؤلاء وبين رحمة الرسول وتكريمه للانسان ، هو الفرق بين جاهلية جهلاء ، وبين نور الاسلام ، الذى يتراءى فيه الناس كرماء راشدين ، لا تزرى بهم الأسماء ، ولا تغبر وجوههم التصرفات ..

وروى الامام مالك عن يحيى بن سعيد أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لرجل :

ما اسمك ؟

قال : جمرة !

قال : ابن من ؟

قال : ابن شهاب !

قال : ممـــن ؟

قال : من الحرقة !

قال : أين مسكنك ؟

قال : بحرة النار !

قال : بأيهـــا ؟

قال : بذات لظى !

قال عمر ناظرا بنور الله وفراسة المؤمن : أدرك أهلك فقد احترقوا . فكان كما قال عمر رضى الله عنه !!

.. وفى تاريخ أبى حفص رضوان الله عليه أنه أراد أن يستعمل رجلا ، فسأله :

ما اسمك ؟ قال : سارق بن ظالم .

قال : تسرق أنت ويظلم أبوك ؟ اذهب فلاتلى لنا عملا !

ومن أجل هذاالاغراق والشطط فى التسمية ندب الرسول المسلمين أن يحسنوا أسماء أبنائهم وكناهم . وقال لرجل اسمه زيد الخيل ، سأل الرسول فأحسن السؤال ، بل أنت زيد الخير ...

وأوجب الرسول لزوم الأبناء ، واحسان أدبهم ، واتاحة فرص تعليمهم ذكورا واناثا مع رعاية مايتصل من ذلك بوظيفة الفتى والفتاة فى المجتمع الاسلامى ، وتزويد الجيل الصاعد بما يصون له احتشامه وعفته وفطرته النقية ، وكتاب الله معين لاينضب ،وينبوع ثر لألوان المعارف والعلوم، وهو سياج واق من الغوص فى دراسات ، وتعمق مسائل طالما أثمرت للذين يواجهونها قبل أن يعصمهم الدين — الكفر والالحاد ، والغرور بما يمـــلأ أذهان الذين يحسبون أنهم على شىء واهمين !

وتوجيه ناشئتنا الى القرآن — والخير كله فى القرآن — والحرص على ملء قلوبهم به ، وتدريبهم على حسن النظر فيه ، والاستهداء — على كل حال — بأوامره ونواهيه ، يغرس فيهم الشعور بكرامتهم ، والحفاظ على انسانيتهم ، ومواصلة السير على صراط الله الذى التزمه سلف هذه الأمة ، عقيدة نقية ، وعبادات تنتظم الانسان مادة وروحا ، ومكـــارم أخلاق هى ثمرة نفيسة عزيزة للعقيدة والعبادة ، ونظام حياة اعتبرها الاسلام وكتابه أوفى اعتبار ، وانفرد بذلـــك كتاب الله دون ســـائر الكتب الســـماوية والوضعية ، والقرآن الكريم الى ذلك كله فيصل التاريخ الصادق والقصص

الهـادف فى أسلوب كان وسيبقى كلام الناس منه بمنزلتهم هم ممن أنزل القرآن هدى للناس وشفاء لما فى الصدور وتبيان كل شىء !!

قال تعالى « وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين » (٣) .

« ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا . وان الذين لايؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما .. » (٤) .

وتعلم الناشئة لكتاب الله يدعوهم لتعلم السنة المطهرة التى تفصل مجمله ، وتوضح مشكله وتبين للنـــاس مانزل اليهم . قال تعالى « انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » (٥) .

« وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم .. » (٦) .

والرسول صـــلوات الله عليه يقــول : (ألا انى أوتيت الكتاب ومثله معه ..) .

ثم تمضى الشبيبة بذلك فى خضم الحياة آخذة من علومها وخبراتها بقدر ما يعملون فى ذلك من عقولهم وبصائرهم التى حاكم الله اليها خلفاءه فى أرضه ، ونظر اليهم من خلال ما يحكمون بها تصرفاتهم وأعمالهم ..

واذا كنا نضع الجيل الصاعد أمام القرآن والسنة وجها لوجه ، فلا بد من تقرير حقيقة لا ريب فيها ، تلك هى أن القرآن الكريم أمرنا ونهانا وحذرنا ووصانا ولفت أنظارنا الى أغوار النفس ، والى ملكوت السموات والأرض وما فيهن ليتعـــلم الراشدون من كل شىء أحسن ما فيـــه ، ويستخلصوا لأنفسهم وللناس ، فى عصور وأمصار تتتابع ، ما بث الله فى أرضه وسمائه ومخلوقاته جميعا من أسرار وحكم وكنوز فتحت مغـــاليق الحياة لأوائلنا وجعلتهم أوعى ما يكونون لمعارف لم تعقهم عن السبق فى كل مجال صالح ، وكانوا وسيبقون المصادر الأولى لكل ما تسعد به البشرية من المبتكرات وكشوف العلم التى يدعيها أقوام فى شرق الدنيا وغربها !!..

وكانوا مضرب الأمثال فى شكر النعم حـــين تقبل ، والصبر على الخطوب حين تنوب ، والنهوض بتكاليف العمـــل والرضى بنتائجه بعد افراغ الوسع فى طلب الحلال بشريف الوسائل والأعمال ، وفى قول الحق والنصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المؤمنين وعامتهم ..

عن الحسن قال : كتب زياد الى الحكم بن عمرو الغفارى ـــ وهو على خراسان .

ان أمير المؤمنين كتب الى أن يصطفى له الصفراء والبيضاء ـــ الذهب والفضة ـــ فلا تقسم بين الناس ذهبا ولا فضة .

فكتب اليه الحكم : « بلغنى أن أمير المؤمنين كتب أن يصطفى لـــه الصفراء والبيضاء ، وانى قد وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين ، وانه والله ، لو أن السموات والأرض كانتا على عبد ثم اتقى الله ، الا جعل الله له مخرجا والسلام » .

ثم قال للناس : اغدوا على مالكم ، فغدوا فقسمه بينهم !

ان كتاب الله جاء الآباء والأبناء قبل أن يجيئهم كتاب أحد ، فما ينبغى أن نقدم بين يدى الله ورسوله ، أو تكون لنا الخيرة بين ذلك وبين ثقافات وواردات معارف لا تتفق مع كتاب الله ، ولا يغنى ما وراء ذلك عن الحق والخير شيئا ...

.. ان الدين الذى يدعو كتابه وسنة نبيه ، الى تنشئة أبنائنا على الرياضة البدنية التى تروى السنة منها أمثلة لكل رياضة بدنية نظيفة عرفتها وتعرفها الحياة الى يوم الدين ، بعد أن نجعـل قلوبهم أوعية لكتاب الله وهدايات رسوله ، هو الدين الذى صنع الجيل المثالى الذى عزز رسول الله ونصره ، واتبع النور الذى أنزل معه ، من مثل أسامة بن زيد ، ورافع بن خديج ، وسمرة بن جندب ، وابنى عفراء فى بدر ، وبطل الرماية العربية ابن الأكـوع ، وعمير بن أبى وقاص ، وحبيب وعبد الله ولدى زيد بن عاصم ..

قال ابن حجر : شهد زيد بن عاصم بن كعب أحدا ، ومعه زوجته أم عمارة ، وولداه حبيب وعبد الله !!

.. أسرة بكاملها تعمل صـفا واحدا ، فى بناء صرح هـذا الدين الخالد ، وفى أشرف الميادين !

وفى ظروف الدعة والسلم يأبى الراشدون أن يأخذ الترف والرفاهية أبناءهم من مختلف جهاتهم ، فالترف موبق مهلك للأفراد ، والجماعات والأمم ، وهو فى كتاب الله قرين الكفر والتكذيب باليوم الآخر ، كما هو اثم من أخطر الآثام ، ومدرجة الظلم والاجرام قال تعالى : « واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين » (٧) .

« وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم فى الحياة الدنيا .. » (٨) .

« وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون . وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين » (٩) .

« وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » (١٠) .

« وأصحاب الشمال ماأصحاب الشمال . فى سموم وحميم . وظل من يحموم . لا بارد ولا كريم . إنهم كانوا قبل ذلك مترفين . وكانوا يصرون على الحنث العظيم .. » (١١) .

ولقد بلغ عمر بن عبد العزيز أن ابنه اشترى خاتما بألف درهم ، فكتب اليـه :

« بلغنى أنك اشتريت خاتما بألف درهم ، فبعه بألف درهم ، وأطعم به ألف جائع ، واشتر خاتما بدرهمين واكتب عليه : « رحم الله امرءا عرف قدر نفسه » .

وما نذكر هؤلاء الأبناء والآباء والـولاة إزجاء للفراغ . ولا رغبة فى التسلى ، ولكننا نرجو أن تكون هـذه النمـاذج الخيرة تحت أعين الذين يخططون للشباب أخيرا بعد أن يجربوا فيما سموه (منظمات الشباب) برامج ومناهج ، وخلطو الذكور والاناث فى رحلات ومخيمات ــ كما فعل ناس فى الشرق والغرب ــ فماذا جنينا من هذا كله غير الضياع والاحساس الصارخ بضرورة عمل للشباب جديد رشيد ...

ورعايتنا للشباب امتداد لحرص أوائلنا الـذين ارتادوا لهم مناهج الثقافة المضيئة، والتربية الصالحة ، واستلهموا فى ذلك وصايا الاسلام

وتعاليمه ، فرووا فى أنفس الأبناء شجرة التدين ، وكان الايمان دائما هو الديدبان الحارس ، والصديق الناصح ، والنور الذى يكشف المسالك ، ويثلج صدور الجادين فى دعم جوانب الحياة .

وأمام طوفان الأفكار والمبادىء والمشاهد الوافدة من خارج حدودنا ، والتى يزيف بعضها فينا من يطوون جوانحهم على « مسمار جحا » .. على رواسب ثقافة الاستعمار ، ويحنون الى ما كان لهم فى عهوده ، التى ذهبت ولن تعود ان شاء الله ، من مكانة واعتبار ، نقف نحن ويقف الشباب ، فيعصمنا من مزالق ما نواجه ونرى ونسمع ، طول تمرس بالحياة ، وفضل علم بالسموم التى تخالط مايبدو من سمن ودسم .

ورجال الغد رصيد ضخم لأمتنا ، يجب أن نخطط ليومه وغده ، ونحرص أن تلتقى جهود العاملين فى سبيله على أساس من التخطيط الهادف ، والا ضل سعى العاملين وخابت فى الشباب الآمال ..

متى يبلغ البنيان يوما تمامه   اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم ..

ولكم يسوءنى وأنا أسمع اذاعاتنا العربية أن بعض المسئولين عن برامج وأركان من الرجال والنساء يوجهون الى الذكور والاناث أسئلة كلها دس ومكر وخبث وتحريض على الاندفاع فى تيارات التحلل من قيود الأخلاق وفضائل النفس ، ويعيبون على الفتاة المتحفظة تحفظها ، وعلى الشاب الملتزم لآداب دينه هذا الذى يسمونه التزمت والجمود والرجعية وعدم الانفتاح على الحياة ظالمين .. ولا رقيب على أصحاب هذه البرامج ولا محاسب على ما يفعلون !

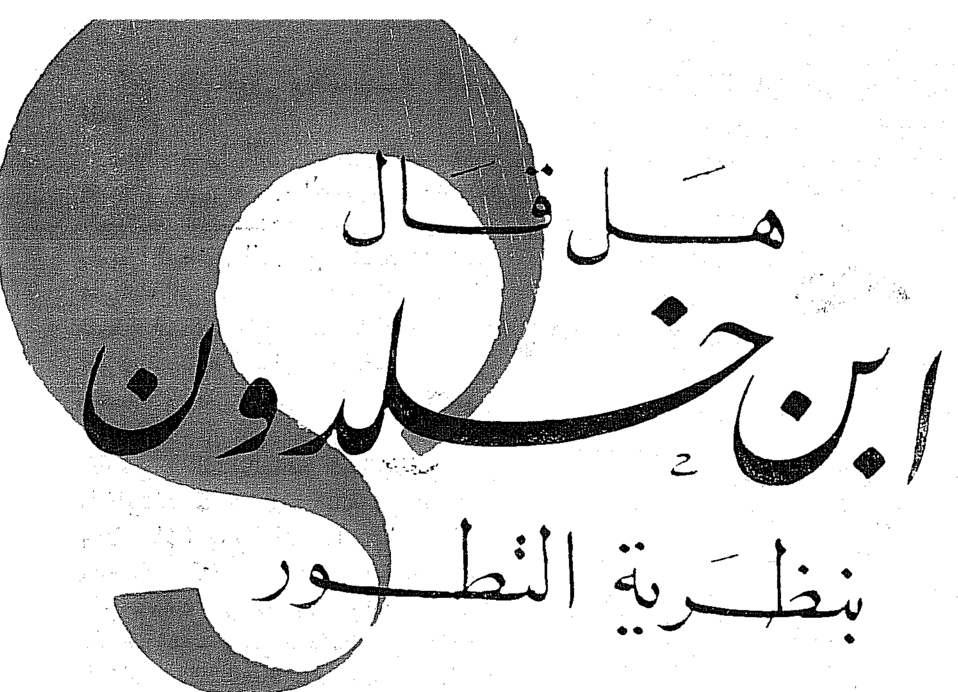
. . . .

أما بعد .. فان تبعة الفوضى الخلقية التى يخر فيها الى الأذقان جم من الشباب غفير ، لا يسأل عنها رجال الدين وحدهم ، ولكن تسأل عنها أجهزة الاعلام التى تغلب بكل ما أوتيت من امكانيات على ما يؤديه الدعاة الصادقون من خالص التوجيه وصادق النصح ، وولاة الأمور مسئولون أن ينصفوا البناة من الهادمين قبل أن تنفذ الى قلوب شباب اليوم — رجال الغد — معانى السوء ممن لم يخرجهم الاسلام فى المحاريب وحلق العالم ، وميادين الجهاد ومجالات العمل الجاد .

« وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

---

(١) **التحريم** : ٦ .
(٢) **الطور** : ٢١ .
(٣) **الاسراء** : ٨٢ .
(٤) **الاسراء** : ٩ و ١٠ .
(٥) **النساء** : ١٠٥ .
(٦) **النساء** : ١١٣ .
(٧) **هود** : ١١٦ .
(٨) **المؤمنون** : ٣٣ .
(٩) **سبأ** : ٣٤ و ٣٥ .
(١٠) **الزخرف** : ٢٣ .
(١١) **الواقعة** : ٤١ وما بعدها .



علماء المسلمين سبقوا علماء الغرب فى بحوثهم العلمية الحديثة لكنهم

لم يتطرقوا فى الاستنتاج !

عبد الرحمن بن خلدون هو عالم عربي مسلم ولد فى المغرب سنة ٧٣٢ هـ سمى بابن خلدون نسبة الى جده التاسع خالد بن عثمان ، بدأ ابن خلدون أولى مراحل نشأته الثقافية بقراءة أهم كتب الحديث والسير والفقه والأدب والتاريخ . واكتسب الى جانب ثقافته الادبية والعلمية تجارب ثمينة كان لها فضل كبير فى تكوين شخصيته الفكرية ، اذ كان عصره من العصور المضطربة ذات التغير السريع فى الاوضاع فزامل كثيرا من الحكام ، وتنقل بين دول متعددة مما أكسبه ذلك عقلية واقعية تفهمت أوضاع المجتمعات المختلفة . وكانت شخصيته العلمية جامعة ، حتى قيل إنه يعرف جميع علوم عصره بدون استثناء وتجلت موهبته فى علم الاجتماع حتى قيل إنه مؤسسه . وأوضح سنن التاريخ حتى قال عنه توينبى ((إن ابن خلدون فى المقدمة التى كتبها لتاريخه العام قد أدرك وتصور وانشأ فلسفة للتاريخ هي بلا شك أعظم عمل من نوعه خلقه أى عقل فى أى زمان ومكان .)) (١) ولقبه آخرون بأنه أبو الاقتصاد لما فى مقدمته من أبحاث اقتصادية عميقة كان الاقتصاديون الجدد يتصورون أنها من بنات أفكارهم .

للأستاذ ـــ قيس القرطاس ـــ

ابن خلـدون وتقسيمــه البديع للعوالم : ـــ

ونظـــرا لأن ابــن خلـــدون قد حاز على قصب السبق فى هــذه المجالات المتعـددة فليس غريبا أن يشير البعض الى ان مقـدمته قـد تطرقت الى نظرية حديثة أحدثت أكبر ضجة لم تستطع اثارتها أية نظرية أخرى . فماذا قال ابن خلـدون فى مقدمته ، حتى جعل الباحثون يؤكدون هـذا المعنى فى أبحاثهم . قال ابن خلدون « اننا نشاهد العالمبمافيه من المخلوقات كلها على هيئة من الترتيب والاحكام ، وربط الاسباب بالمسببات، واتصال الأكوان واستحالـة بعض الموجودات الى بعض ، وأبدأ من ذلك بالعالم المحسوس الجثمانى وأولا عالم العناصر المشاهدة كيف تدرج صاعدا من الأرض الى الماء ، ثم الى الهواء ، ثم الى النار متصلا بعضها ببعض ، ويستحيل بعض الأوقات الصاعد منها ألطف مما قبله الى ينتهى الـى عالم الأملاك وهو ألطف مــن الكل . وكل واحد منها مستعد لان يستحيل الى ما يليه صاعدا وهابطا .

ثم انظر الى عالم التكوين كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بديعــة من التدريج وآخر أفق المعادن متصل بأول أفق النبات مثل الحشائش وما لا بذر له ، وآخر أفق النبات مثل النخل والكرم متصل بأول أفق الحيوان مثل الحلزون والصدف ولم يوجد فيه الا قوة اللمس فقط . ومعنى الاتصال فى هذه المكونات ، ان آخر كل أفق منها مستعد بالاستعداد الفطرى لأن يصير أول أفق الـذى بعده .

واتسع عــالم الحيوان وتعددت أنواعه وانتهى فى تدريج التكوين الى الانسان صاحب الفكر والروية ترتفع اليه من عالم القردة الذى اجتمع فى الكيس والادراك ولم ينته الى الروية والفكر وكان ذلك أول أفق من الانسان بعده . » (٢) وقد وردت عبـارات مشابهــة لعبارة ابن خلدون ذكرها الفارابى فى المدينة الفاضلة والقزوينى فى عجائب المخلوقات وابن مسكويه فى الفوز الأصغر واخوان الصـــفا فى رسائلهم .

رأى الاستاذ درابر : ـــ ولو دقق أي باحث فى هذه الأقوال وأمثالها ، لظن أنها صادرة من أحد علماء القرن العشرين ، لما فيها من دقة فى التعبير وانسجام مع المعلومات العصريـــة الحديثة . ولقد أذهلت هذه الأقــوال بعض العلماء الغربيين ، فأعلن درابر الاستاذ بجامعة نيويورك بعد حديثه عن المنهج التجــريبى عند علماء المسلمين فقال « لندهش حين نرى فى مؤلفاتهم من الآراء العلمية ما كنا نظنهمن نتائج العلم فى هذا العصر ، ومن ذلك أن مذهب النشوء والارتقاء للكائنات العضوية الذى يعتبر مذهبا كان يدرس فى مدارسهم ، وقد ذهبوا فيه الى أبعد مما وصلنا اليــه وذلك بتطبيقه على الجوامد والمعادن . »

رأى مستشرق فرنسى :ـــ واذا كان الاستاذ درابر قــد أشار اشارة عامة الى علماء المســلمين بــدون تخصيص ، فان البروفسور فنساى مونتاى مدير معهــد افريقيا وأستاذ اللغــة العربية والحضارة الاسلامية فى جامعة باريس قد أعلن أن نظــرية أصول الاحياء التى تعرف باسم نظرية داروين كانت قد وضعت لأول مــرة من قبل ابن خلدون . وقال ان ابن خلدون كان قد تحقق مــن علاقات الانسان قبل داروين بوقت طويل فانه كان رائد علم الاجتمــاع والتاريخ ، وتناول فى بحثه جميعنواحى الحضارة وموقع الانسان فى الكون (٣) .

آراء الكتاب المعاصرين :ـــ ولما كان اعتراف الخصم يشكل شهادة لا

تمارى فى غالب الأحوال لذلك اعتبر الكتاب المعاصرون هذه الشـهادة اعترافا بأصالة وعراقة الحضـارة الاسلامية ورقى العلم فيها وذلك حق من ناحية العموم ، الا أن الجزئيات الواردة فى شهادته ليست صحيحة تماما . وقد اهتم الكتاب المعاصرون بجمـع الأقوال الصادرة من علمـاء المسلمين والمشابهـة لأقوال أنصار التطور ، وأشهر هؤلاء الكتاب الاستاذ العقاد فانه قد خصص لها فصلا خاصا فى أحد كتبه (٤) . أما الدكتور عـلى عبد الواحد وافى فقد ذكر أقوال ابن خلدون وعلق عليها بما يؤكد أن ابن خلدون سبق داروين فـى نظريته هذه (٥) . وقد وقف الاستاذ ساطـع الحصرى عند هذه النقطة بالـذات وبين أن الطبعات الشرقية قد وقعت فى خطأ فحرفت كلمة عالم القردة الى عالم القـدرة (٦) ، وأن التحريف المذكور قد مسخ معنى الجملة وبعد بها عن معنى التطور وقد أكد الاستاذ عمر فروخ أن أول من نبه الى هـذا الخطـأ كـان الاستـاذ ساطـع الحصرى (٧) . .

آراء أخرى : ـــ ان الذى لا شك فيه أن ابن خلدون قد اثبت فى عبارته المدهشة هذه أساس علم التصنيف الحديث . ومن المعلوم أن أنصـار التطور يعتبرون التصنيف دليلا على صحة نظرية التطور فليس من الغريب أن يعتبروا ابن خلدون من أنصارهم . ولعل تقسيم ابن خلدون للعوالم ادق من التقسيمات الحـديثة التى تقسم الكائنات الى مملكتين ، المملكة النباتية والمملكة الحيوانية التى تضم الانسان والحيوان . أما ابن خلدون فيعزل عالم الحيوان من عالم الانسان وكأنه يقول انهما عالمان مختلفان . وعلى هذا الاساس لا نعتقد أن ابن‌خلدون قد أراد من عبارته هـذه أن الأرض تتحول الى ماء والماء يتحول الى هواء والهواء يتحول الى نار ، أو أن المعدن يتحول الى نبات والنبات يتحول الى حيوان والحيوان الى انسان . وأود أن ألفت النظر الى أن أنصـار التطور يركزون على هذا المعنى الأخير ألا وهو تحويل الحيوان الـى انسان . وهذا المعنى مستبعد صدوره عن ابن خلدون لأنه يتناقض تناقضا واضحا مع عبارة صريحـة أوردها فـى تاريخه الذى يشكل مع المقدمة كتابا واحدا فى حقيقة الأمر . فقد قال عند حديثه عن مبدأ البشرية « ان النسابين كلهم اتفقوا على أن الأب الأول للخليقة آدم عليه السلام كما وقع فى التنزيل ، الا ما يذكره ضعفاء الاخباريين من أن الجن والطم كانتا فيما زعموا قبل آدم وهو ضعيف متروك . وليس لدينا من أخبار آدم وذريته الا ما وقـع فى المصحف الكريم وهو معروف بـين الائمـة . » (٨) ومن الجدير بالذكر أن الاستاذ شكيب أرسلان قد أورد ردودا حاسمة على نظرية داروين ، فـى تعليقاته على التاريخ المـذكور فقال « وممن اشتهر فى الرد على مذهب داروين الانجليزى ولامارك الفرنسى فى النشوء والارتقـاء ، الأستـاذ فيالتون المدرس فى جامعة مونبلييـه والاستاذ موريس توماس البلجيـكى وغيرهما ممن يقولـون إن مـذهب لامارك وداروين مناقضان للعلم . . وكان الكيمياوى الفرنساوى برتلـو وهو من أشهر علماء الطبيعة ينعت مذهب داروين بقوله قصة دارويـن الخياليـة وقصيـدة لامـارك الفكرية . »(٩) وليس من المعقـول أن يكلف الاستاذ شكيب أرسـلان نفسه بالرد على نظرية يؤمن بها ابن خلدون فى تعليقاته على التاريـخ المذكور بدون أن يشير الى ذلك وهو خير من أوقف نفسه لدراسة وفهـم آثار ابن خلدون .

المعنى الحقيقى لهذه الاقوال : ـــ فما معنى أقوال ابن خلدون اذن ؟ وما هى النظرة العلمية لعلماء المسلمين

فى هذا الموضوع ؟ ان الأديب غالبا ما يتكلم بلغة العصر الذى يعيش فيه وكثيرا ما يقع الباحث المعاصر فى خطأ عند محاولته فهم أقوال العلماء الذين عاشوا فى غير عصره بعقلية الزمن الذى يعيش فيه الباحث الحديث . فلا أدرى كيف تم تفسير أقوال ابن خلدون بما يتفق وعقلية العصر الحديث المسمى بعصر التطور وكيف يستقيم ذلك وابن خلدون قد بين بوضوح أن أبا البشرية هو آدم . وهذه العقيدة تختلف اختلافا أساسيا مع رأى التطوريين الذين يقولون إن الانسان متسلسل من حيوان . نعم انه كان يرى أن المخلوقات على هيئة من التدرج كدرجات السلم . وان أصناف الحيوانات المختلفة تشغل قسما من درجات هذا السلم ، الراقية منها تجلس على أعلى درجات هذا القسم ، أما الحيوانات البسيطة فتجلس على أسفلها . وبالمثل النبات يحتل آخر درجات هذا السلم . أما الانسان فهو يجلس على القمة العليا لهذا السلم ، وبينه وبين أرقى الحيوان تفاوت بعيد وهائل . وان كان الحيوان أقرب اليه من النبات والحيوان الراقى أقرب اليه من الحيوان البسيط ، ولكن بين هذا المعنى الذى أراده ابن خلدون والمعنى الذى يريده أنصار التطور مفاوز شاسعة . ومن أجل ذلك نرجح الرأى السديد الذى يقول إن « مذهب النشوء والارتقاء كما قرره دارون وولاس شىء آخر غير ما قرره المسلمون فى بحثهم العلمى المؤمن البرىء من لوثة الهروب من الكنيسة وإله الكنيسة فى العالم الغربى . وقد لاحظ علماء المسلمين التدرج بين مراتب الخلائق وبدأوا من صفات المادة الجامدة ، ورأوا أنها تنتهى عند أول مراتب الحياة النباتية ثم تترقى هذه الحياة ولكنهم ردوا كل ذلك الى تقدير وفاعلية الله . أما دارون فقد حرص على نفى تدخل أى عنصر غيبى فى النشوء والارتقاء كذلك لم تتطرق الى بحوث المسلمين لوثة تحقير الانسان وتجريده من كل عنصر روحى ورده الى أصل حيوانى فالنظرية الاسلامية صحيحة فى أن الانسان خلق مستقلا . وان كان يجلس على قمة مراتب الكائنات الحية من حيث تكوينه العضوى واستعداده العقلى والروحى . ولكنه كان هكذا لأن الله سبحانه أنشأه ابتداء كما أنشأ سائر الخلائق فى مراتبها التى وجدت عليها . فهناك فارق كبير فى أصل النظرة مع سبق المسلمين فى البحث العلمى . » ولهذا نميل الى هذا الرأى لأنه أقرب الى روح العصر الذى عاش فيه ابن خلدون ولا يتناقض مع أقواله الصريحة فى مبدأ الخليقة .

---

١ ــ دراسات فى مقدمة ابن خلدون« ٢٦٠ ــ ٣٠١ » سنة ١٩٦١ ساطع الحصرى.

ــ٢ ــ مقدمة ابن خلدون . « ص ٩٦ » ــالقاهرة طبعة مصطفى محمد ــ عبد الرحمن ابن خلدون .

٣ ــ مجلة المكتبة العدد (٦٥) أ ب ١٩٦٨« ص ٦٠ » (مكتبة المثنى فى العراق .

٤ ــ الانسان فى القرآن الكريم « كتاب الهلال رقم ١٢٦ » (ص ١٠٣ ــ ١١٤) عباس محمود العقاد .

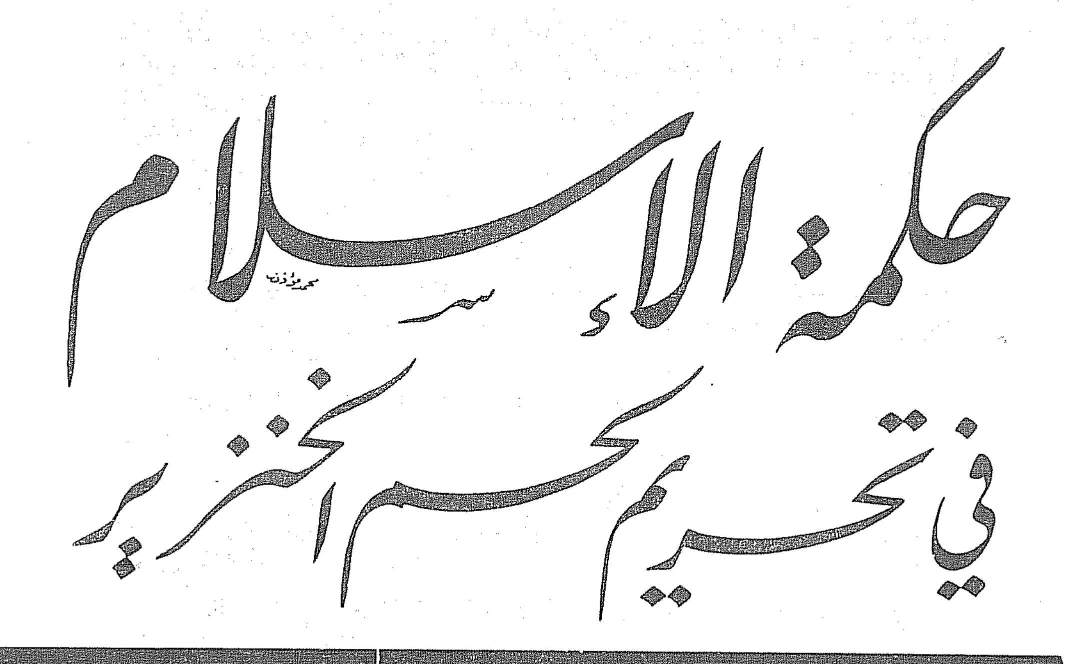
٥ ــ عبد الرحمن بن خلدون « سلسلةأعلام العرب رقم (٤)) « صحيفة ٣٢٠ » ــ الدكتور على عبد الواحد وافى .

٦ ــ دراسات فى مقدمة ابن خلدون« ٢٦٠ ــ ٣٠١ سنة ١٩٦١ ساطع الحصرى .

٧ ــ تاريخ العلوم عند العرب « دارالعلم للملايين » « صحيفة ٢٦٤ » عمر فروخ .

٨ ــ تاريخ ابن خلدون « محمد المهدى الجباى » « الجزء أ / صحيفة ٤ ــ ٥ » عبد الرحمن بن خلدون .

٩ ــ تعليقات الامير شكيب على التاريخ« صحيفة ٣٨ ــ ٣٩ » المجلد الاول الامير شكيب أرسلان .



للدكتور أحمد شوقي الفنجري

كثيرا جدا ما يتعرض أى انسان مسلم وخصوصا اذا كان يزور بلدا أجنبيا فى أوروبا أو أمريكا أو حتى آسيا الى سؤال هام حول الحكمة فى أن الاسلام قد حرم لحم الخنزير .

وفى أغلب الأحيان يبادر المسلم الى الرد دفاعا عن دينه بقوله : ان الخنزير حيوان نجس وكريه المنظر وقذر ، ولهذا حرم على المسلمين أكله ، ولكن العقلية الأوروبية لا يقنعها الحديث العاطفى ، ولا الكلام النظرى ، بل تقتنع بالحقائق العلمية وبالمنطق المدروس ..

وقد تعرفت فى احد رحلاتى بعالم فرنسى متخصص فى دراسة الأديان ، ودعانى الصديق الفرنسى الى الطعام فى أحد المطاعم ، فما ان جلسنا معا حتى بادرنى بالاعتذار فى أدب فرنسى قائلا : هل يضايقك لو أننى طلبت لحم خنزير فى طعامى ؟

قلت : عندنا مثل عربى يقول : « كل ما يعجبك والبس ما يعجب الناس » . فاستطرد الصديق الفرنسى قائلا : أرجو أن تعذرنى اذا قلت لك

يا دكتور ان رأيى الشخصى فى لحم الخنزير أنــه من ألذ اللحــوم وأحلاها طعما .. وقد درست الأديان جميعا ولى كتب ومؤلفات عنها .. فالبوذية مثلا تحرم لحم البقر كنوع من العبادة ، ولكن الأمر الذى يحيرنى حقا ولم أجد له جوابا مقنعا من أى مسلم مثقف ، هو أن الاسلام برغم أنه دين منطقى ومعقول فهو يحرم لحم الخنزير ، فهل هناك فى عملك كطبيب ما يثبت أن لحم الخنزير ضار بالصحة مثلا .. ؟

قلت : نعم أنا مستعد أن اقنعك طبيا .. ولكن أرجو أن لا تفسد هذه المناقشة شهيتك للأكل . فقال : لا تخف على شهيتى أبدا فأنا منذ ولدت آكل لحم الخنزير ولن يتغير رأيى فيه الا بالحقائق العلمية وحدها . ويكون ذلك حقا معجزة .

قلت : ان هناك على الأقل ثلاثة أسباب طبية وعلمية تجعــل لحم الخنزير محرما على الانسانية كلها لا على المسلمين وحدهم .

أولا : « انك تعرف من دراستك العملية أن هناك نوعا من الطفيليات اسمه الدودة الوحيدة أو الشريطية أو الــ Taenia تصيب الانسان عن طريق أكله لحوم الحيوانات .

فقال : نعم ومن المعلوم أنها تصيب الانسان عن طريق لحم البقر أو الغنم وليس لحم الخنزير وحده .

قلت : مهلا ولا تتعجل ، هل تعرف الفارق بين دودة الخنزير ودودة الحيوانات الأخرى كالبقر والأغنام ؟ هناك فارق كبير .. فدودة الخنزير اســمها العلمــى Taenia Solium وذلــك لتمييزهــا عن دودة الحيوانات الأخرى المسماة Taenia Saginata وليس المهم فى الفرق ، هو المنظر والحجم والأوصاف العلمية ، ولكن الفرق بينهما فى مقدار الضرر بالانسان ، والخطر على حياته ، فدودة الغنم تصل الى الأمعاء وتعيش فيها وتحدث أعراضا طفيفة ، ويمكن التخلص منها ببعض الأدوية . أما دودة الخنزير فانها لا تكتفى بالحياة فى الأمعاء ، ولكنها غالبا ما تتجه الى الأعضاء الحيوية فى الجسم كالمخ والعين والقلب والرئة والكبد ، وتكون هنــاك حوصلة فى حجم حبة الفول أو أكبر .

فاذا كانت فى المخ أحدثت الجنون ، أو الشلل واضطراب الشخصية ، واذا وصلت الى العين أصابتها بالعمى ، واذا وصلت جدار القلب أحدثت هبوطا فى القلب أو ذبحة قلبية ، وفى بعض البلاد الموبوءة بهذه الدودة ، مثل أمريكا اللاتينية ، اذا ظهر على أى شخص أعراض الجنون أو التشنج أو العمى أو الموت المفاجىء يعرفون فى الحال أنه قد أصيب بدودة الخنزير وفى غير المناطق الموبوءة قد يكون تشخيص الحالة مستحيلا ، وغالبا يموت الشخص دون أن يعرف سبب وفاته ، كما أن العلاج قد يكون مســتحيلا وذلك لأن الحوصلة لها جدار سميك لا تستطيع الأدوية بالفم التأثير عليه .. وهذا فى علمى أحد الأسرار التى جعلت الاسلام يحرم لحم الخنزير .

فأطرق الصديق الفرنسى فى تأمل وتفكير وقال : ــ
هذا وحده سبب كاف وحجة مقنعة .

قلت : وهناك سبب آخر لا يقل عن هذا أهمية .. ولكى اقنعك به أسألك أولا لم لا يأكل الانسان لحم القطط والكلاب والذئاب والثعالب ، وربما كان لحمها لذيذا مثل لحم الغنم .. وما هو شعورك لو قلت لك مثلا وأنت تهم بأكل لحم انه ليس لحم أرنب ولكنه لحم قط أو كلب مثلا ؟

فقال : أصاب بالغثيان والقىء .

قلت : لماذا .. ؟ هل تعرف السبب العلمى وراء ذلك بصرف النظر عن الأسباب العاطفية والانسانية التى اتفقنا فى أول حديثنا على تجاهلها ..

قال : لا أعلم .

قلت : المعروف علميا أن الحيوانات تنقسم الى قسمين : ــ

قسم يسمى آكلات الأعشاب Hanbivona مثل الغزال والجمل والأرنب والغنم .

وقسم يسمى آكلات اللحوم Cannivona مثل الأسد والذئب والثعلب والكلب والقط .

ومنذ خلق الله البشر حتى اليوم ، أى حتى فى العصور المختلفة التى كان الانسان فيها أقرب الى الحيوان ، لم يحاول الانسان أن يأكل لحوم الحيوانات آكلات اللحوم الا فيما ندر ، وفى الظروف الشاذة ، أو فى بعض القبائل المتخلفة جدا ..

وفى علمى أنه لم تحدث أبحاث علمية لاكتشاف السر فى هذه الحقيقة الانسانية ومعرفة أسبابها ، ولكن هناك ملحوظات لا يمكن اغفالها .

١ ــ ان الحيوانات آكلة اللحوم تكون أكثر ذكاء ووعيا ، وربما كانت تفهم معنى الذبح والأكل ، كما يفهمه البشر ، فأنت لا تستطيع أن تأكل كلبك ، لأنه يحس ويدرك ويتألم مثلك وله مشاعر كمشاعرك .

٢ ــ الملاحظ على القبائل المختلفة التى تأكل آكلات اللحوم أنها تصاب بنوع من الشراسة والميل الى العنف ، والقتل بدون سبب الا الرغبة فى سفك الدماء ، بل ان أكثرها فعلا يأكل لحم البشر .

٣ ــ وهناك رأى آخر يحسن بى أن لا أغفله وان كنت غير متأكد من صحته ، وهو أن أكل هذا النوع من اللحوم يسبب فى الانسان نوعا من الميل الى الفوضى الجنسية ، بمعنى أن علاقاته الجنسية يغلب عليها الفوضى والبدائية وعدم المبالاة لموضوعات العرض والشرف ، وانعدام الغيرة على النساء .

فاذا جئنا الآن الى موضوع حديثنا وهو الخنزير لوجدنا انه يعتبر علميا مرحلة بين آكلات اللحوم ، وآكلات الأعشاب ، وحتى تركيب جسمه وكبده وأسنانه تجعله ينتمى الى آكلات اللحوم أكثر من آكلات العشب . وأسوأ ما فيه أنه لا يأكل اللحم الطازج العادى ، ولكنه يأكل اللحم المتعفن ، أى الرمم وبقايا الحيوانات الأخرى مثل ابن آوى .

حقيقة انكم فى أوروبا تضعونه فى حظائر نظيفة لا يصل الى مستوى المعيشة فيها بعض البشر ، ولكن الخنزير برغم هذه النظافة قد يأكل براز الحيوانات الأخرى التى معه ، أو برازه . .أو أى فــأر ميت يجــده فى طريقه .

والآن يا صديقى العزيز ، اذا حاولنا تطبيق هذه الحقائق على الرجل الشرقى الذى لا يأكل لحم الخنزير ، وعلى الرجل الغربى وبدون أى شعور بالحساسية من هذه المقارنة لوجدنا أن هذه الفروق تنطبق على الاثنين تماما ، فالغربى أكثر ميلا الى العنف والحرب من الشرقى الذى اشــتهر بالوداعة وحب السلام . والشرقى أكثر غيرة على النساء ، ومحافظة على التقاليد من الغربى ، فهل ياترى قنعت بالسبب الثانى ؟

فتبسم صديقى وقال ـــ نعم فما هى حجتك الثالثة ؟

قلت : من المعروف لدى الأطباء الباطنيين عامة أن لحوم الحيوانات تنقسم من ناحية سهولة الهضم والامتصاص ، ومن ناحية التأثير الصحى على الكبد الى نوع ثقيل ، وآخر خفيف وذلك بالنسبة الى كمية الدهنيات التى تحتويها . .

والطبيب اذا جاءه مريض بعسر الهضم ، أو مرض الكبد ، فانه ينصحه بعدم أكل الدهنيات واللحوم المدهنة محافظة على صحته ، ومن المعروف أن لحم الخنزير أكثر اللحوم دهنا ، ثم يأتى بعده لحم الغنم ثم لحم البقر الذى يعتبر أقلهم فى نسبة الدهن .

وهذا سبب ثالث من الناحية الطبية والعلمية فقط لتحريم الاسلام لحم الخنزير ، وربما كانت هناك أسباب أخرى دينية ، أو فلسفية ، وهذه يسأل فيها أهل الاختصاص .

ولعلك اقتنعت . قال : صديقى الفرنسى وهو يزيح صــحن لحم الخنزير من أمامه :

لقد أفلحت حقا فى اقناعى وتلك معجزة .

قلت : المعجزة لله وحده الذى نهانا عن لحم الخنزير قبل أن يكتشف العلم الحديث ضرره بأربعة عشر قرنا من الزمان . .

مكتبة المجلة

الوسيط
فى احكام التركات والمواريث

الأستاذ زكريا البرى فقيه معاصر ، عمل فى الفتوى والتدريس ، وشغل عدة مناصب ، فهو أستاذ الشريعة الاسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة ، ورئيس قسم الشريعة بجامعة الكويت ، وقد صدر له هذا الكتاب الذى ضمنه خلاصة وافية فى أحكام التركات والمواريث كما جاءت فى الفقه الاسلامى بمذاهبه المتعددة ، وكما هو المعمول بـه بمقتضى النصوص القانونية .

وقد ربط فى هذا الكتاب بين الأحكام وأدلتها الشرعية ومواردها القانونية بعد أن وقف على المواطن التى يكثر السؤال عنها والخطأ والاشتباه فيها ، والتى تحتاج الى مزيد من البيان والتوضيح وتحرر المراد . ويقع الكتاب فى ٣٢٠ صفحة ، والناشر دار النهضة العربية بالقاهرة .

.. مدى حرية الزوجين فى الطلاق ..

كتاب يقع فى جزءين كبيرين — ١١٠٠ صفحة — من تأليف الدكتور عبد الرحمن الصابونى عميد كلية الشريعة بجامعة دمشق .. وهو أول رسالة منحتها جامعة القاهرة لخريجى معهد الشريعة الاسلامية للدراسات العليا .. نال بها المؤلف درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الأولى . والكتاب كما قال عنه الدكتور مصطفى السباعى : أول كتاب أفاض فى موضوع الطلاق بحيث يعتبر مرجعا فى هذا الموضوع ، واعتمد المؤلف مبدأ : الأصل فى الطلاق والخطر . وبذلك اختار من كل مذهب ما يؤدى الى تضييق نطاق الطلاق ، وعالج بعض الآراء الخاطئة حول الزواج ... وادعاءها أنه سبب فى انتشار تشرد الأطفال ، وكانت مناقشته هادئة ومعتمدة على العقل والاحصاءات الرسمية ...

ويحاول المؤلف بكتابه هذا أن يوحد بين قوانين الأحوال الشخصية فى البلاد العربية ، وفى أكثر من موضع عقد المؤلف مقارنة بين أحكام الشريعة الاسلامية فى الطلاق وبين ما ورد فى القوانين الأجنبية .. وأبان عن موضوعية الاسلام .. ومعالجته للواقع .. وبناء أحكامه عليه . والكتاب من طبع دار الهاشم — بيروت .. والناشر دار الفكر .



خطران فى وجه الشباب لا بد من مواجهتهما مواجهة حاسمة ووضع الكلمة الأخيرة فيهما : هما :

أولا) تلك الحملة الضارة التى تقودها فى الخفاء قوى الاستعمار العالمى واجهزته المنبثة فى كثير من مجالات الصحافة العالمية والاخـــراج المسرحى والسينمائى والتعليم وتقوم بها مؤسسات التبشير والاستشراق والغزو الثقافى ، تلك هى القول بان « الجيل الجديد لا يقبل التوجيه من الجيل القديم وانه جيل بلا اساتذة ، وانه مطلق الحرية فى اختيار طريقه دون وصاية من أحد » .

وتحمل هذه الدعوى بعض مظاهر الحق لتقصير الآباء والأساتذة وفسادهما من حيث القدوة والمثل الأعلى ولكنها تضمر ذلك التوجيه الخفى الموجه الى كراهية الآباء والاساتذة والجيل القائم اليوم فى مجال الثقافة والتربية والتعليم وكراهية التراث القديم كله ، والانفصال عن المجتمعات فى تطورها ، وعن الامـــة فى خطوها ، وعن القيم الاساسية التى عرفها العرب والمسلمون والتى هى سنادهم

القوى فى وجه حملات الغزو الخارجى التى لم تتوقف خـــلال تاريخهم كله .

ان من حق الشباب أن يكون له ذاتيته الخاصة وان يتاح له عن طريق كل المتعاملين معـــه فى الأسرة والمدرسة والبيئة افساح الطريق لتكوين طابعــه المستقل الذى هو طابع الامة فى مستقبلها .

ولكن السؤال هو : مم تتكون هـــذه الذاتية التى ستحمل لواء قيادة هذه الامة فى المرحلة القادمة . أليست تتكون من هـــذا الواقع الذى نعيشه ، ثم تصبح امتدادا له ، اذن فلا سبيل لها لان تنفصل عنه ، وانما هى تبدأ منه أساسا ثم تنمو فتجدده لتضيف فى الجيل القادم لبنة فى البناء ، اذن فليس هناك حركـــة فى فراغ ، وليس فى وسع الشباب أن ينفصل عن أمته ومجتمعه وعن الجيـــل المعاصر لـــه ..

وليس من مصلحته مطلقا ان يكون بغير اساتذة ، الا اذا كان قـــد استطاع ان يشكل نفسه على نحو أكثر اتصالا بقيم هـــذه الامة ومما يجده فى جيله وذلك استمدادا من المثل العليا المتقدمة فى تاريخه ومن بطولات الاعـــلام السابقين فى مجال الفكر والقيادة .

أما اذا كانت هـــذه الصيحة تحاول ان تخرجه عن القيم والمقـــدرات الاجتماعية والدينية والاخلاقية لتدفعه الى الانطلاق نحو مظاهر الحضارة ، فان صاحب هـــذا القول هو عدو مبين ، والدعاة الى هذه الحرية لا يريدون الخير بهذا الشباب لانهم يدفعونه الى تحطيم ذاته ، وتدمير نفسه ، بالاندفاع كراهية

منعه من خبرة الأجيال وإنكار المسؤولية والجزاء

للأستاذ أنور الجندي

عضو المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة

أو هربا من محاولة وهمية يطلق عليها اسم وصاية الآباء أو الجيل القائم ، أو توجيهه .

ومن الحق ان الامر ليس فيه وصاية او توجيه على النحو الذى يحول دون حرية الحركة للشباب ، بل هى مرافقة النبت الصغير حتى ينمو ، وحمايته من العطب ، وتسديد خطاه فى وقت تقصر فيه العيون عن النظر البعيد كما تقصر العقول عن الاستيعاب الواسع .

ومن حق الشباب ان ينتفع بكل ما فى طريقه من خبرة وتجربة سابقة حتى لا يقع فى نفس الاخطاء التى وقع فيها من جاءوا قبلـــه وحتى يبنى نفسه عـــلى نحو اكثر قوة وحيوية ، ولذلك فان الشباب الصاعد الطامح هو الذى يجب ان يسعى للبحث عن تجارب السابقين ، سواء فى مجال الحياة الاجتماعية او فى أمور التاريخ والحضارة لانه لن يستطيع ان ينظر فى الواقع القائم الا اذا كان قد الم بالمراحل السابقة : والتجارب الماضية باخطائها وانتصاراتها ولن يستطيع ان يبنى لبنة واحدة الا اذا عرف الى أى حد وصل البناء ، وتجـارب الامم هى زاد الأجيال المؤهلة لتولى زمام الامور فى بلادها ، فاذا انفصلت أجيال الشباب الجديد عن هذه التجارب فقد فاتها الكثير وقصر امامها الطريق وضاق .

ثانيا) تلك الاخطار الوثنية الفلسفية التى تروجها بعض المذاهب الفلسفية والتى تحاول القول بان الحياة الدنيا التى نعيشها هى الحياة وانه ليس وراءها حياة أخرى ، ومن هنا فان على الانسان ان يأخذ حظه من كـل متعة ولذة ، دون ان يعمل حسابا لاى شيء آخر ..

وليس فى هذه الفكرة من حق يقال به ، ولكنها دعوة لا يقرها العقل قبل ان ترفضها الاديان وتنكرها القيم الانسانية التى عرفها العـــرب والمسلمـــون منذ قرون ..

واذا كانت هذه الدعوى تروج فى الغرب وفى بيئات قامت فى اساسها على الوثنية فانها لا تجد قبولا فى عالم المسلمين والعرب . واذا روج لها فان المزاج العربى الاسلامى لن يقبلها وان الذاتية العربية المسلمة ترفضهـــا مهما بدا بريقا لامعا فى العيون : عيون الشباب التى لا ترى الا من خـــلال العاطفة الحادة أو الحس الذى لم يستقر بعد ..

وان مثل هذا القول على اطلاقه فيه امتهان لانسانية الانسان ، فهو انكار للمسئولية الفردية أساسا التى هى منطلق الشخصية الانسانية ، فضلا عما فيه من الغاء للحدود والقوانين التى تحول دون طغيان فرد على حرية الآخرين .

وليس من المعقول اطلاقا ان تكون الحياة فوق هذه الارض هى كل شيء ، وان يكون الموت هو نهاية هذه الحياة ، ولا بد أن يكون للوجود الانسانى فوق الارض حكمة ، وان يكون للانسان نفسه رسالة وان تكون قدرته على الحركـــة فى حرية سواء فى اتجاهه نحو الخير أو الشر لها مسئوليتها وتبعتها ، ولها من بعد ذلك حسابها وجزاؤها ..

ومن ثم فان ارتباط حياة الانسان على هـــذه الارض بحياته الأخرى ، هو ارتباط بين الجزء والكل وبين الفعل ورد الفعل وبين العمل والجزاء ، وليس الموت الا فاصلا رقيقا بينهما .

ولا قيمة للحياة اذا لم تكن لها رسالة يقف منها الانسان موقف التجربـــة والتحدى ، بين اخطار الشر ودوافع الخير ، ولا بد لهذه الرسالة من حساب وجزاء ، واجر كبير للقادرين على الصمود فى التجربة ، ولا بد من عقاب كبير

للذين عجزوا عن اداء الرسالة أو ضعفوا عن احتمال التبعة ، ولذلك فالعمل فى هذه الحياة محسوب ، له وزنه وتقديره ، ولن يكون انطلاقا لارقابة عليه .

ومن الحق ان يقال ان كلا الدعوتين والخطرين هما مما تروجه القوى الاستعمارية والصهيونية كأسلوب بعيد المدى فى محاولة تدمير الجيل القادم الذى سيتولى مصائر الامور فى هذا الوطن بعد عشرين أو ثلاثين عاما ، وان محاولة تدميره من الان انما تجعل امر سيطرة هذه القوى الاستعمارية على الامم سهلا يسيرا فانها تضمن من الآن انها لن تجد مقاومة ، وسوف تجد جيلا هشا ضعيفا مدمرا فى قيمه ومعتقداته ، ومن ثم تسهل السيطرة عليه واحتواؤه .

هذا هو الهدف الخفى وراء اذاعة دعوى تحرر الشباب من توجيه الآباء ، واغراء الشباب بالثورة على أهله وآبائه ، والخروج عن واقع مجتمعه ، والاندفاع الى أقصى الغايات فى التماس اللذات والرغبات .

ولقد كانت القيم الاسلامية من اكبر العوامل اثرا فى بناء الشباب وحمايته مع منحه كل الحرية فى تشكيل نفسه على نحو مخالف لاجيال الآباء ، فقد قدمت هذه القيم خطة ذات شقين متلازمين :

(الشق الاول) : بناء الشباب على اساس الخلق والايمان بالله والصلابة والصمود بالرياضة والرمى ، وتعميق الثقافة بالقرآن والسنة وحكمة التاريخ وعظمة اللغة العربية ، وتقدير النوابغ والابطال الذى يزخر بهم تاريخ المسلمين والعرب ، والتشكل على نحو واضح فى الثقة بالنفس ، والتاريخ ، والاعتزاز بالاسلام والعروبة وامجادها .

(الشق الثانى) الاعتراف بالنفس الانسانية ومطامحها وأهوائها ونوازعها والاعتراف بما للحس والذات من أثر واضح عميق فى الكيان الانسانى والوعى العميق بخطر الاندفاع فى تحقيق هذه اللذات عن غير طريق الزواج المشروع ، مع التوسط فى اللذات حماية للكيان الانسانى من التدهور والانهيار .

ومن هنا فقد كانت العلاقة بين الاجيال الجديدة والاجيال القديمة هى علاقة تقدير من ناحية الأبناء وعلاقة حب ووفاء من ناحية الآباء ، ايمانا بذلك الامتداد الذى لا ينقطع بين الأجيال اخذا وعطاء ، غير أن النفوذ الاستعمارى ومن ورائه قوى الغزو « الثقافة والتغريب » كان حريصا على ان يدمر هذه البراعم الجديدة ويحطمها ويحول بينها وبين فهم حقائق الامور ، ومن ثم كانت الثقافة الوافدة عاملا هاما فى اذاعة أدب الجنس ، من قصص وافلام ومسرحيات وصور عارية ، وقد رافق ذلك دعوات فلسفية صيغت خصيصا لتحطيم مقومات الامم والشعوب ، وهى الفلسفات التى تحمل لواء الاباحية النفسية وتحرير « الوجود » النفسى من القيود واطلاق الذات الانسانية من كل القيم ، ودفعها الى مجال الاغراء والمتعة دون ضوابط لا بد منها ، أو قوائم اساسية لتنظيم الحياة الاجتماعية وحماية الكائن الحى وحماية المجتمع نفسه مع ارهابها بخطر الكبت واثره فى العقل وهى اخطار ثبت علميا كذبها وتضليلها وهدفها الماكر الخطير .

ولا بد ان تجد مثل هذه الدعوات تقبلا واعجابا من الشباب المراهق الذى لا يعرف مدى الاخطار التى تكمن وراءها والذى لم يجد من الحماية الذهنيــــة والروحية ما يكشف له الخطر أو يبين له وجه الحقيقة بعد ان بعد هذا الشباب عن دينه وخلت معظم المناهج من تربيته تربية روحية تكون له حصنا ضد أخطار الدعوات البراقة والاغراء الذاتى .

وهنا تبدو أهمية « تجربة الآخرين » (١) وحاجة الشباب اليهــا لحماية وجوده الذاتى ، واستشراف المستقبل ومعرفة الحاضر ، ان علينـا أن نعرف ان محاولة الوقيعة بين الجيل الحاضر والاجيال الجديدة هى احدى مؤامرات الصهيونية والاستعمار لعزل هذا الشباب الجديد عن التراث والماضى والقيم الاساسية ، ثم تدميره بالتيارات الجديدة الخطيرة من الفلسفات ومن اشاعـــة انواع جديدة من الملابس والزينة من شأنها ان تزيل الفوارق بين الرجل والمرأة وتعطى الرجل صورة المرأة بانشاء السوالف وتغزير الشعر وتعطى المرأة صورة الرجل بالملابس والسراويل الطويلة . وتلك من اخطر المحاولات لازالــة الفوارق الاساسية بين الرجل والمرأة ، ونقل قيم المرأة الى الرجل ونقل قيم الرجل الى المرأة وبذلك تختلط الطبائع ويفقد الجنس أقوى مقوماته استقلاليته وذاتيته . هذا مع ملاحظة ان السوالف تقليد يهودى ..

ومن أخطر الوسائل التى يحمل لواءها الاستعمار والصهيونية : اعلاء اخبار الجنس والجريمة فى الصحافة والسينما .

ومن خلال عدد من الصحف والمجلات التى تصوغها دوائر الاستعمار وتذاع فى مختلف انحاء العالم العربى نجد (اسطورة طرزان) التى تمثل الرجــل الاوربى القوى الذى يعيش فى مجاهل وغابات أفريقيا وهو بطل آلاف القصص والأفلام التى تخدم الاستعمار . وبجواره يعيش الرجل الافريقى والعربى والمسلم ذليلا ضعيفا مسحوقا .

ونجد « جيمس بوند » البطل الزائف الذى يتمثل فى صورة المقامر الأفاق ، ورجل المقالب الذى لا يتحلى بفضيلة ما ، والذى تقوم بطولته على أساس ان الغاية تبرر الواسطة ، والتى تجعل من الثراء والقوة مصدرا لها . مع امتهان كل القيم والفضائل .

وترد هذه المثل فى مجلات توجه الى الأطفال والشباب وهو عمل خطير مخطط يراد به تدمير الاجيال التالية والمعروف أن كل ما يصل الى أذهان الصغار لا يتلاشى منها وانما يبقى فيها طويلا ويكون تأثيره من بعــد عميق الأثر .

وجملة القول فى مجال الشباب هو تأكيد معنى واحد هو مفتاح كل المعانى وفيه تفسير لكل الأخطار ، ذلك هو ان من وراء ثقافة الشباب تحديا كبيرا ، يوجهها ويصوغها دون أهلها الذين اهملوها هو التحدى الاستعمارى الصهيونى الذى يحاول ان يصنع الشباب على نحو يجعله اداة خالصة لاهوائه واغراضه .

فعلى العرب والمسلمين ان يواجهوا هذا الخطر فى حسم وأمانة حتى يحفظوا هذه الاجيال الجديدة ويحموها من الاخطار التى سوف تكون اشد خطرا على مصير العرب والمسلمين من الاخطار التى يواجهونها الآن .

---

(١) لا بد ان تكون « تجربة الآخرين » قائمة على اساس اهــل الوطن والفكر مــن الصادقين المخلصين ، لا من أولياء النفوذ الاستعمارى والتابعين لدعاة التغريب او خريجى الارساليات التبشيرية (الكـــاتب) ..

مؤتمر المراكز الاسلامية

اعداد : عبد المعطى بسيومي

ثمرة من ثمار الأمانة الاسلامية العامة التى تولى ببحثها وعنايتها ما يتعلق بامور الاسلام والمسلمين عقد مؤتمر المراكز الاسلامية فى مدينة الرباط عاصمة المملكة المغربية فى الفترة بين ٧ ــ ١٠ ربيع الثانى ١٣٩١ (١ ــ ٣ يونية ١٩٧١) .

وقد مثل الكويت الاستاذ احمد المدينى مــدير ادارة شئون المساجد بوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية ... وكان لقاء مع سيادته تناولنا فيه شئون المؤتمر ..

ــ ما هى الفكرة من عقد هــذا المؤتمر ..؟

نبتت فكرة عقد هذا المؤتمر خلال انعقاد مؤتمر وزراء خارجية الــدول الاسلامية الذى انعقد فى كراتشى حين اتضحت حاجة الدعوة الاسلامية فى أماكن معينة فى العالم الى مراكز اسلامية تعمل عــلى ابراز حقائق الاسلام وتجلوها باعتبار الاسلام رسالة عالمية تتضمن كل ما يقيم حياة الانسان بكل ما يلزمها ويوجهها نحو الخير والتقدم .

ولذلك فان مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية قرر عقد مؤتمــر خاص للخبراء المسلمين لبحث موضوع انشاء هذه المراكز والتخطيط لها وكان هذا هو مؤتمرنا فى الرباط .

ــ كم دولة اسلاميةاشتركت فى هذا المؤتمر ..؟

اشترك فيه ممثلو ٢٠ دولة اسلامية هى :

ــ المغرب ــ ليبيا ــ النيجر ــ ماليزيا ــ السنيغال ــ موريتانيا ــ افغانستان ــ الباكستان ــ الجزائر ــ الجمهورية العربية المتحدة ــ اندونيسيا ــ السعودية ــ ايران ــ الصومال ــ الاردن ــ تونس ــ الكويت ــ تركيا ــ لبنان الجمهورية العربية اليمنية .

ــ ما هي الخطوات التي اتخذها لبحث انشاء المراكز الاسلامية ..؟

الحقيقة كانت هناك عدة اقتراحات وعدة مشروعات

* اقتراح من الأمين العام
* اقتراح من الحكومة المغربية
* اقتراح من الباكستان

* فالأمين العام الأمير تنكو عبد الرحمن كان يرى في توجيهه للمؤتمر تكوين لجنة دائمة تتولى مهام تنسيق نشاطات المراكز الثقافية وتعمل ثقافيا وحضاريا على خلق تطابق اسلامي مبني على العقيدة الاسلامية ومناهجها للحياة البشرية .

ــ وتعمل هذه اللجنة على تنسيق نشاطات المراكز الاسلامية واقامة ندوات في البلدان المختلفة لشرح المواضيع العديدة من الجانب الروحي والعلمي واثر ذلك على حياتنا الاسلامية .

وبعد الموافقة على عقدهذهاللجنة تقوم باعداد مسودة دستورها لتقدم الى الأمين العام لتقديمها بالتالي الى مؤتمر وزراء الخارجية الذي سيعقد بمدينة كابل بأفغانستان .

ثم تقدم وفد المغرب باقتراح جعل المسائل الاسلامية بعيدا عن النزاعات السياسية في العالم الاسلامي ثم عرض لدور المراكز الذي ينبغي ان تضطلع بـه .

ثم تقدم وفد الباكستان باقتراح انشاء هيئة للثقافة الاسلامية في مقر الأمانة العامة باشراف نائب الأمين العام للشئون الثقافية وهذه الهيئة يعهد اليها بالنواحي العلمية وتنشيط المراكز الاسلامية الموجودة وانشاء مراكز جديدة ويقوم الأمين العام بتزويد القسم الثقافي من أموال التبرعات العامة والخاصة ومن الاشتراك .

والحقيقة أنني كنت احمل عدة اقتراحات الا انني رأيت توافقا بينها وبين افكار المغرب واقتراح الباكستان ورأيت توفيرا للوقت ، واعتمادا على انني حضرت في لجنة التوفيق بين الأفكار أنني يمكن ان اضيف ما اراه في اللجنة .

وقد كون المؤتمر هذه اللجنة من عشرة اعضاء ــ على أن يسبقها اجتماع بين الوفدين المغربي والباكستاني لتوحيد المقترحات ــ للتنسيق بين افكار المغرب والباكستان لتقديمها في اقتراح واحد يقدم الى مؤتمر (المراكز الاسلامية المنعقد)

وفعلا رسمت اللجنة مشروعا واحدا وقدمته للمؤتمر للموافقة عليه وقرىء بندا بندا ووفق عليه بالاجماع مع بعض التعديلات والصيغ كتوصيات لمؤتمر كابل لوزراء الخارجية على النحو التالي :

(١) قسم البحث والتوجيه ويتكلف بـ

(أ) جمع أمهات الكتب الاسلامية ونشرها

(ب) دراسة ما يكتب عن الاسلام وتقييمه

(جـ) ترجمة الكتب الاسلامية الى اللغات الحية

(د) دراسة الوثائق المتعلقة بالمراكز الاسلامية

(هـ) اعداد برامج ومناهج وكتب المراكــز

(و) تكوين الدعــــاة ـــ

(ز) تنظيم محاضرات وندوات للقائمين على هذه المراكز

(حـ) اصدار مجلة تعنى بالتوجيه وبنشاطات المراكز .

(٢) ناحية الشئون العامة وتتولى النواحى الادارية للجنة .

(٣) الناحية المالية حيث تعتمد اللجنة فيها على الميزانية التى ترصدها الأمانة الاسلامية العامة .

ـــ ما هو الشىء الذى كنت تتمنى أن يتم فى المؤتمر ؟

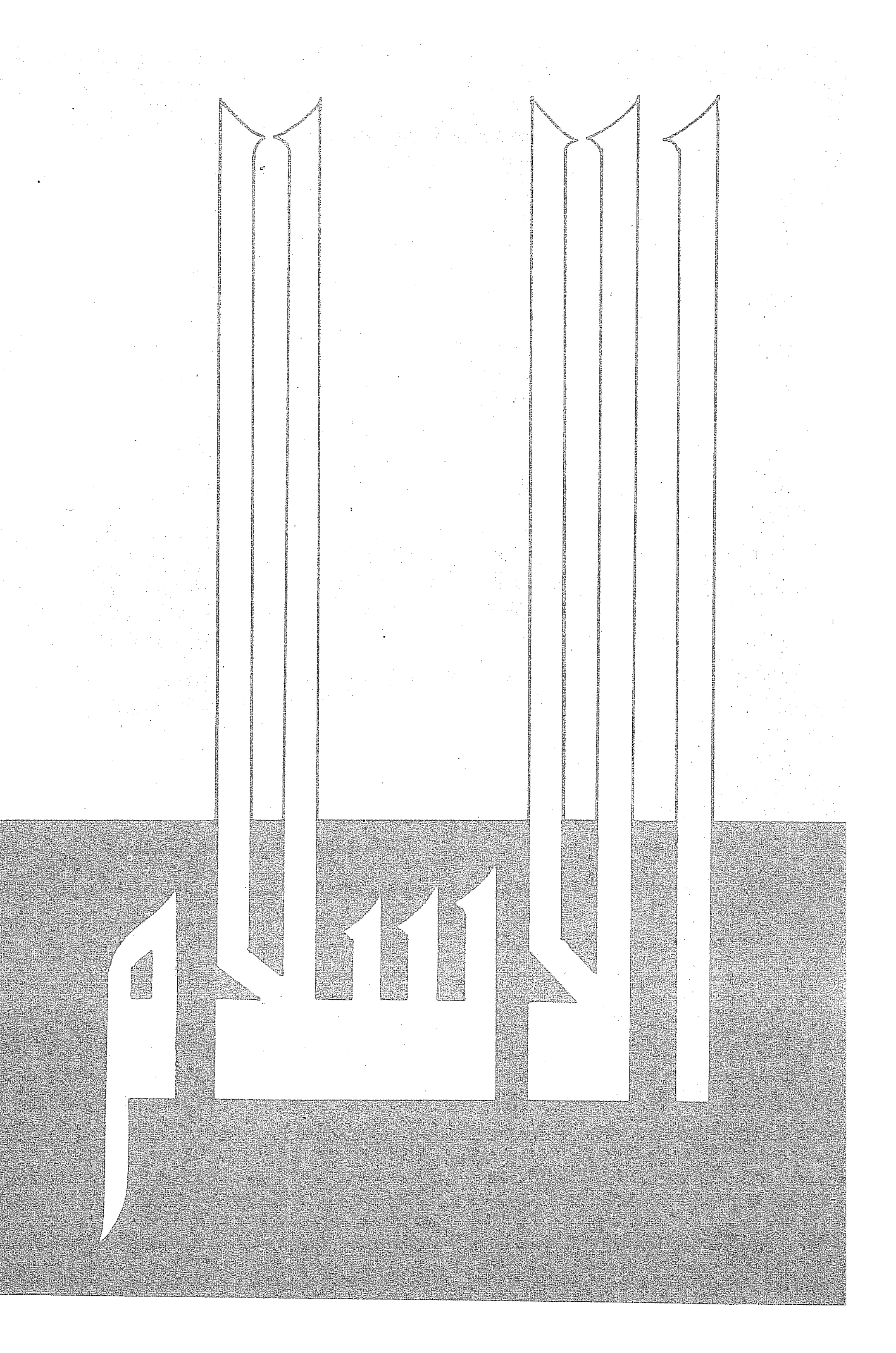
ـــ هناك طبعا تمنيات كثيرة فى كل عمل اسلامى وهناك ـــ مثلا ـــ كنت اتمنى أن تتم اقامة معرض للكتب والافلام عن الحضارة الاسلامية من كل الـــدول الاسلامية كما كان اقتراح الأمانة العامة على الدول المشتركة فى المؤتمر . لكن الذى حدث أن الكويت والصومال فقط هما اللتان اقامتا هذا المعرض وحدهما فى خلال المؤتمر .

ـــ هل يكفى مشروع هذه اللجنة التى اتفق عليها المؤتمر للنهوض بالمراكز الثقافية الاسلامية فى نظركم ..؟

هى تكفى مع مراعاة التوصيات الأخرى التى اتخذها المؤتمر وسوف يعرضها على مؤتمر وزراء الخارجية الذى سيعقد فى كابل .

ـــ ما هى القيمة الحقيقية لهذه المؤتمرات فى نظركم وخاصة اننا شهدنا فى السنوات الأخيرة مؤتمرات كثيرة ..؟

الواقع انه مع النوايا الطيبة والاخلاص للأهداف فان هذه المؤتمرات تؤتى ثمرتها فى تحقيق التضامن الاسلامى الحقيقى الذى تحتاج اليه الأمة الاسلامية وانا نسأل الله أن يوفق الأمة الى الصدق فى القول والاخلاص فى النوايا والعمل الصالح المثمر البناء والله ولى لتوفيق .


الاسلام

للدكتور : محمد عبد المنعم خفاجي

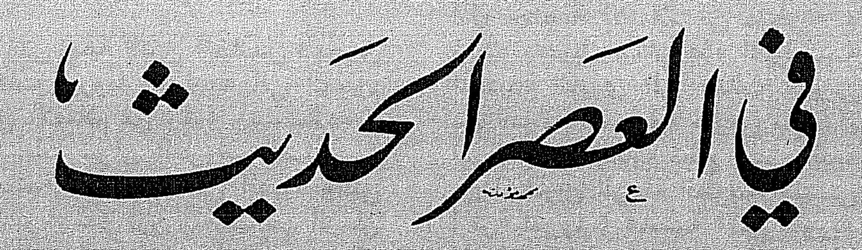
ـ ١ ـ

حركة الاسلام في العصر الحديث حتى اليوم ، من الضروري أن يتنبه لها كل مسلم غيور على دينه وأمته ، ليعرف خطاه وخطى بني قومه ، والى أية غاية اداه اليها مسيرة التاريخ الاسلامي حتى اليوم ، والى أي هدف يسير ، أو يجب أن يسير اليوم ، ليصل الى نقطة ارتكاز جديدة ، والى منطلق قومي اسلامي جديد .

ولا نستطيع فهم مسيرة التاريخ الحديث للاسلام الا اذا صورنا في ايجاز حركة الاسلام قبل العصر الحديث لتكون مقدمة لحديثنا اليوم .

ـ ٢ ـ

غير الاسلام ، بعد انبعاثه بقليل وفي حوالي ست سنوات لا غير في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، مجرى التاريخ العالمي ، بل غير وجه العالم تغييرا لم يحدث مثله من قبل ولا من بعد ، وحطم انبعاث الاسلام على هذه الصورة المذهلة كل الاقيسة التاريخية ، اذ لم يسبقه في هذا سابق ، ولم يلحقه لاحق ، كما يؤكد المؤرخ الانجليزي المشهور « توينبي » وورثت الأمة العربية المسلمة الامبراطورية الساسانية ، كما ورثت ملك الامبراطورية الرومانية الشرقية



فى الشام ومصر والمغرب وجـزر البحر الابيض المتوسط .

وامتدت بعـد ذلك الفتوحـات الاسلامية شرقا وغربا الى اماكـن كثيرة حتى اصبحت امبراطوريـة الاسلام تمتـد من الصين حتـى شواطىء المحيط الاطلسى ، وتشمل كثيرا من سهول آسيا الصغـرى وجزر البحر الابيـض المتوسـط واسبانيا واماكن كثيرة متعددة فى جنوب أوروبا .

وكان من الطبيعى أن تقف اوروبا المسيحية بقواتها العسكرية ممثلة فى الامبراطورية البيزنطية فى وجه الاسلام ، لتعوق هى وأحلافها فـى أوروبا امتداده اليها والى غيرها من معاقل العالم المسيحى .

وظلت الامبراطورية البيزنطيـة تقاوم الاسلام ، على امتداد الايام ، بكل ما تستطيع من جهد عسـكرى وسياسى معا .. نحو ثمانية قرون من الزمان .

وظهرت القوميات الاسلامية فى العالم الاسلامى فى القرن الثالـث والرابع والخامس الهجرى ، لتضعف من قوته ووحدته وتعاونه فى صـد هجـوم البيزنطيين على معاقـل الاسلام .

وفى نهاية القرن الخامس الهجرى انتقلت اوروبا الصليبية الى الهجوم على الاسلام فى وطنه وبـلاده ، واشعلت نيران الحروب الصليبيـة الحاقدة المتعطشة الى الدماء والتى استمرت نحو قرن ونصف من الزمان وشجعت أوروبا كـذلك فرسـان اسبانيا على مقاومة المسلمين فيهـا والعمل على طردهم منها نهائيا .

وخلال موجات الحروب الصليبية التى أنهكت العالم الاسلامى انهاكا شديدا ، والتى لم تضعف من عزيمته فى مقاومة الغـزو الصليبـى ، والعدوان المدمر الزاحف من اوروبا زحف الخطر المغولى على العالـم الاسلامى ودمره تدميرا شديـدا واستولى على بغداد عاصمة الخلافة العباسية وزحف الى الشام وهـدد مصر تهديدا كبيرا .

ويظن ان المغول كانوا فى زحفهم هذا يقفون وحدهم ، ولكن هذا خطأ كبير ، فلقد كانت المسيحية أو على الاصح الصليبيـة ، هى المحرض الاول للتتار على هذا الزحف ، وهى التى رسمت لهم الخطط ، وامدتهم بالتقارير الوافية عن حالة الخلافـة العباسية فى بغداد ، وحالة العالم الاسلامى عامة ، وحسبنا على ذلك ما يرويه التاريخ من أن هيبتون ملك ارمينية المسـيحى كان العامـل الرئيسى فى اقناع ما نجو خان (٦٤٦ — ٦٦٥ هـ : ١٢٤٨ — ١٢٥٧ م) بارسال تلك الحملة التى دمـرت بغداد بقيادة هولاكو (٦٥٦ هـ — ١٢٥٨ م) (١) ، وأن هولاكو التترى زوج ابنه من ابنـة الامبراطـور البيزنطى (٢) .

ولما قامت الامبراطورية المغوليـة الكبرى ، داعب المسيحية الغربية ، أمل مهاجمة الاسلام فى مؤخرته ، وذلك بتحويل حكام هذه الدولـة الجديدة الكبرى الى القالب الغربى من الديانة المسيحية ، وفى سبيـل ادراك هذه الغاية قطع رسل البابا من المبشرين الرحلة الطويلة الـى (قرة قوروم) عاصمة الامبراطورية المغولية آنذاك ، وتلاهم ماركو بولو بعد ذلك بقليل وهو فى طريقه الى بلاط قوبلاى خان أمبراطور الصين ،

لكن خاب امل المسيحية الغربية فى ذلك كله (٣) ، ومع ان الغزو المغولى قد دمر العالم الاسلامى ومراكز حضارته تدميرا كاملا ، الا ان هزيمة المغول امام الجيش المصرى فى عين جالوت ، التى اشبهت هزيمة الصليبيين امام صلاح الدين الايوبى فى حطين ، كانت عاملا كبيرا فى عودة الطمأنينة الى العالم الاسلامى من جديد ،واصبحت مصر بعد معركة عين جالوت (الجمعة الخامس والعشرين من رمضان عام ٦٥٩ هـ — ١٢٦٠ م قلعة العالم الاسلامى العسكرية وحصنه السياسى والاقتصادى ، ومنارته الثقافية والدينية (٤) ، وكانت قدرة العالم الاسلامى على ان يسحق فى القرن السابع الهجرى — الثالث عشر الميلادى قوة العدوان الصليبى ، وشوكة الغزو التترى ، ثم قدرته خلال القرن التاسع الهجرى — الخامس عشر الميلادى على أن يجتاح اخيرا الامبراطورية الرومانية الشرقية ويزيلها من الوجود ، عاملا كبيرا فى طأطأة أوروبا راسها للتيار الاسلامى العظيم ، حتى أصبحت تعتقد فى قرارة نفسها« استعصاء المسلمين على الهزيمة » (٥) .

وارادت اوروبا القيام بضغط عسكرى ضخم على المسلمين فى الاندلس لرد الثقة فى النفوس ، فاحتلت غرناطة وازالت آخر معقل اسلامى فى الاندلس ، بأيدى فرسان اسبانيا وحلفائهم وذلك عام ٨٩٧ هـ — ١٤٩٢ م .

— ٣ —

ولم تستطع أوروبا مقاومة القوة الاسلامية ممثلة فى مصر آنذاك ، فأخذ البرتغاليون طريقهم الى الهند عبر راس الرجاء الصالح ، واخذوا السيادة البحرية — من ايدى العرب — على المحيط الهندى فى القرن السادس عشر الميلادى — واخذت روسيا تجتاح مناطق الشمال الآسيوية وتطوق العالم الاسلامى الممتد الى اطراف الصين ، وذلك خلال القرن السابع عشر ، ثم كان ارتداد العثمانيين عن فينا خلال عام ١٦٨٢ م نقطة تحول كبير فى المعارك بين أوروبا والعالم الاسلامى فى جبهة وسط أوروبا على امتداد جبهة الدانوب ، كما هزم العثمانيون أمام روسيا هزيمة كبيرة ساحقة أيضا عام ١٧٧٤ م ، ثم كانت هزيمة المماليك أمام الجيش الفرنسى فى الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨ م ، وانزلت اداة الحرب الأوروبية الحديثة عدة هزائم بالعالم الاسلامى فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر الميلادى .

وكما استولى الهولنديون خلال القرن السابع عشر على جاوة وبقية جزر الهند الشرقية ، استولى البريطانيون على البنغال خلال أعوام ١٧٥٧ — ١٧٦٤ م ، واستولت فى القرن التاسع عشر فرنسا على الجزائر ثم تونس ثم المغرب ، واستولت انجلترا على مصر ، وبدا ضغط الاستعمار الاوروبى للشرق العربى الاسلامى يتفاقم ويزداد خطره على مقومات المسلمين الروحية والحضارية والسياسية .

— ٤ —

وفى ظلال الاستعمار الاوربى للعالم الاسلامى قامت المدارس التبشيرية فى كل مكان من انحاء الوطن الاسلامى ، وحدثت حركة

طغيان شديد للحضارة الغربية التي اشتدت موجتها العاصفة الزاحفة على بلاد الاسلام ، والتى اخذت تطبع حياة المسلمين بطابع غربي محض فى كل جانب من جوانب حياتهم : السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية .

وزاد مد الاستعمار الغربى بعد ذلك فاحتلت ايطاليا ليبيا ، وصحب ذلك زيادة نفوذ التبشير المسيحى ، وكلب الغزو الحضارى الاوربى للعالم الاسلامى ، وقضت أوروبا على الخلافة العثمانية التي كانت تمثل الفكرة الاسلامية قوميا وسياسيا وعقائديا تمثيلا كبيرا .

ثم ظهر الخطر الصهيونى ، وتفاقم خطره بقيام اسرائيل عام ١٩٤٨ فى فلسطين ، وعلى رقعة من اهم بلاد الاسلام واكثرها عروبة ، وقامت اسرائيل خلال عشرين عاما بثلاث حروب على العالم العربى ، هى حرب ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ .

كل ذلك يعد تنفيذا لمخططات اوروبا المسيحية فى مقاومتها للاسلام ، وفى معركتها مع المسلمين .

وتعتبر اوروبا ان الخطر الاكبر عليها هو الاسلام نفسه ، وان كل عمل ضد الاسلام فى بلاده هو خط امان جديد لأوروبا فى الحاضر والمستقبل ...

— ٥ —

والقضاء عليه .. ويشارك اوروبا فى هذا الشعور امريكا وغيرها من بلدان العالم المسيحى .

وللقضاء على الاسلام فى عرف اوروبا اساليب كثيرة ، تبدأ من المدرسة ومنهجها التربوى ، والثقافة وحركتها فى ثلب الاسلام والمسلمين والعرب والعروبة ، وتشويه تاريخهم واعلامهم وثقافاتهم وحضاراتهم ، وتسير فى امتداد التبشير من داخل العالم الاسلامى وخارجه ، على ايدى المبشرين الظاهرين ، والمبشرين المختفين من المستشرقين ، وممن ينتمون كلهم أو جلهم الى الاديرة المسيحية ، وممن تخرجوا من صوامع الرهبنة ، فى الغرب وامتلأت نفوسهم بالبغضاء للاسلام وتراثه وثقافاته ولغته وعقائده .

وقد ساعدت البيئات الصليبية المسيحية على قيام دعوات اسلامية متطرفة فى العالم الاسلامى من مثل البهائية والقاديانية وغيرهما .

كما ساعدت امريكا بنفوذها ومالها الشيوعية على التغلغل فى العالم العربى بعد الحرب العالمية الثانية مما ذكره بوضوح أيدن فى مذكراته . كل ذلك فى محاولة قوية لتحطيم العقيدة الاسلامية ، وتحطيم الكيان الاسلامى القوى فى نفوس المسلمين .

— ٦ —

وعداوة اوروبا للاسلام ، ومقاومتها له ، ووضعها الخطط لحصاره ، وتبديد قوته ، لا تنتهى عند حد ، وكل حدث كبير او صغير فى بلاد الاسلام انما هو اثر تخطيط غربى موضوع لمقاومة الاسلام

وقد اسهمت اوروبا فى الدعوة الى العلمانية ونشر فكرتها بين ابناء المسلمين ، وبخاصة المثقفين منهم فى معاهد الغرب وجامعاته ، لعزل الاسلام ، عن المجتمع وجعله دين رهبنة فحسب ، كما حدث للدين

المسيحى نفسه ، وهذا منطق يأباه الاسلام وطبيعته اباء شديدا ، لأنه دين يجمع بين العقيدة والحياة ، وبين الفكر والعمل ، وبين الآخرة والدنيا ، وبين المادة والروح ، ويربط بين الفكرة والواقع برباط وثيق .

— ٧ —

ولا ادرى لماذا تقوم معاهد الدراسات الاسلامية فى الغرب وفى كندا وامريكا، وهى ملحقة بالجامعات الغربية والكندية والامريكية ، على فكرة واحدة ، هى ان تكون مراكز استماع على العالم الاسلامى وحركاته ، وعلى تشويه حقائق الاسلام وتاريخه ، ومن اجل الوصول الى هذه الغاية تنتدب هذه المعاهد من انحاء العالم الاسلامى لفيفا من الاساتذة المتتلمذين على الثقافة الغربية ، والمتشبعين بها ، والذين لا يرون الاسلام الا بمنظارها وحده ، حيث يجلسون مع اساتذة صهيونيين متخصصين فى محاربة الاسلام وشعوبه ، وفى تشويه كل فكرة اسلامية ، وفى دراسة كل حركة نابتة أو قائمة فى الشعوب الاسلامية ، وكل حركة يمكن ان تؤدى الى خطر جديد على الغرب وأمنه وسلامه فى المستقبل (٦) .

— ٨ —

ان ايمان المسلمين المعاصرين ، أو كثير منهم ، بالحضارة الغربية ، ايمانا مطلقا ، واعتناقنا للافكار الهدامة الشيوعية والصليبية والتبشيرية اعتناقا كاملا ، وطبع ثقافاتنا وكل حركات التعليم فى بلادنا بطابع غربى محض ، وانتشار الافكار السخيفة الوافدة الينا من الغرب ، والتى تروجها الصليبية الغربية فى صفوفنا ، من امثال ان الدين الاسلامى دين رجعى ، وان تشريعاته وحدوده ونظمه قديمة بالية لا تتفق وروح العصر الحاضر .

كل ذلك ، وغيره ، انما هو من مظاهر العمل الخفى ، الذى جهد الغرب الصليبى وأذنابه فى العمل من اجله قرونا وأجيالا ، فى بلاد الاسلام وبين شباب المسلمين .

ومن العجيب أن نتلقى من الغرب كل الأحكام التى يصدرها علينا — بدافع من العصبية والحقد والعداوة الموروثة — بالقبول والتسليم ، وأن نحاول فى تفريط ظاهر ، الانسلاخ من مقوماتنا الأصيلة ، لنحقق أمل الغرب وامانيه بأيدينا نحن ، ولنؤكد له ولاءنا الروحى والفكرى والثقافى ولنظهر امام الناس بمظهر المتطفلين على موائده ، والمتتلمذين على افكاره ، ما جل منها وما هان ، وما صلح وما فسد .

— ٩ —

وما رأيت رجلا مصمما على قتل انسان ، ثم يصبح هذا الانسان عونا له فى تنفيذ جريمته باختياره ، الا نحن المسلمين ..

اذلك لغباء وعته وغفلة ؟
أو لجنون وفقدان تمييز ؟

أو لجهل بحقائق الصراع العالمى والتاريخى بين الاسلام والغرب ؟
لا أدرى ..

ولكن الذى أقرره ، ويقرره كل دارس لتاريخ الاسلام : القديم ، والحديث ، والمعاصر ، هو أن عداوة اوروبا واحلافها للاسلام لا تقف عند حد ، وأن تخطيطهم للقضاء عليه وتحطيم شعوبه لا ينتهى عند غاية ،

وأن جميع الأحداث السياسية والاجتماعية فى العالم الاسلامى خلال القرن العشرين وما سبقه من قرون ، انما هى اثر لمخططات الغرب فى حرب الاسلام والقضاء عليه .

— ١٠ —

ومن البدهى أن الخطر الاسرائيلى الصهيونى ، وتهديده المستمر للعالم العربى الاسلامى ، انما هو اثر لمخطط صليبى قصد به الاسلام ذاته ، ولا يعوزنا فى ذلك الدليل ..

فبلفور هو صاحب الوعد المشئوم ..

وأمريكا وروسيا وانجلترا وفرنسا هى اوائل الدول التى اعترفت باسرائيل ..

والغاية من كل ذلك هى تحطيم العالم العربى ، واشعال الحروب والفتن الدائمة فى ربوعه ، ومنعه من اية حركة اسلامية او حربية فى الحاضر والمستقبل ، وابقائه دائما عاجزا عن اى تهديد لأوروبا .

— ١١ —

وليس امامنا مجال لليأس .

بل يجب علينا الوعى والتدبر والرفض الكامل لكل مخططات الصليبيين والالحاديين التى يريدونها ويريدون أن ننفذها نحن بأيدينا .

يجب علينا أن نتمسك باصرار بالاسلام .

أن نستمد منه القوة والمنعة والرجاء فى انقاذ جديد شامل من هذه المحنة وما ذلك على الله بعزيز .

---

(١) الدعوة الى الاسلام ٢٥٢ — أرنولدوتوماس — ترجمة حسن ابراهيم حسن وعبد المجيد عابدين .

(٢) المرجع نفسه ٢٦٠ .

(٣) حضارة الاسلام فى دراسة توينبى للتاريخ ٤٧ فؤاد شبل .

(٤) المرجع نفسه ٨٩ .

(٥) المرجع نفسه ٦٢ .

(٦) من مثل ذلك قيام ولفريد كانتويل سميث أستاذ الدراسات الاسلامية بجامعة مونتريال بدراسة مجلة الازهر والفكرة الاسلامية التى تنطوى عليها فى كتابه « الاسلام فى التاريخ الحديث » .

شهداء بئر معونة

الكفر الحقود

بمناسبة ما تناقلته وكالات الانباء أخيرا عن المذبحة التى وقعت بالمسلمين فى « مانيلا » على يد أثيمة وعصابة مجرمة ساقت العديد من المسلمين رجالا وأطفالا ونساء الى الجوامع ، وأوسعتهم ذبحا وتقتيلا — نقدم للقراء صورة بشعة أخرى من صور الكفر الغادر جرت أحداثها فى عهد النبوة . فيها عزاء لأولياء الحق .

قدم على رسول الله شيخ من شيوخ بنى عامر يدعى (أبا براء) ويلقب بملاعب الأسنة فعرض رسول الله عليه الاسلام فلم يسلم ولم يبعد من الاسلام وقال — يا محمد ، لو بعثت رجالا من أصحابك الى أهل نجد فدعوتهم الى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (انى أخشى عليهم أهل نجد) قال أبو براء — انا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس الى أمرك . . .

فبعث رسول الله المنذر بن عمرو فى أربعين من أصحابه من خيار المسلمين ، فساروا حتى نزلوا عند (بئر معونة) فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله الى عامر ابن الطفيل — وهو شيخ بنى عامر — فلما أتاه لم ينظر فى كتابه حتى عدا على الرجل فقتله ، واستصرخ عليهم بنى عامر فأبوا أن يخفروا جوار أبى براء فاستصرخ عليهم قبائل من سليم ، فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم فى رحالهم . فلما رأوهم ، أخذوا سيوفهم ثم قاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم — يرحمهم الله — إلا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق .

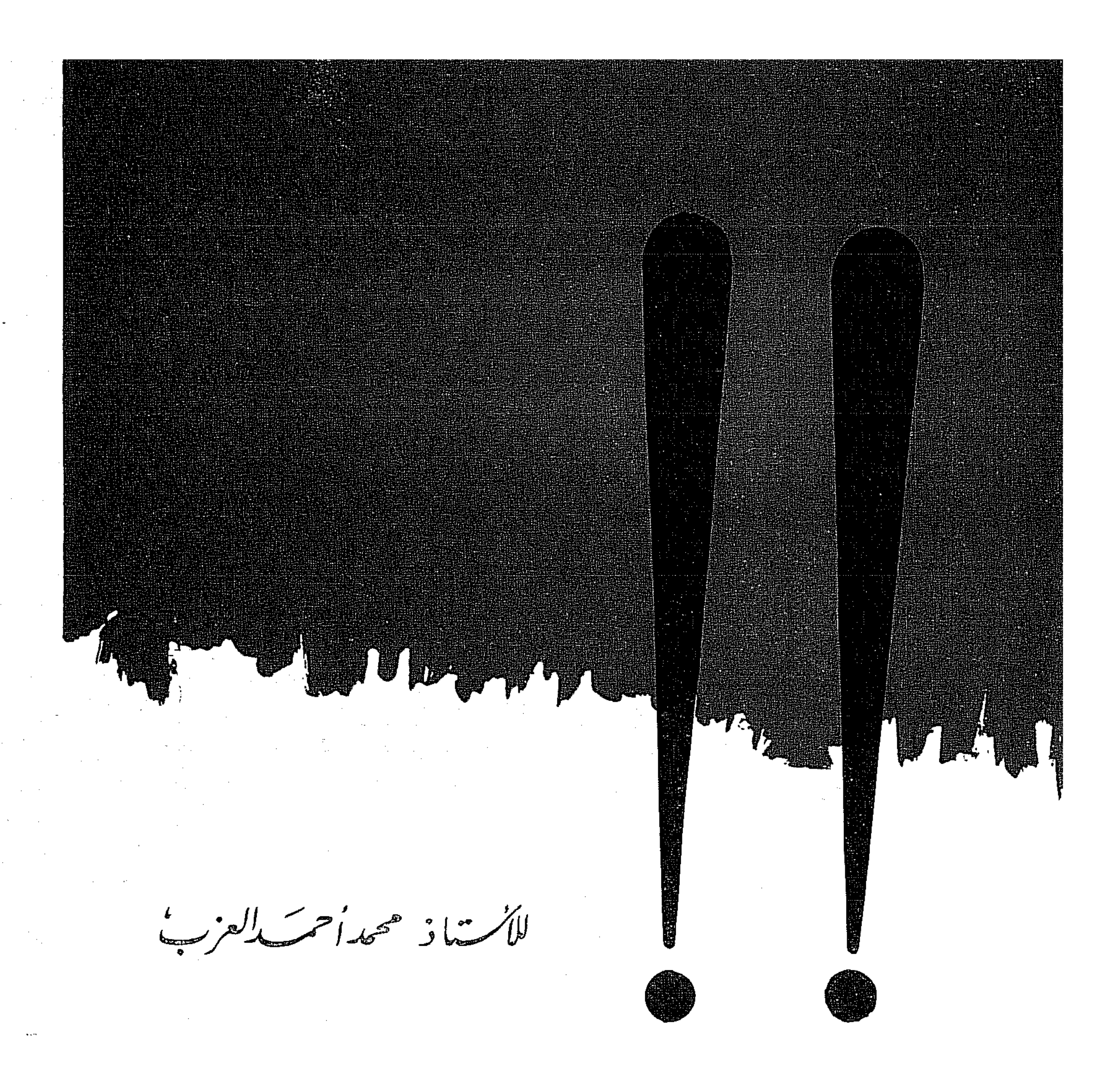
وكان فى سرح القوم عمرو بن أمية الضمرى ورجل من الأنصار فلما أبصرا الطير تحوم حول المعسكر ، أقبلا ينظران ما شأن هذه الطير فاذا القوم فى دمائهم واذا الخيل التى أصابتهم لا تزال واقفة .. فاما الانصارى فقد أبى إلا أن يقاتل القوم حتى قتل ، وأما عمر بن أمية فأخذ أسيرا . فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقوه فخرج مقبلا على المدينة حتى اذا كان بقرقرة الكدر نزل منزلا ليستريح ونزل معه رجلان من بنى عامر وكان معهما عقد من رسول الله وجوار لم يعلم به عمرو — فلما عرف أنهما من بنى عامر أمهلهما حتى ناما فقتلهما وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثؤرة من بنى عامر فيما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قدم على رسول الله فأخبره الخبر ، فقال صلى الله عليه وسلم (لقد قتلت قتيلين لادينهما) .

وحزن رسول الله على أصحابه أشد الحزن وقال (هذا عمل أبى براء) ومكث — صلى الله عليه وسلم — نحو شهر يدعو على قتلة أصحابه فى بئر معونة وفى الرجيع كلما صلى ، حتى أنزل الله عليه قوله سبحانه (ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) فسكنت نفسه وانقشع عنه حزنه .



قبل الخوض فى هذا الغمار .. لابد من تفرس وجه الأدب فى شكله العام لنعرف ما هو ؟ ان وقوفنا على حقيقة ماهية الأدب هو وحده الذى يمكن أن يتيح لنا أن نعرف الى أى مدى يمكن أن يوجد أدب اسلامى .. أو لا يوجد على الاطلاق !!

ولسنا بالطبع فى حاجة الى الضياع فى مجاهل التعريفات الغريبة والشاجنة التى يكب عليها جيل من أدبائنا ومفكرينا بلا يأس .. لسنا فى حاجة الى الضياع فى مجاهل هذه التعريفات .. لأنه لا يحبط من قضيتنا ولا يؤلق من مصابيحها أن يكون الأدب مشتقا من « الدأب » بمعنى العادة .. وأن يكون هذا الاشتقاق من الجمع وليس من المفرد .. وأن يكون هذا الجمع هو « أدآب » وأن يكون فى نهاية الأمر قد حدث فيه قلب فقيل « آداب » كما يقال فى بئر .. أبآر .. ثم آبار « وفى رئم ..



للأستاذ محمد أحمد العزب

أرآم .. ثم آرام » .. الى آخر ما يقال فى هذا الصدد . مرورا بكون هذا الأدب قد اشتق مرة من « الأدب » بمعنى الدعوة الى الولائم .. أو اشتق مرة أخرى من « أدب » بمعنى علم وهذب .. أو استجلب فى نهاية الأمر من لغة غير اللغة العربية على الاطلاق !!! (١)

قلت .. لا يعنينا كثيرا أن يكون الأدب مشتقا من المفرد أو مشتقا من الجمع ولا أن يكون مشتقا من مادة دون مادة أخرى .. ولا أن يكون مصطلحا نابعا من الحس اللغوى للعربية أو وافدا اليها من الحس اللغوى للهجة من اللهجات أو لغة من اللغات .. لأن مجال هذه الدراسة الأكاديمية البحتة انما هو البحث العلمى المتخصص فى تاريخ الأدب بما هو رصد لمساره فى الزمن .. من أين .. والى أين ؟؟ وليس هو الأدب نفسه بما هو معطى فكرى ووجدانى نابع من حاجة الانسان الوجودية الى التعبير

الجمالى عن واقع يختلط فيه الجمال بالقبح .. والخير بالشر .. والوجود بهوات من العدم الطاغى بلا قرار !!

يكفى اذن .. أن نقول : ان الأدب هو حركة النفس فى الوجود من خلال حلولها الجمالى فى كلمات !!

فاذا اتفقنا على أن نبدأ من هذا المنطلق ، فلست أعرف حاجزا يمكن أن يقف فى وجه ميلاد حقيقى لأدب اسلامى يضع شروطه على صعيد الأدب العالمى العائش فى الزمن وما وراء كل الأزمان .. اننا نقرأ الأدب « الاشتراكى » والأدب « الرأسمالى » والأدب « الوجودى » والأدب « اللا معقول » .. وكل واحد من هذه الأنماط انما يصدر عن رؤيا مذهبية .. ويهدف الى غائية عقائدية . .حتى فى أدب اللا معقول . يوجد دائما « معقول » خلف هذا اللامعقول يحرك الكاتب فى اتجاهه .. ويعطيه مبرر الرفض .. أو مبرر العبث .. أو مبرر اللاجدوى التى يكثفها ايقاعا جماليا فى السطور !!! فلماذا لانقرأ الأدب « الاسلامى » الذى يصدر عن عقائدية اسلامية بحتة .. بكل مافى هذه العقائدية الاسلامية من انفتاح قابل وموصل .. متأثر ومؤثر .. آخذ من غيره مايلائم مناخه الفكرى والروحى .. ومعط غيره من روافد مناخه الروحى والفكرى بلا حدود !! قد يقال هنا .. ان الأدب « العربى » فى اطاره العام يعنى بالدرجة الأولى أنه أدب « اسلامى » لأنه صادر من منطقة تدين قطاعاتها العامة بالاسلام .. وناطق باللغة العربية التى هى لغة القرآن محور تحرك الاسلام .. ولكن هذا المنطق الساذج يجب أن لا يخدعنا عن حقيقة ما نريد أن نقول .. ان أدبا ينطق بالعربية .. ويصدر عن أديب مسلم .. لا يعنى بالضرورة أنه أدب « اسلامى » .. الا اذا كان هذا الأدب صادرا كما قلت عن « عقائدية » اسلامية ناضجة .. ومعبرا عن رؤيا فنان مسلم موهوب .. يستشعر فى كل حروفه أنه فاتح مطالب بالفتح .. أو مجاهد محكوم بمنطق المقاومة .. أو ملتزم لا يستطيع أن يتحرك الا فى مناطق التزامه الطوعى .. ان ماأعنيه بالأدب الاسلامى أن يكون على الارض أدب بملامح تصرخ باسلاميته حتى ولو لم تتشدق السطور بلكنة دعائية من هنا أو هناك .. فماذا اذن نقصد بكلمة « الأدب الاسلامى » ؟ وما ملامح هذا الأدب .. ان كانت له ملامح فارقة تحدد أبعاده وأحجامه ؟؟

ان ما أعنيه بالأدب الاسلامى كما قلت ليس شيئا غير أن يكون أدبا عقائديا .. يصدر عن رؤيا عقائدية .. ويرسم فى رحلاته مع الصوت واللون وحبر القلم فلسفة انسانه المسلم .. بوضعيته فى الكون .. وبوضعيته من الكون .. وبوضعيته مع الكون فى أكوان أخرى بلا حدود !! هذا ماأعنيه بمصطلح « الأدب الاسلامى » .

أما ملامح هذا الأدب الفارقة .. فلست أجدنى فى حاجة الى مزيد من المعاناة حتى أقف معها وجها لوجه ..

ان العقائدية أول هذه الملامح .. والعقائدية هنا ليست موقفا

متصلبا من قضايا كونية ترفض ماعداها بلا حوار .. وانما هى بالدرجة الأولى عقائدية « فاعلة » تفتح كل جبهات الحوار بلا وجل .. وأيضا بلا سأم .. ان عقائديتها تنبعث من رغبة أكيدة فى الفهم .. ورغبة لازبة فى الجدل .. ورغبة ظمأى دائما الى الاشعاع من .. وفى .. وعلى كل المستويات !! ولست أقصد من الأدب العقائدى أن يصوغ العقائد شعرا .. أو مسرحا .. أو رواية .. ولكنى أقصد أن تكون الرواية .. والمسرح .. والشعر .. انعكاسا لايمان الفنان بعقائدية اسلامية .. أما القضايا .. والظواهر .. والقوانين .. فقد يكون فى البحث الأكاديمى متسع لها جميعا .. يجلى غوامضها .. ويكشف عن أسرارها للجموع !!

والتراثية ملمح من هذه الملامح .. ولقد أعنى بالتراثية انحناء الأدب الاسلامى المعاصر على تراثه المتفجر بالعطاء .. واستلهام هذا التراث فيما يشبه الترهب .. ولكنى أعنى بالتراثية الى جانب ذلك .. أن نخوض بها عباب الواقع المعاصر .. وأن نعرض أجسادها لشمس العصر .. وهوائه .. وتياراته .. وأن نعيد تحليلها وتركيبها من جديد .. وأن نضيف الى فهم السابقين لها فهمنا الآخر المعاصر .. وأن نرفض الخوف الكسيح على جلالها أن يخدش .. وعلى نومها أن يفزع بأحلام عصرنا المرور !! ان التراثية التى أعنى .. هى نوع من البحث البدئى عن الذات .. ثم المغامرة بهذه الذات فى شتى مجالات الصراع والابداع .. ان ذلك وحده هو القادر بغير حد على اعطاء التراث وجهه الحضارى .. وعلى اعطاء وجهه الحضارى ملامح التفرد .. والتمايز .. والتشخص الواعى بدوره على مسرح الوجود !!

والقرآنية ملمح من هذه الملامح .. وأرجو أن أكون مفهوما حين أقول ان القرآنية ملمح من ملامح هذا الأدب الاسلامى المنشود .. ان القرآن ليس مذهبا أدبيا أدعو الى احتوائه .. ولكن الأدب الاسلامى اتجاه يجب أن يستفيد من قرآنية القرآن .. ان الشعر العربى المعاصر — والشعر الحر منه على وجه التحديد — قد استفاد من الانجيل والتوراة أكثر مما استفاد من القرآن .. ولقد حاول الاستفادة من التاريخ الاسلامى .. الا أن اقترابه من القرآن ما يزال مشوبا بحذر لا مبرر له .. ولا منطق من ورائه .. وربما كان ذلك بعض جناية الفكر الاسلامى الجامد المتعنت (٢) .. الذى يرى فى استلهام الشاعر المعاصر لقرآنه لونا من ألوان التجديف والتحريف .. اننى — بداهة — لا أدعو الى صوغ القرآن شعرا .. ولكنى أدعو بلا تهيب الى أن يكون القرآن بأسلوبه الفذ .. وسياقه المعجز .. وقصصه الهادف .. وايقاعه العملاق .. مجالا لتحرك الشاعر بالشعر .. يعيش به فى أعمار قصائده التى تولد من غور الذات وأغوار الوجود !!

والانسانية ملمح من هذه الملامح .. وقد يشتجر الخلاف حول هذا الملمح بالذات .. بما هو قاسم مشترك بين كل الآداب المحلية والعالمية على السواء .. ولكن هذا الخلاف لا يعفينا من تقرير هذه الحقيقة .. أولا :

لأن احتواء الأدب الاسلامى على ملمح من ملامح غيره من الآداب لا يطعن فى تفرد هذا الأدب بحال من الأحوال .. وثانيا : لأن انسانية أدب من الآداب لا يمكن أن تكون انسانية أدب آخر .. بمعنى أن مفهوم « الانسانية » فى الأدب الاشتراكى .. غير مفهومها فى الأدب الرأسمالى .. غير مفهومها فى الأدب اللامعقول .. ان الانسان محور كل هذه الصراعات .. يعيش فى الأدب الاشتراكى وضعية مخالفة تماما لوضعيته فى الأدب الرأسمالى .. ويجب أن يعيش وضعية أخرى فى الأدب الاسلامى .. اننا نطل على الانسان من خلال تقييم معين .. عقائدى قد يكون .. وفكرى ربما .. الا أن اطلالنا عليه مغاير تماما .. ويجب أن يكون مغايرا تماما لاطلال غيرنا عليه .. ولسنا مطالبين باحتذاء نمط من هذه الأنماط .. ولكن هذه الأنماط جميعها يجب أن تكون دائرة فى حتمية احتذائها لنا .. متى استطعنا نحن أن نحتل المشارف التى تؤهلنا لاحتواء هذا الدور القيادى الخطير !!

والنضالية ملمح من هذه الملامح .. وأعنى بالنضالية أن يخرج الأدب الاسلامى الى مجالات التحقق الوجودى مرتديا خوذاته .. قابضا على كل البنادق .. مقاتلا حتى غسق الكون الأخير من أجل أن تولد على الارض العدالة .. ويتحرر فى الارض الانسان !! ان النضالية هنا لا تعنى قتالا من أجل لقمة الخبز .. أو من أجل تحرير أشبار من الارض .. ثم لا شىء .. ولكنها تعنى قتالا من أجل ثقافة واعية .. وقتالا من أجل ابتسامة نظيفة .. وقتالا من أجل انتماء شريف .. وقتالا من أجل تواصل كونى بين شرق هذا العالم وغربه .. تواصلا يفضى فى النهاية الى مزيد من الحب .. ومزيد من الفعاليات !! ان نضالية الأدب الاسلامى تعنى الخروج من مقاعد المتفرجين الى ساحة الصراع .. تعنى أن نرفض كل ما هو مخنث فى الأدب .. كل ما هو خرافى فى الفكر .. كل ما هو ميتافيزيقى بلا بصيرة فى الشعر .. كل ما هو عدوانى يستهدف فى النهاية ضرب مكاسب الانسان !

كل هذه الملامح التى أسلفت .. من عقائدية .. الى تراثية .. الى قرآنية .. الى انسانية .. الى نضالية .. يمكن أن تشكل فى النهاية كل ملامح الأدب الاسلامى المأمول .. ويمكن أن تكون بعض ملامح هذا الأدب متى شارف مراحل التحقق والنضوج .. فان بداهة يقينية أومن بها على الاطلاق .. وهى أن كل أدب يشكل فى النهاية ملامحه .. ولا يمكن أن يجىء أدب ليطابق مواصفات موضوعة له من قبل لحظات ميلاده .. ان حركة الأدب فى مدها الزاحف .. وجزرها المقرور .. فى اندفاعها الرائع الى الفعل .. وانفتاحها الرائع لرد هذا الفعل .. فى تحورها وتطورها .. وارتدادها الدائم الى محورها ومن محورها جميعا .. كل أولئك يشكل فى النهاية كما قلت ملامح هذه الحركة .. أو ملامح هذا الأدب كما يجب أن يقال !!

ولكن .. اذا كان الأدب هو حركة النفس فى الوجود من خلال حلولها الجمالى فى كلمات .. كما قلنا .. فماذا يكون موقف الأدب الاسلامى من هذه الجماليات وهو كغيره من الآداب محكوم بهذه الجماليات ومطالب

بها على كل المستويات ؟ كيف يمكن لهذا الأدب .. العقائدى .. أن يتواءم مع الخيال .. والاسطورة .. والخرافة .. وكل مضامين الشعر التى بها غالب الشعر كل عناصر الفناء فى الزمن .. وانتصر بها على كل حرائق التاريخ ؟؟

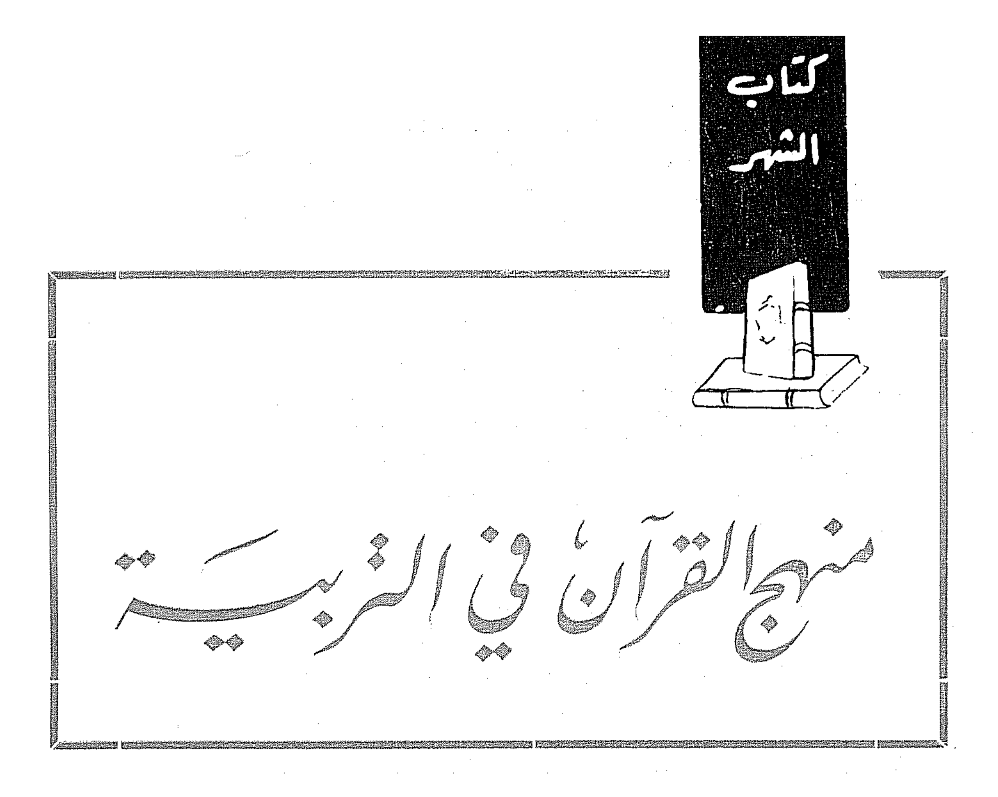
هنا .. لا بد من العودة الى تأكيد أولى .. ان .. المباشرة .. لا يمكن أن تكون ملمحا من ملامح هذا الأدب الاسلامى .. ولم نرها واحدة فى كل ما رصدنا له من ملامح بالذات .. وتأسيسا على هذا التأكيد الأولى .. فقد يصح لنا أن نقول ان الأدب الاسلامى الذى هو أدب عقائدى بالدرجة الأولى .. مطالب بارتياد كل آفاق الابداع الفنى .. وبالصيرورة الى كل اطار من هذه الأطر الفنية .. ان شيئا واحدا هو ما نطالبه به .. أن يعيش أبعاد قضيته .. أن تكون لحم اطاره ومحتواه .. وهو بعد .. حر بلا مبالاة فى كيفية أدائه للدور .. فى كيفية استيلائه على مناطق الصحو فى الجماهير !! ان هذا المنزع الفنى معترف به من القرآن الكريم .. فى قصصه .. وأمثاله .. معترف به من مناط وحى هذا القرآن .. محمد .. فى بعض من أحاديثه .. وأمثاله .. معترف به من أولئك الرائعين فى كل عصر .. الذين لم يحجروا الاسلام فى نمط دعائى .. وانما انساحوا به على كل زورق .. وفى كل جناح طائر بلا حدود !!

اذن .. فجمالية الأدب الاسلامى بما هى حتمية قدرية .. تبيح له بلا تحرج أن يوغل .. فى الخيال .. وأن يرتفق الاسطورة .. ما دام ذلك قائما على أساسين .. أولهما : رفض المباشرة فى التعبير عن حقائق صلبة .. وترك هذا المجال للفكر الاسلامى .. والفلسفة الاسلامية لقدرتهما وحدهما على الخوض فى هذا المجال .. وثانيهما : استذكار الهدف دائما على طرائق الوسيلة .. واستهداف الغاية دائما من وراء الواسطة !

وهذا وجه القضية بلا قناعات ..

قد تشتبه المعالم هنا .. فيخيل الى البعض أننا ندعو الى أدب اسلامى يخلط الحقائق بالخرافة .. والواقع بالأسطورة .. والمعنى باللامعنى اذا جاز ... وما الى هذا المستوى النازل يجب أن نهبط فى تصورنا لحقائق كل ما يقال .. ان واقع الاسلام .. وحقائق الاسلام .. ومعنى المعنى فى الاسلام .. لم تعد قضايا قابلة للأخذ والرد بما هى كذلك على الاطلاق .. ولكن الأدب الاسلامى المأمول فى أطره المختلفة .. شعرا .. وقصة .. ورواية .. ومسرحا .. يجب أن يتحرك من منطلق ايمانه بهذه القضايا أولا ... ثم من منطلق « أحساسه بها » وليس « صوغها » ثانيا . ثم من منطلق استفادته بكل أشكال التعبير الملائمة لعصره فى نهاية الأمر ... وهكذا — فيما يخيل الى — فعل توفيق الحكيم فى مسرحيته « أهل الكهف » .. وطه حسين فى ترجمته الروائية « على هامش السيرة » .. وغيرهما ممن تصدوا للكتابة فى هذا المجال .. ممهدين بحق لخلق

البقية ص ٩٧



منهج القرآن في التربية

للأستاذ : محمد شديد

تعريف وتلخيص
الأستاذ : ابراهيم بن عبد الرحمن البليهي

لقد أثرت المكتبة الاسلامية الحديثة ثراء كبيرا ، وبات من واجب الباحثين والدارسين .. أن يعنوا بالتعريف بمحتوياتها .. والتحليل لجوانبها .. والتأريخ لمراحل نموها .. والقاء الضوء على حياة بناتها .. وتقويم مضامينها .. فلقد تعددت جوانب هذه المكتبة ، وكثر المشاركون فى تشييدها .. واختلفوا فى أشياء كما اتفقوا فى أشياء .. ومع فخامة هذه المكتبة وعمقها .. وسعة أبعادها .. فأنها لم تصدر عنها حتى الآن دراسة شاملة ..

.. أجل ان المكتبة التى تحوى مؤلفات محمد فريد وجدى ، وأحمد أمين ، واسلاميات العقاد .. ومؤلفات الدكتور محمد عبد الله العربى ، وغيرهم — وهم كثيرون بحمد الله — من رجال الفكر الاسلامى الحديث .. ان المكتبة التى تشتمل على مؤلفات هؤلاء وأضرابهم .. هى مكتبة ضخمة كبيرة واسعة عميقة ... خليقة بالدراسة الجادة والتقويم العادل ،

وتحتاج الى تضافر الجهود .. لابرازها على الوجه الصحيح .. والكتاب الذى نقدمه اليوم هو واحد من محتويات هذه المكتبة الحية المشرقة .. وهو يقع فى نحو (٣٧٠) صفحة .. يقدمه مؤلفه الاستاذ محمد شديد بقوله : « فى هذا العهد (الفاسد) جاء محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من ظلمات الجاهلية الى نور الاسلام ، فكانت بعثته نهاية لعهد الطفولة البشرية وبداية لعهد الرشد والاكتمال .. وتأبت مكة على الاسلام ، وقاومت هديه بكل سلاح ، وربى الرسول قلة مؤمنة هاجر بهم الى يثرب .. حيث كون مجتمعا وأقام دولة .. ثم دانت الجزيرة كلها بدين الحق فكان نجاحه فى العهدين معجزة ، وكان انتشار الاسلام من بعده أعجوبة الأعاجيب .. كيف استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكون من عرب الجزيرة أمة : تحمل رسالة وتنشىء حضارة وتصنع تاريخا كأنه ضرب من الأساطير ؟!

وكيف خلقت رسالة الاسلام : من الفرقة وحدة ، ومن الضعف قوة ، ومن الامية علما ، ومن البداوة حضارة ، ومن الحفاة العراة .. خير أمة أخرجت للناس .. ؟

ذلك سر القرآن ، وعمل منهجه التربوى فى تقويم النفوس والأمم .. وأثر تطبيقه فى الجماعة والدولة » ..

ويؤكد المؤلف أنه لا بد لادراك حقيقة الاسلام من معرفة الميزان السليم الذى توزن به الدعوات ..

كما يقرر أن تربية القرآن لا تعنى مفهومها المألوف .. فهى لا تقتصر على المسجد أو المعهد ولا تختص بالعبادة دون السلوك .. أو تهتم بالفرد وتترك الجماعة .. أو تعنى بالعقيدة وتهمل العمل .. انما تشمل كل جوانب النفس وتعمل فى كل ميادين الحياة .. وعلى أساس هذا الشمول : يقوم منهج القرآن فى التربية ، وهذا الكتاب محاولة لبيان فكرته وأسلوب عمله وتطبيقه ..

ويؤكد ان عناصر رسالة الاسلام عقيدة وعبادة وتشريع : فالعقيدة أصل وفطرة ، والعبادة صلة وتربية ، والتشريع : أمن ونظام .. وجوهر هذه الرسالة : خلق واحسان ، ووسيلتها : قدوة وتربية ، وأول ميادينها : النفس والضمير .. ومن ثم كان هدفها اقامة مجتمع انسانى نظيف .

ويثبت من وقائع التاريخ الاسلامى .. ومن سجل السيرة النبوية .. أن الرسول عليه السلام قد عنى بتربية المؤمنين أكثر من أى شىء آخر .. وأن تربيته نجحت نجاحا ليس له فى تاريخ البشرية مثيل ، وانه وصل بمجتمع المدينة فى واقع الحياة الى غاية من الرفعة والسمو لم يبلغها الفلاسفة والمفكرون والمصلحون فى الأمانى والخيال .. ويستدل المؤلف بنجاحه : على ما تستطيعه التربية — وفق منهج القرآن — من تغيير للأنفس وسمو بالمجتمع ورفعة بالبشرية الى أسمى الآفاق .

ولكنه — وهو يقرر أن الرسول عليه السلام قد ارتفع بالمجتمع الاسلامى الى أوج فوق مألوف البشر — يؤكد فى الوقت نفسه .. أن مداومة التحليق قريبا من هذا المستوى فى حاجة الى مداومة التذكير والتربية وتنشئة الأجيال وفق منهج القرآن الكريم ، كما هو فى حاجة الى الأسوة الحسنة ، وحزم الحاكم ويقظته ..

ذلك أن منهج القرآن منهج عملى واقعى : يقيم المجتمع على العقيدة والخلق ، ويحرسه بالتشريع والنظام .. ويحول (وهـذه هى النقطـة الأساسية فى هذا المقام) .. بينه وبين الانحراف والفساد باقامة جماعة واعية تدعو الى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .

ويذكر المؤلف صورا من واقع التاريخ الاسلامى .. تسمو بالحرية وبالكرامة الانسانية الى آفاق لا يحلم بها الناس ثم يقول : « أسلوب جديد فى الحكم : جديد فى عدله وحريته وضماناته .. وجديد فى قضائه عـلى قداسة الحكام .. وجديد فى مساواته بين الناس ، وجديد فى حق محاسبة الخليفة والعمال ، وحرص الخلفاء على تنفيذه .. وعلى تربية الأمـة عليه .. ورياضتها على ممارسته » ..

كل ذلك فى الفصل الأول الذى عقده بعنوان : « جولة مع الرعيل الأول » والذى استغرق (٧٩) صفحة من الكتاب ..

يليه الفصل الثانى عن : « منهج الفطرة » .. يؤكد فيه أن عمـل القرآن الأول فى سبيل تربية النفس : هو ردها الى فطرتهـا السليمة وتخليصها مما علق بها من أوضار الوراثة والبيئة وخـرافات العـرف والتقليد .. وأن أساس هذه الفطرة : هو التوحيد .. حيث جبلت النفس على معرفة ربها .. لكنها قد تحجبها الغفلة وقد تضللها البيئة .. وقد ينحرف بها التقليد .. بيد أن جذور هذه المعرفة عميقة فى النفس لا سبيل الى انكارها أو التخلص منها .. ودليل هذه الفطرة ان الانسان بطبعه يحس بالحاجة الى القوة المعينة .. والاشراقة الهادية والسكينة المطمئنة ... وهو شعور عميق فى نفوس البشر .. وما كل مظاهر العبادة والتقديس لغير الله : الا تنفيس عن هذه الطاقة واستجابة لهذه الفطـرة ولكنهـا انحرفت عن طريقها السوى ..

ويقيم المؤلف الحجة .. على صحة هذه الحقيقة .. وينصب البرهان على وجود الخالق العليم .. ويؤكد أن القرآن قد دعا الى النظر فى آيات الله فى السموات والأرض ، وجعل من الكون محرابا للفكـر ، وكتابـا للمعرفة ودليلا على وحدة التدبير والنظام .. وانه حين يتفتح القلب على بعض حقائق الوجود يحس أنه أمام تناسق مطلق وجمـال معجز وتدبير محير ..

يلى هذا الفصل الذى يقع فى نحو (٢٠) صفحـة .. فصل عن (منهج المعرفة) .. بين فيه أن منهج القرآن فى التربية .. يقوم عـلى الايمان بحقيقة الوحدة فى الكون : وحدة الاله المعبود ، ووحـدة النظم والنواميس التى تشمل كل ما فى الكون ، ووحدة القوة التى تصدر عنها وتخضع لها تلك النظم والنواميس .. ووحدة الأمم التى آمنت بهذا الدين ووحدة المنشأ والمصير ..

وأكد — من ثم — ان هذه الوحدة الشاملة هى أساس العقيـدة فى القرآن ، وأنها هى التى تحدد معنى الوحدانية تحديدا كاملا .. وتحدد الصلة بين الانسان وربه والكون وما فيه .. وبالتالى فان الايمان بهـذه الوحدة — على هذا الأساس — : هو السبيل الى انطلاق قوى النفس الكامنة والسمو بدوافعها والارتفاع بها عن شهواتها ، وتغلبهـا على عوامل ضعفها ..

أن هذا الكون العجيب بل المتحف المثير للدهشة .. والباعث على الحيرة .. خليق بالنظر ، وجدير بامعان الفكر .. لمعرفة موجده .. ولكن الف العادة والتكرار — كما يؤكد المؤلف — جعل الناس لا يرون ألا الأسباب الظاهرة ، ولا ينفذون بتفكيرهم وبصائرهم الى ما وراء هذه الأسباب .. ويأسف لهذه الغفلة التى تكشف عن بلادة الحس والكفر بمواهب الحياة ونعمها ..

ويقرر من ثم ان القرآن يريد أن يجعل المؤمن يقظا مرهف الحس ، موصولا بربه ، كأنما يرى يد الله وهى تسقط الغيث وتنبت الزرع وتبعث الحياة فى موات الأرض .. يريد أن يجعل قلبه ينبض مع كل ظاهرة من ظواهر الكون ، ويتجاوب حسه مع تسبيح الوجود بحمد الله وقدرته .

ويثبت المؤلف .. من آى الذكر الحكيم . .ومن منطق التاريخ الاسلامى .. أن نصر الله للمؤمنين حقيقة من حقائق الوجود ، وسنة باقية من سنن الله .. ولكن الله قد يؤخر النصر لحكمة يريدها فتظهر لبادى الرأى .. هزيمة .. وأنه قد يهزم الحق فى معركة ، ويظهر الباطل فى مرحلة .. ولكن ذلك كله — فى منطق القرآن — صور للنصر تخفى حكمتها عن البشر .. ويعزو المؤلف سبب ضلال عقول الناس .. وشقاوتهم .. الى أنهم لم يفهموا لوجودهم فى الحياة حكمة .. ولم يجدوا لها حولهم فى الكون تفسيرا .. ولم يعرفوا لهم منشأ ولا مصيرا .. فهم أبدا فى تشاؤم وشقاء .. لا يقر لهم قرار .. ولا تهدأ لهم نفوس ..

ولو اهتدوا بهدى الاسلام .. لتلاشت هذه الحيرة .. ولاضمحل هذا الضياع .. ولذهب هذا التشاؤم ، ولتحول الاضطراب الى سكينة .. ولانقلب الخوف الى أمن .. فهذا الكائن البشرى لم يوجد فى الحياة صدفة .. ولا ظهر نتيجة تطور الحياة والأحياء انما خلقه ربه ونفخ فيه من روحه .. وحدد له ناموس وجوده على الأرض ، وجعل له فيها غاية محددة مرسومة تربطه بناموس الوجود والأحياء .. وهو مع هذا لم يتركه على الأرض هملا لدوافعه وعقله وفطرته وحدها .. بل تعهده بالهداية ، ووالاه بالتوجيه .. ويضرب المؤلف .. أمثلة .. من روائع أحداث التاريخ الانسانى .. والتى تحققت فى تاريخ الاسلام دون سواه .. على ما وصلت اليه التربية على الايمان — بمنهج المعرفة — بمجتمع المدينة حيث بلغت أفقا رفيعا .. حتى أصبح الاستشهاد أمنية يسعى اليها الجميع .. وحتى صار الموت فى حس المؤمنين لقاء لله ، ونقلة الى حياة هانئة كريمة ..

ومنها ينتقل الى الفصل الرابع عن (منهج العلم) .. وهو — فى نظر المؤلف — : امتداد لمنهج المعرفة .. يقوم على أساس ما أبانه من حقيقة الوحدة فى الكون ..

فالقرآن وهو يصقل الوجدان .. ويهذب الروح .. ويطهر الفطرة .. ويوجه الانسان الى هذا الكون العجيب .. لا يكتفى بهذا فحسب .. بل جاء لينهى عن الطفولة البشرية ويدفع الانسان الى آفاق العلم والمعرفة .. وينتقل بها الى عهد الرشد .. فكان اهتمامه بالعلم اهتماما بالغا .. بل لقد بدأ الوحى بالأمر بالقراءة والاشادة بالعلم ..

والعلم الذى يشيد به القرآن ويدعو اليه هو العلم بمفهومه الشامل الذى ينتظم كل ما يتصل بالحياة ولا يقتصر على علم الشريعة .. أو العلم الدينى .. كما يتبادر الى بعض الأذهان .. أو ما ذاع فى عهود التخلف عن القرآن ..

ويذكر المؤلف طرفا من جهود علماء الاسلام .. فى بناء الحضارة الانسانية ، وأثرهم فى الحضارة الغربية .. ويستشهد بأقوال رجال هذه الحضارة أنفسهم .. ثم يذكر سبب انحراف العلم الحديث .. ويؤكد .. أنه قد استطاع أن يحقق للبشر تقدما فى الكشوف ، وانتاجا فى المصانع ، ومتاعا فى الحياة .. ولكنه — مع ذلك — عجز كل العجز عن توفير السكينة للنفوس أو اشاعة الطمأنينة والرحمة والتعاطف فى المجتمع ..

أما الفصل الخامس فهو عن (منهج الفكر) .. لقد تابع الاسلام .. مآرب النفس الانسانية .. ونفض عن هذه النفس كل ما علق بها من أوضار .. وما حاق بها من انتكاس .. وما أصابها من تغير .. فردها الى فطرتها .. وقومها بالمعرفة .. وشحذ عقلها بالعلم .. وسما بها فى الفكر .. وحرر عقلها من الانحراف والخرافة .. وخلص فكرها من قيود التقليد والعادة .. وهذبها من الهوى والأنانية .. فالاسلام — اذن — هو الدين الذى يدعو الى الفكر ، والفكر يدعو اليه .. ومن هنا كان منهج القرآن الفكرى مبدأ تحول الفكر الانسانى من التفكير المجرد الهائم الى التفكير الواقعى المرتبط بالحياة والأحياء ..

يعقبه الفصل السادس عن (منهج الخلق) .. فالقرآن يهدف الى اقامة عالم رفيع الخلق ، عف المشاعر ، نظيف التعامل والسلوك .. وهو منهج خلقى كامل يشمل كل ما يتصل بالحياة والأحياء .. وهو يقوم على الايمان والحق والثبات .. فالعقيدة هى الأساس الأول لهذا المنهج الخلقى .. كما أن الحق أصيل فى طبيعة الكون .. عميق فى تكوين الوجود .. أما الباطل فطارىء لا أصالة فيه ولا استقرار له ..

وما دام أن القرآن منهج عالمى خالد .. فلا بد أن يتوفر له عنصر الثبات حتى لا يكون خاضعا للتغيير والتبديل مع الهوى والشهوات .

وفى هذا الفصل .. يبين مكانة الانسان فى الاسلام .. ويحدد علاقة الفرد بالمجتمع وعلاقة المجتمع بالفرد .. بحيث يتحقق التوازن فلا افراط ولا تفريط فى منهج القرآن .. ويبين مكانة الأسرة .. مؤكدا ان المجتمع القرآنى يقوم على أساس الأخوة العامة بين المؤمنين ..

أما الحدود فى الاسلام فقد شرعت — كما يقرر المؤلف — لصيانة المجتمع من الشذوذ والانحراف .. ولم تشرع اكراها على الفضيلة وحسن الخلق ..

ويؤكد .. أنه لا بد فى الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر .. أن تتوفر فيه صفات الداعية .. مع فقه الفكرة .. وفهم المنهج القرآنى ..

أما الخلق فى المجال الدولى .. فهو — كما يبين المؤلف — أهم ما

عنى به القرآن ، ومبادؤه فى هذا المجال ثورة عنيفة على كل مظاهر الفساد .. وأساس التعامل فى المجال الدولى .. هو الوفاء بالعهد والمحافظة على المواثيق ..

أما الفصل السابع فهو عن (منهج العبادة) .. وهو منهج تربوى يقوم على أساس تحديد مكان الانسان من هذا الكون والحياة .. وأما هدفه فهو : أن يضع الانسان فى مكانه الصحيح من الكون .. وهو منهج يلبى فى الانسان فطرته .. وينير له طريقه ، فمدلول العبادة فى القرآن شامل لا يقتصر على الفرائض .. ذلك أن الحياة كل لا يتجزأ ، جميع ما فيها لله .. لا انفصال بين طريق الدنيا وطريق الآخرة .. ولا فرق بين الفرائض والسلوك .. فالحركات تتحول بمجرد النية الى عبادة ينتظر منها الثواب .. والقرآن يربى فى الانسان قوته .. ويزيل عنه الضعف والتخاذل .. وهو يستشرف بالنفس الانسانية الى السمو .. والاتصال بالخالق العليم .. فالدعاء مخ العبادة .. ويبين آثار كل عبادة على انفراد : أثر الدعاء التربوى .. وأثر الصلاة ، وأثر الصوم .. وأثر الزكاة ..

والقرآن لا يغفل أى جانب من جوانب التربية الكاملة الشاملة ... وهو لهذا يربى الانسان على اليقظة الدائمة .. والارادة الواعية .. واذا كان هذا شأنه مع الفرد .. فانه يهدف الى تكوين جماعة متميزة : تحمل مبادئه ، وتعمل على تبليغها والجهاد فى سبيل تأمينها والدعوة اليها ..

أما الفصل الثامن فهو عن (منهج الدعوة والداعية) وهو فصل مهم ، ويجب أن يستفيد منه الدعاة الى الله .. فالمؤلف .. يستعرض تاريخ الدعوة الاسلامية منذ أول البعثة المحمدية حتى سيادة مبادىء الاسلام .. وهو فى ذلك يستخلص منها الرشاد ويستلهم منها العبرة .. ويستوحى منها العظة .. : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » .. « قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزى قوما بما كانوا يكسبون » .. « أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » .

وفى الفصل التاسع .. يتحدث عن (ميزان القيم) مؤكدا أن القرآن منهج حياة متكامل تنبثق أخلاقه وعباداته وشرائعه من عقيدته .. فهى الأصل وما عداها فروع ، ومن ثم جعلها (أى العقيدة) ميزانا لأقدار الناس وقيم الحياة .. فالمسلم أخو المسلم .. ولا أخوة وثيقة تجمع بين المسلم وغيره من ذوى المذاهب والمبادىء والأفكار والأديان المخالفة للاسلام : « ونادى نوح ربه فقال : رب ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين . قال : يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح .. » ..

أجل انه ليس من أهلك !! فى صراحة ووضوح رغم أنه ولده من صلبه .. وما أهله الا الذين آمنوا معه واحتوتهم سفينة الايمان والنجاة .. انها الحقيقة الضخمة الخالدة ، يرسى قواعدها القرآن ويقرها فى الحياة

ويربى على أساسها الأمة المؤمنة .. فلا أبوة ولا قرابة ولا زوجية الا على أساس الايمان ..

والعلم — فى نظر القرآن — قيمة ضخمة وهبة عظيمة وسر كبير من أسرار تكوين الانسان : فقد خلقه الله سبحانه وكونه بحيث يتجاوب بعقله وتفكيره مع كل مظاهر الحياة على الارض .. ومع كل آيات الله فى الكون .. وبهذا أصبح الانسان أهلا لرسالة الاستخلاف فى الارض .. وبهذا يصبح العلم عبادة أو فريضة ، وتصبح دور العلم والمعاهد والمعامل .. كالمساجد والمحاريب ..

ومفاهيم القرآن تختلف عما عداها من مفاهيم .. وهى ان التقت معها فهو التقاء عرضى ليس دليل الوفاق .. انها قيم جديدة ومفاهيم حية .. تنبع من فلسفة شاملة للحياة .. ونظرة واسعة عميقة للكون ... وتحديد صحيح وحكيم لمكان الانسان فى الوجود .. وقيمة ما تواضع عليه الناس من قيم .. لقد ألغى القرآن كل ما تعارف عليه الناس فى الجاهلية من قيم ، ووضع ما قامت عليه المجتمعات الجاهلية من صلات .. وأقام قيمة جديدة .. هى قيمة الايمان .. وجعل من العقيدة قاعدة كبيرة للمجتمع المؤمن .. تنبع أخلاقه وصلاته ونظمه من عقيدته ، وأعتبر كل ما يقوم على غير أساسها من علم أو عمل خروجا على منهجه .. والحادا فى عقيدته وضلالا يؤدى الى الدمار والفناء .. واعتبر الايمان بهذه العقيدة حياة ونورا وبعثا لموات الأمم والأفراد ..

أما الفصل العاشر والأخير فهو عن (التربية فى ظل الأحداث) فالقرآن ما نزل منجما الا لأنه لا يؤثر فى النفوس شيء كما تؤثر فيها التربية فى ظل التجارب والاحداث حيث تكون القلوب متفتحة للتوجيه .. والنفوس مهيأة للانطباع .. بيد أنه لا يملك التربية بهذا النهج الا رب الناس .. فهو الذى يكشف النوايا والسرائر ويعرض النفوس سافرة بلا أستار ، وينفذ الى مواضع التأثر والاستجابة منها .. ثم يصوغها وفق منهجه كما يشاء « انه يطرق الحديد ما دام ساخنا » .. وبهذاكان أسلوب تنزيله أساسا لنجاح التربية وأصلا لعمق أثرها فى النفوس .. فقد جعل من كل هزيمة عبرة ... ومع كل نصر درسا ولكل موقف تحليلا .. كما كان بناؤه مظهرا رائعا للخلود .. جعله صالحا للسير مع كل نفس ، موجها لكل جيل ، بانيا لكل أمة لتماثل النفوس وتشابه الأحداث ..

فلا غرو ان كان نزوله منجما حسب الظروف والأحداث .. انه كتاب بناء وتربية لا كتاب ثقافة أو متاع .. جاء بمنهاج كامل للحياة والتربية : لصياغة نفوس ، وبناء أمة ، واقامة مجتمع ..

وبعـد :

فهذه أهم مباحث هذا الكتاب النفيس ..وهو عرض موجز .. وتلخيص مختصر وتعريف لا يعدو دور الدلالة على الطريق .. وهذا هو هدفى .. فان أفلحت فى اغراء القارىء بدراسته بنفسه .. فذاك ما أرجوه ..

أدب اسلامى عابر لحدودنا ومخاطب لكافة أنماط البشر فى كافة زوايا الأرض .. بلا تفرقة من لون .. أو جنس .. أو جغرافية مكانية .. أو حتى زمانية .. على تعاقب الأحقاب !!

الأدب الاسلامى الذى ندعو اليه .. أدب عقائدى بلا تعصب ... تراثى بلا جمود .. قرآنى بلا تحفظ .. انسانى بلا كراهية .. نضالى بلا مبالاة ...

الأدب الاسلامى الذى ندعو اليه .. ليس هذه البحوث الفقهية .. أو الأصولية .. أو التاريخية .. التى تسيل على أقلام الكاتبين .. وأن كان لهذه جميعا دورها الخطير فى تشكيل ملامح العصر ... وانما هو الأدب بمعناه الجمالى .. قصة .. أو مسرحا .. أو رواية .. أو شعرا .. وأرجو ألا يصدمنا مصطلح « الأدب بمعناه الجمالى » .. لأن .. «الجمالية» فلسفة غائرة العمق .. وليست مجرد تلوين لسطوح الأشكال .. ليست الجمالية موقفا من مواقف الترف حيال ما يجرى فى الكون .. ليست انكماشا مخدرا فى لذاذات فردية بائسة .. ليست التلهى بأنماط من القول منخوبة بلا قرار ...

.. وهذا هو معنى النظرة الجمالية .. ليس معناها أنى غير مطالب بالسخط على الظلم .. ولا معناها أن الاشياء تعرض على ذاتى المحايدة غير المنحازة الى جانب ، كلا .. فالمطلوب أن يكون حكمى منحازا الى هذا الجانب أو ذاك ، لكنه يجب أن يكون منحازا بحرية .. ان هذه المخاطبة لا تتجه الى ما فى الانسان من لحم ودم .. بل الى ذلك الجانب الانسانى فيه حقا .. الى حريته ... الحكم الجمالى اذن هو الاعتراف بأنى انما أواجه شكلا معينا من أشكال الحرية ، هى حرية الخالق ، وهو ثانيا وفى نفس الوقت الاعتراف بالوعى بحريتى ازاء الشىء الذى يواجهنى ، وهو أخيرا أصرار على أن يستمتع الناس الآخرون الذين لهم ظروف كظروفى بالحرية نفسها (٣) ..

الأدب الاسلامى الذى ندعو اليه .. هو كل أولئك جميعا .. وهو شىء وراء كل أولئك جميعا .. لأن الأدب الحقيقى — كما قلت — قادر باستمرار على أن يخلق قوانينه .. ويشكل ملامحه .. ويقف اطاره ومحتواه على مستوى المعاطاة التى لا تنتهى الى حد .. غير حد الابداع دائما .. والريادة دائما .. ونبالة الذود عن كل ما هو رائع فى التاريخ .. دائما .. دائما !!

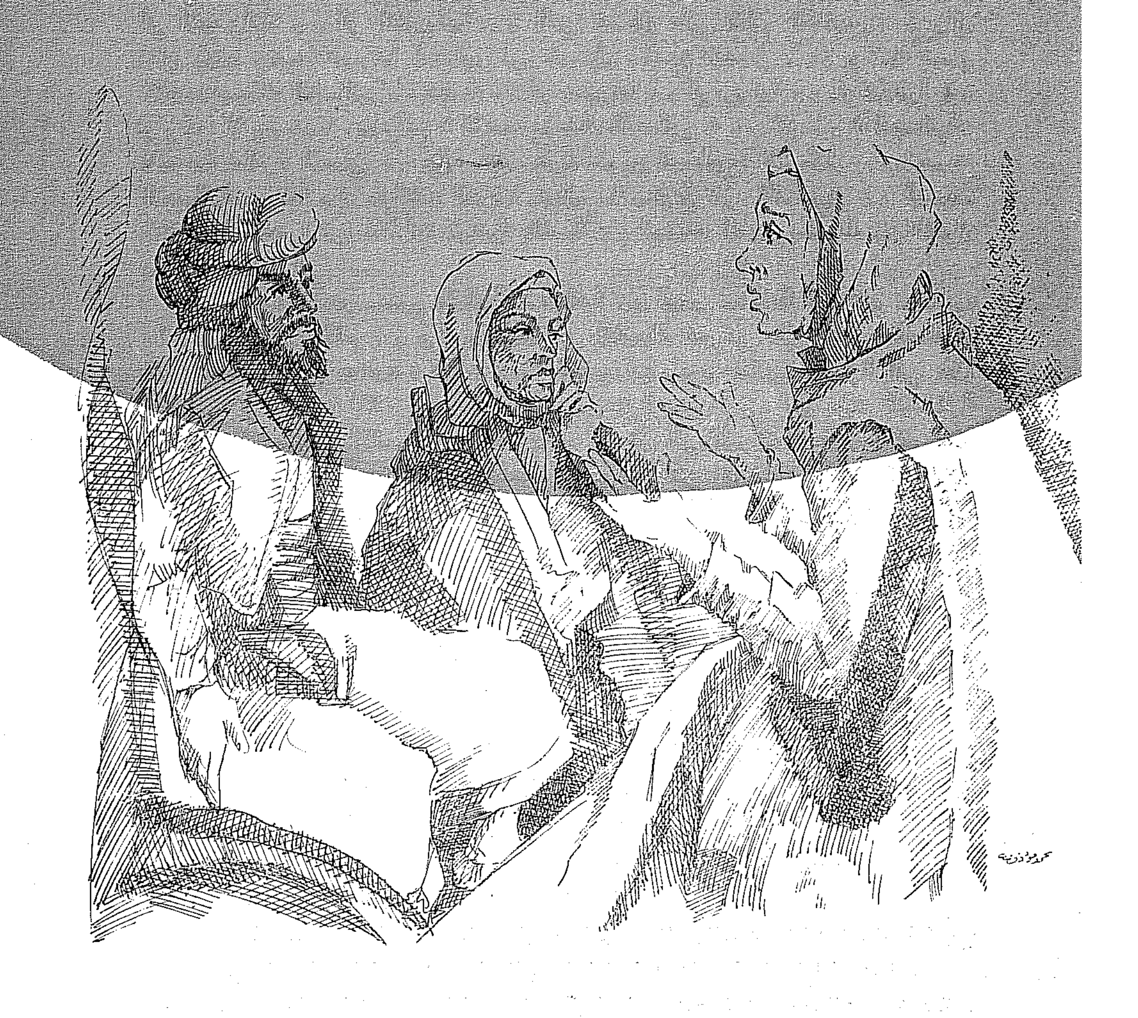
---

(١) راجع « فى الادب الجاهلى » — للدكتور طه حسين .

(٢) لعلى لست فى حاجة الى أننى أعنى (بالفكر الاسلامى الجامد المتعنت) بعض الشروح التى لا تبيح للانسان المعاصر أن يضيف الى تراثنا فهما جديدا . أو استلهاما جديدا .

(٣) جان بول سارتر — من كتاب الرؤيا الابداعية — جمع بلوك . وسالنجر . ترجمة : أسعد حليم .

يوم عصيب



يا للذهول أية هلهلة ملابس وأى نحول ؟ من يصدق أن هذا هو عمر بن عبد العزيز ؟

— ٦ —

الحديث طال بين أمير المؤمنين عمر وبين عمته فاطمة بنت مـروان. تريد هى أن تفجر غضبها ، ولكن ذكاءها وخبرتها يمسكان بغضبها ، فالمهم أن تنال من زيارتها اربها ، وما اعتادت عند الخلفاء من قبل عمر الا أن تعود محققة هدفها ..

وعمر بهدوئه وحيائه وبالغ تودده وتواضعه يرد غضبها الى مكامنه فى جوانحها .

وصمتت السيدة الكبيرة وأطرقت ولكن ادكارها أبناء أخوتها وبناتهم وما أهمهم من أمر عمر وأهاج خواطرهم والشر الذى صمموا عليه فى حق عمر كل ذلك أثار ثائرتها فانفجرت صارخة !

« ومن قال لك انهم سوف يرضون لك بكل ما تفعله بهم فيذعنوا لك ويستسلموا لمشيئتك ؟؟

« انهم رعية كسائر الرعية ، وأنا استخلفت برضاء الناس ورضائكم ، وما أفعل الا بما أمر الله ورسوله وسار عليه أبو بكر وعمر .

« ولكنك لن تجيئهم بناس كمن عايشوا أبا بكر وعمر ..

« اذا زاغ الناس فنحن أولى بأن نستقيم أمامهم ، ونبدأ بأنفسنا من دونهم .

« لا فائدة انك لن تسمع من أحد ! أنك ترزأ أبناء عمومتك فى مالهم وشرف الرياسة التى نالوها بجدهم ودمائهم .

« الخلق كلهم عيال الله يا عمه .

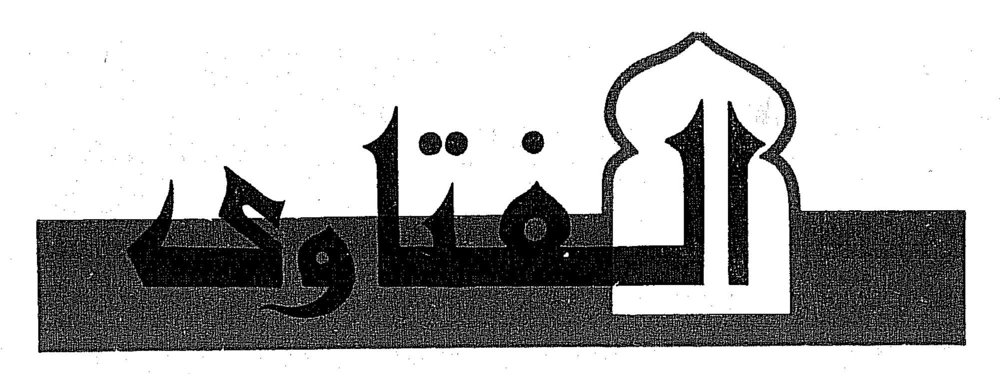
« استمع الىّ يا عمر طاوعنى يا عمر ، انك إن لم تفعل فان أبناء عمومتك سيهيجون عليك يوما عصيبا ..

« ان يوما أخافه يا عمه دون يوم القيامة فلا نجانى الله منه ! ..

« لا فائدة ! انك لن ترضينى ولو مكثت عندك ألف سنة ...

« الله ورسوله أحق منك بالرضا يا عمه ...





متى يقام للصــلاة

السؤال :

يلاحظ ان المصلين لا يقومون فى وقت واحد عند اقامة الصلاة ، فبعضهم يقوم عندما يبدأ المؤذن الاقامة ، وبعضهم يقوم فى اثناء الاقامة ، فأيهما افضل ؟

سليم العدنى — عدن

الاجابــة :

قال الامام مالك فى الموطأ : لم اسمع فى قيام الناس حين تقام الصلاة حدا محددا انى أرى ذلك على قدر طاقة الناس فان منهم الثقيل والخفيف ، وما دام لم يرد نص يحدد زمن القيام للصلاة ، ولا نص يحدد كلمة مخصوصة من كلمات الاقامة يقوم المصلى عند سماعها فان ذلك متروك لتقديره وحــالة المصــلين ، والمطلوب ان يكون المصلون جميعا صفوفا متراصة منتظمة كاملة عند تكبير الامام تكبيرة الاحرام .

وروى ابن المنذر عن أنس : انه كان يقوم اذا قال المؤذن قد قامت الصلاة .

الوقت بين الاذان والاقامــة

السؤال :

اذا أذن المؤذن للصلاة فمتى يقيمها . هل هناك زمن محدد شرعا يفصل بين الاذان والاقامة بمعنى انه لا يقيم الصلاة ، الا بعد خمس دقائق أو عشر مثلا .

على بن زيــد — دبى

الاجابــة :

لم يرد نص يحدد الزمن الذى يفصل بين الاذان والاقامة وانما المطلوب شرعا هو الفصل بين الأذان والاقامة بوقت يسع الاستعداد وحضــورها لأن الأذان انما شرع لاعلام الناس بدخول الصــلاة فيستعدون لها ومتى اجتمــع المصلون أقيمت الصلاة ، وروى الامام أحمد ومسلم وأبو داود والــترمذى عن جابر بن سمرة قال — كان مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤذن ثم يمهل فلا يقيم حتى اذا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج اقام الصــلاة حين يراه .

صـــلاة المستحاضـــة

السؤال :

العادة الشهرية عندى كانت ستة أيام ثم أصابنى نزيف واستمر نزول الدم دون انقطاع وأحيانا يكون غزيرا وأحيانا يكـــون على هيأة نقـــط وعجزت عن علاجه فكيف اصلى ؟

الاجابـــة :

ما دامت مدة العادة الشهرية لك كانت معروفة قبل حدوث النزيف فتعتبر هذه المدة حيضا وهى عندك ستة أيام شهريا فلا تصلى ولا تصومين فيها ، وبعد مضى هذه المدة يجب عليك أن تغتسلى وتصلى وتصومين ، وفى هذه الحالـــة يجب عليك الوضوء لكل صلاة بعد دخول وقتها وان تغسلى مكان النزيف قبـــل الوضوء وتضعى قطنة مثلا لدفع النجاسة أو تقليلها .

الدعاء أثناء القـــراءة

السؤال :

سمعت بعض المصلين أثناء قراءته القرآن فى الصلاة يقطع القراءة ويدعو بأدعية مناسبة فيقول عند ذكر الجنة اللهم انى اسألك الجنـــة وعند ذكر النار اللهم أجرنى من النار فهل ذلك جائز شرعا ؟

هيثم عدنان ــ الدوحة

الاجابـــة :

يسن لكل من قرأ فى الصلاة أو غيرها اذا مر بآية رحمة ان يسأل اللـــه تعالى من فضله ، واذا مر بآية عذاب ان يستعيذ به من النار ، واذا مر بآية تنزيه لله سبحانه نزه فقال ســـبحانه وتعالى أو نحو ذلـــك ، ويستحب لكل من قرأ (أليس الله بأحكم الحاكمين) ان يقول بلى وانا على ذلك من الشاهدين ، واذا قرأ (أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى) قال بلى أشـــهد واذا قرأ (فبأى حديث بعده يؤمنون) قال آمنت بالله واذا قرأ (فبأى آلاء ربكما تكذبان) قـــال لا نكذب بشىء من آيات ربنا واذا قال (سبح اسم ربك الأعلى) قال سبحان ربى الأعلى ويستحب هذا للامام والمأموم والمنفرد لانـــه دعاء فهو مطلـــوب منهم كالتأمين وكذلك الحكم فى القراءة فى غير الصـــلاة .

ملاحظـــات
حول مقال ((دين زاحف مهما كانت العوائق))

بعث الينا الاستاذ أبو القيم الكبسى من محافظة الانبار بالعـراق الملاحظات التالية : ـــ

اقرأ الأستاذ الكبير محمد الغزالى كتبه فى (الدعوة) ومقالاته فأحس بفيض من الحياة يغمرنى فأود أن أتحرك وأن أعمل ممزقا كل خيوط العزلة ، والتى يكـاد أن يغرى المؤمن بها بضغط ... التقهقر الانسانى نحو ((السافل)) .

وآخر ما قرأته لفضيلته فى مجلة الوعى الاسلامى مقاله ((دين زاحف مهما كانت العوائق)) والمقال هذا عالج فيه الأستاذ ـــ ككل كتاباته ـــ موضوع الساعة ((الاسلام)) فى آخر زمان ، كما يسيغ لدعاة القعود ، ومثبطى همم الشباب الداعى الى الله تعالى أن يسموه ، آخذين من تسميته هذه أن لا جدوى من ((الدعوة)) فهى اليوم فى محل من يحاول أن يرجع الايام الأولى ، وما هـو بفاعل ، ولهذا أسباب ليس هنا محل بحثها ، وحقا أجاد أستاذنا بالغيب الأستاذ الغزالى فأتاها من القواعد ، فجزاه الله تعالى على غيرته الخير ، ومد فى عمره لنصرة الحق الغريب .. غير أن ثمة ملاحظات عنت لى وأنا اقرأ مقالـه آنف الذكر ، فوددت تسجيلها ومبادلة فضيلته الرأى فيها على صفحات مجلتنـا الزاهرة فليأذن لى فضيلته مشكورا .

١ ـــ قال فضيلته ((كلما قرأت أبواب الفتن فى كتب السنة شعرت بانزعاج وتشاؤم ، وأحسست أن الذين أشرفوا على جمع هذه الأحاديث قد أساءوا ـــ من حيث لا يدرون ومن حيث لا يقصدون ـــ الى حاضر الاسلام ومستقبله ـــ وأظن ان الأمر لا يدعو لكل هذا ليكون بالتالى قد أساء من جمع هذه الأحاديث بقصد أو بغير قصد !! فالأمر أهون من ذلك بكثير ذلك لأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، قالها وهو يعلم اذ يقولها أنها أمانة الرسالة والتبليغ ((وما ينطق عن الهوى)) ولا يجهل أنها ستصل الأجيال جيلا بعد جيل . ((انا نحن نزلنا الذكر وأنا له لحافظون)) وسنته الصحيحة من (الذكر المحفوظ فقائلهـا وناقلوهـا براء من قصد الاساءة .. بقى ما يحتمل ((النص)) المنقول من وجهة نظر تفسيرية هى ملك لصاحبها لا لغيره ، فهى ان كان يؤخذ منها كما يقول فضيلـة الشيخ ((تصوير الدين وكأنه يقاتل فى معركة انسحاب)) فهى مردودة لا يتحمل ما يترتب على ردها ((النص)) باعتبارها أبعد ما تكون عنه ... ولقد أجاد فضيلـة الشيخ فى ردها .

قصة من تاريخنا العظيم ..

للأستاذ أحمد الغناني

— ١ —

على وجهها المشرق القسمات تبدو نضرة النعيم كأحسن ما تبدو على محيا سيدة تقدمت بها السنوات ، ولكن فى سلسلة من المسرات ، وأيام من العز والسعادة .

وكل شىء من حولها يكاد ينطق بالهناءة والغنى الموفور ... ولو أنها سألت نفسها ماذا تريد من الدنيا ، مما لم يتحقق لسيدة مثلها لأعياها أن تتمنى على الدنيا الا مستحيلا لا يتحقق لها ولا لسواها ، وهو أن تعيش مع النعمة التى تتقلب فى أعطافها فلا تموت أبدا ...

وهى لا تذكر فى ماضيها شيئا تشكو منه الا أن يكون ذلك وفاة من توفاه الله من أهلها ولا سيما عبد الملك ، وعبد العزيز ابنا مروان أخواها ، ولكنهما أن يكونا قد عنوا لأمر الله فان حسبها أن أبناء عبد الملك ، خلفاء كانوا أم أولياء عهد وأمراء ، وأبناء أبنائهم أيضا يعرفون حقها عليهم ، فلا يتأخرون فى زيارة ، ولا يقصرون فى واجب ، بل هم يصلون حد المبالغة فى اعزازها والرجوع فى كثير من الأمور الى رأيها ، حتى أصبحت هى العنصر المرجح فى خلاف يقع ، أو حيرة تلتاث فيها الأمور ...

لقد كانت سيدة راجحة العقل ، تعرف كيف تحترم نفسها وتزن مواقفها ، وتجنح الى الانصاف والروية ، ومع أن الجميع كانوا مجمعين على توقيرها ، أن كانت آخر الاحياء من ابناء مروان جدهم ، وبانى مجدهم الا أنها كانت غير مسرفة فى الانفاق من ذلك الرصيد الكبير ، فهى لا تدخل فى أمر لا يعنيها ، ولا تتطوع أو تتطفل فى موضوع لا تسأل رأيها فيه .. مقيمة فى دارها الفخمة على ضفة بردى ، يسعى لها بما تشاء خدمها وغير خدمها .

ولقد دارت بها الأيام حتى ملأت ذاكرتها بذكريات أحداثها .. من عهد النصر الذى حققه أبوها فى « مرج راهط » فثبت أركان حكمه فى دمشق ،

الى عهد عبد الملك أخيها ، وما شهدته أيامه من تثبيت لملك أمية فى دمشق وانطواء صفحتى عبد الله ومصعب ابنى الزبير ، وعودة الحجاز والعراق ومصر وأفريقيا لحوزة الخلافة ، ثم استئناف الفتوح فى غير مكان واحد من أطراف الدولة العظيمة ، ثم امتداد تلك الفتوح العظمى فى أيام الوليد .

— ٢ —

وانها لمحصورة المنى فى مجد أبناء أبيها وأحفاده ، لا تتمنى أن يوافيها الأجل وهى ترى بينهم خصومة قد تطمع أحدا فى ملكهم ، أو بادرة ضعف قد تودى بباذخ شرفهم ..

وكانت تحس بدورها الكبير ، ونفوذها الأدبى الحاسم فى كثير من الأمور ، كما تستشعر حاجة بنى أبيها لها ، فلا تسمح لنفسها أن تغفل عن شاردة أو واردة من أمرهم الا وعندها علمها .

ومنذ وفاة أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك ابن أخيها وهى تحس بغير سبب واحد لقلق يشيع فى نفسها .... قلق غامض مبهم خفيف ، يغشى جوانحها كما تغشى سحابة الدمعة المتراجعة أطراف العين الحزينة .

لقد كانت كسائر بنى مروان تعرف لعبد الملك حقه عليهم جميعا وهى بعد وجدت كما وجد سواها فى الوليد ابنه تأكيدا لذلك الحق ، فلولا عبد الملك والوليد لمادت بالأمويين الارض أو ساخت تحت أقدامهم ..

ولقد مات الوليد ثم طوى الردى بعد على حين غرة أخاه سليمان ولكن بيت عبد الملك لم يخل من الرجال فثمة يزيد وهشام ..

لم يكن أمرا مريحا أن تنتقل الخلافة الى بيت عبد العزيز بن مروان .. ولكن كذلك جاءت مشيئة سليمان وهو على فراش الموت المباغت وكذلك دبر رجاء بن حيوة فأحكم التدبير ، وأسقط فى أيدى أبناء عبد الملك حين سارع مسلمة أخوهم الى تأييد ابن حيوة ، ومسلمة بطل شجاع ولكنه ابن لأم ولد فليس غريبا عنه ، وهو الذى يقعد به نسب أخواله عن مجد الخلافة ، أن يؤثر عمر بن عبد العزيز على اخوته أبناء أبيه عبد الملك ...

— ٣ —

ولكن مهلا .. لم اليأس من عمر ؟

لقد يكون من الخير للأمويين أن يستخلف هذا الرجل بالذات من أبناء أخيها عبد العزيز .. فلهذا الرجل شعبية واضحة ، ان كان جده لأمه هو عمر بن الخطاب الذى أوسع الناس عدلا وكرامة ، وأبوه أكثر الأمويين اسماحا وكرما وتوددا للناس .

ثم هو رجل كريم ، وصاحب علم وفضل ، وهو بعد ابن عبد العزيز أخيها الذى طالما أوسعها برا ، وأطلق لسانها بالشكر ، وهذا الرجل أيضا زوج أحب بنات أخيها اليها ، وأقرب الأمويات الى قلبها سميتها فاطمة بنت عبد الملك التى طالما رأت فيها امتدادا لوجودها هى نفسها .

ثم ان الناس ضاقت مذاهبهم بهذا الحصار الطويل الذى فرضه

سليمان على القسطنطينية من غير أهبة كافية له ، فلا هو بمثمر ولا هو بمتوقف .

وعمر محبوب ولا سيما فى مدينة الرسول ، وما تزال يثرب موطن الهجرة والرسالة والنصر ، وخيرة التابعين وعلماء المسلمين .. لعلها تسمح فى خلافة عمر وترضى .. الم يكن عمر فيها قائما بالقسط ؟ منافحا فى وجه الحجاج وغير الحجاج حتى انه بسبيل الدفاع عن أهلها لقى ما لقى من عنت الوليد ؟

ومع كل هذه الأمور ، فان خلاف الأمويين مع عمر خطير جد خطير ! تذكرت فاطمة ما سمعته من شكاوى أبناء اخوتها من عمر فأحست بغضب يستبد بقلبها ، ويهيج فيها رغبة فى العنف والصيال . ماذا يريد عمر من مصادرة أموال المروانيين ؟

ما هذا الذى يبغيه من العنف العنيف بأبناء سليمان والوليد ؟ وأى تفسير للتقشف الذى أخذ به نفسه وعياله حتى كاد يجيع أبناءه وبناته ؟

أليس كل هؤلاء وأولئك أبناء اخوتها وبناتهم وهى أولى الناس بالغيرة على ما أصابهم ... وأحست بغليان الغضب فى رأسها وقلبها وكيانها كله ونهضت نافرة حانقة تنادى فتيانها أن يهيئن لخروجها ، واضطربت الفتيات لما حسبنه من أمر عظيم يغضب السيدة الأميرة الوقور التى اعتاد الأمراء أن يسعوا اليها وتهامسن فى حذر ، وتراكضن لحاجتها فى تهيب وحذر ، وخرجت فاطمة تتهادى فى مسيرتها ، لكنها فى هذه المرة لم تأخذ فتيانها من خلفها ..

— ٤ —

ترى ما حال فاطمة ابنة أخيها وحال أبنائها وبناتها ؟

قد مضى عليها وقت لم ترهم ولم ترها ، ولكن أخبارا نميت اليها ما تكاد تصدقها .. .. أحقا تكون فاطمة ابنة أخيها قد عنت لرغبة زوجها فأعادت الى بيت المال سائر مالها وحليها ؟

أحقا ما قيل منذ شهرين وأكثر بأن الهزال والاصفرار قد ألحا عليها وأخرجت مرآة ساذجة نظرت فيها الى نفسها .

انها أكبر من زوجة عبد الملك أم فاطمة ، زوجة عمر بن عبد العزيز ، ومع ذلك فان الحياة تتفجر ثرة غزيرة فى كل كيانها ...

وعلى الطريق لقيها أحد أبناء الوليد دون بيت عمر ، فسارع اليها متهيبا وسلم وابتدر يدها فقبلها ... ثم مال الى رأسها هامسا « ابن عمه ؟ »

« الى ابن أخى عمر هذا أمير المؤمنين .

« كذا ؟ عهدى بك

« عهدك بى أزار ولا أزور ، مرعية القربى والرحم لكن ابن أخى هذا مشغول ليله ونهاره فى أمور الناس ، فما يصفو له عيش ، ولا يقر له قرار ... كأنه لم يستخلف قبله أمير للمؤمنين .

« بلى ، قد استخلف من هو مثله ومعلمه .

« معك حق ، فهو أشبه الناس بجده ابن الخطاب .

« ولكن أيام جده تولت يا عمه وأرى هذا الرجل قد ألقى بشره على رءوسنا ، والأمر استفحل ... الساعة وضع يده على ضيعتى بطريق حمص فأعادها الى بيت المال كذا ؟

« أجل يا عمه والمصيبة أنه يفعل بنفسه أشد من ذلك تدرين أنه أعاد جبل الورس الذى تركه له أبوه الى بيت المال ؟ من ذا يقوم بأولاده ان مال بهم زمان ؟ لكنه حر فيما يشاء لنفسه .. أما نحن ؟ ما شأنه بنا نحن ؟ يمين الله لنرينه يوما أشد وقعا على رأسه من النبال .

« حسبك يا بنى .. لا يسمعك أحد .. لا تطمعوا الناس فيكم لستم بغير أعداء ..

« والى متى يا عمه ؟ قد طفح الكيل يا عمه ؟ يريد هذا الرجل أن يردنا الى منزلة العامة والسوقة ؟

« لا بأس يا بنى لا بأس .. الجرح فى الكف ، والرجل ابن عم ، والنصيحة ان تكررت تثمر ، دع ذلك عنك لى فانى آخذة اياه بالحزم والوعيد ..

جلست فاطمة بنت عبد الملك الى عمتها فاطمة بنت مروان كانت تحاول أن تشيح بوجهها ولو قليلا عنها فطعامها فى ذلك اليوم من العدس والبصل ، وافتقار بيتها الى الروائح والطيب أحرجها أمام السيدة الوقور الفواحة العطور .

وابنة مروان تدير بصرها فى أرجاء بيت عمر بن عبد العزيز وتنظر فى امرأته وبناته وأبنائه فتكاد تصعق ؟

« أهذا بيت أمير للمؤمنين ؟ أهذه حياة تنبغى لمن يمتد ملكه من وراء النهر عند تخوم الصين ، الى ملتطم الأمواج على بحر الظلمات ؟ أكذا تعيشون على أتفه زاد ، وتتدثرون بأفقر ملابس ؟

أكذا داركم عارية فلا تلحق بدار أدنى تاجر أو أفقر صانع ؟ أكذا تصنعون بأنفسكم أيها الناس ؟

ألم يكن عمر قبل الامارة والولاية مثلا يحتذى به فى رقة الحاشية وغضارة العيش ، ومطارف الخز ، وعيش البلهنية والعز ؟ ما الذى أصابكم أيها الناس ؟ ماذا جرى لعقولكم ، لماذا أنت مطرقة يا فاطمة ؟

ورفعت فاطمة بنت عبد الملك رأسها فاذا الدموع ملء عينيها ..

« ان عمر على حق يا عمه !

« ماذا ؟ أنت الأخرى تقولين بقوله لأمر ما اذا أعدت حليك الى بيت المال ؟ ورضيت هذا العيش الأجدب عيش الهوان ؟

« عمر على حق يا عمه ... كيف وما تزول قدما عبد يوم القيامة الا بعد أن يسأل عن أمور تشيب لهولها الاطفال .

اننا لم نخلق لنحمل على رقاب الناس يا عمه إن اليوم الذى يجمع له الناس ليوم مخيف يا عمه » .. غفر الله لأبى ولجدى كيف من السحت أو الظلم نميا لحمى وعظمى ..

« وأنت أيضا يا فاطمة ؟ أنت تقولين بما يقول به ، لا بدع ما دام ابنك عبد الملك بن عمر هو الآخر يقول بقول أبيه هاها ! ... ها هو أقبل !



الايمان المادى

تحت هذا العنوان يقول الاستاذ محمدسيد أحمد المسير :

الايمان — فى نطاق الحق الآلهى . تحقيق للفضيلة والكرامة فى مجتمع البشر ، وتخليص لأفراده من رق العبودية الوضيعة ، وازكاء لمثل رفيعة تحفظ لهم قرائحهم الانسانية ووجودهم الروحى مما يؤهلهم للسير فى هذه الحياة على هدى وبصيرة بطيب العمل وقويم السلوك عمارة للأرض وزادا للسماء ..

ويبدو ان المسلمين فى وقتنا الحاضر قلبوا معايير الايمان وتعلقوا بأشكاله ونأوا عن جوهره واصالته وأضع أمام القارى صورة تبدو للنظرة الأولى بسيطة سهلة ولكن لها دلالتها ومغزاها .. فذات مرة جلست بجوارى فى « التاكسى » فتاة ، وحين تحرك بدأت تتلو آيات من الذكر الحكيم .. وكلما حدث شىء فى الطريق استعاذت بالله من وعثاء السفر وكآبة المنقلب .. والى هنا تبدو الصورة عادية فاذا علمت ان هذه الفتاة ترتدى احدى (صيحات) الموضه .. بدأ العجب .

لماذا ؟ لانها لو كانت تتلو الآيات تعبدا وتدعو الله تضرعا لاستحيت ان تناجيه وهى متلبسة بالمحرم لكنه الايمان المادى — ان صح التعبير — ايمان للشفاء من مرض أو للفوز بالنجاح أو للوصول الى منصب أو للتحرز من خطر .. ومن هنا ظهرت فى دنيا المسلمين التمائم واحتفظ كل منهم معه بآية الكرسى أو سورة ((يس)) وهم أبعد الناس عن الله وانآهم عن القرآن وأجهلهم بأحكامه لقد سرت المادية الى كل شىء حتى الايمان لا يلتجأ اليه الا لكسب مادى .. !!

ومن المضحك أو المؤسف على حد سواء أن الأمر لم يقف عند حد طلب الكسب الطيب بل أصبح من المألوف على ألسنة الراقصات وذوى الفن الماجن أن نسمع منهم هذه الكلمات : الحمد الله أنا أديت رقصتى بنجاح والحمد الله كان اعجاب الجمهور بدورى فى الفيلم شديدا ، وان شاء الله أتمنى أن أقوم بدورى فى المسرحية على خير وجه ، وربنا يوفقنا دائما لأن نقدم للجمهور كل جديد فى الرقص والفن والغناء ..

ياللجهل .. !! أيستعان بالله فى معصية الله ؟ !!

علينا أن نطهر ايماننا من دنس المادة ورجسها ونخلص لله تديننا . وفى الحديث الصحيح (من شغله القرآن عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين) . ولنتذكر قول

المصطفى عليه الصلاة والسلام « ان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه الى السماء يارب ومطعمه حرام وملبسه حرام ومشربه حرام وقد غذى بالحرام فأنى يستجاب له ؟)) .

هذا وعلينا أن لا نتشاءم فلهـذه القصة دلالة قوية على جانب كبير من الأهمية فهى من أقرب وأعمق آيات افحام ذوى الالحاد فالفطرة الانسانية فى حال نقائها وبعدها عن غوائـل السوء تلجأ الى الذى فطرها كما قال جل شأنه ((قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون)) .

فعجيب أمر هذا الانسان ... !!

اذا أظلم عليه السبيل أو هاله ليل أو جاءته ريح عاصف أو هاجه موج ثائر ـــ رجـــع الى صـــوت الفطرة وتضرع الى الله وحده بذله وانكسار رجاء كشف الكروب وازالة الشدائد فتتداركه يد الرحمة الشاملة وتعمـه بآلائها وتسبغ عليه من النعم ظاهرها وباطنها .. لكنه هو الانسان الظلوم الجهول .. !!

ما ان يستشعر بسطة جسم أو فضل نعمة حتى يقول ((لقد أوتيته على علم عندى)) ..

ويعلم اللـــه أنى التقيت كثيرا مـــع هؤلاء وفى احدى المـــرات ناقشنى أحدهم طويلا وبدا لى انه من أئمة الكفر ، ليس عن بينة طبعا فالالحاد لا يقوم على حجة وانما ينشأ عن هوى طائش وشهوة جامحة وخبث دفين .. وقد يكون عن ارتجال وانسياق ومع هذا فأشهد الله انى سمعته وهـــو نائم يقول بعالى صوته .. يارب .. يارب مما جعلنى أوقظه وأنقذه من الصراع النفسى الدائر داخل خبايـــا ضميره والذى يتظاهر باخفائه ..

وليطمئن القارى فقد رأيت صاحبى هذا بعد ذلك وهو قائم يصـــلى فى بيت من بيوت اللـــه .. ان الـــدين صوت العقل وهتاف الضمير ونداء المثل « فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون)) .

صدق الله العظيم

اقـــرء فى العـــدد القـــادم:

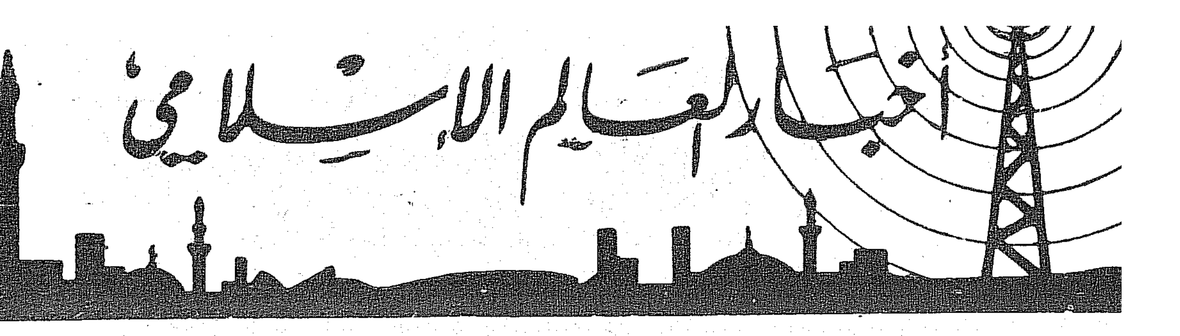
الاسراء في مجال الدعوة . في ذكرى الاسراء والمعـــراج

. الاسراء والمعـــراج . آية الاسراء والمعراج . القـــرآن والعلم .

من وحي الاسراء والمعراج . يوم من أيـــام الاســـراء .

لماذا عـــدوان الصهيـــونية . قضية الشيوع الأدبي .

صور من بطولات أهـــل فلسطـــين .



اعداد : ع.ب

الكويت : قام حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم بزيارة رسمية لسوريا تلبية لدعوة من السيد رئيس الجمهورية ، ثم توجه حفظه الله الى لبنان لقضاء فترة من الراحة والاستجمام .

● استقبل معالى وزير الخارجية ووزير الاعلام بالوكالة وفد اتحاد الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدة وقد أكد معاليه للوفد مساندته للاتحاد ودعمه لنشاطاته .

● تلقى معالى الاستاذ راشد الفرحان وزير الاوقاف والشئون الاسلامية دعوة لزيارة المسلمين فى الاتحاد السوفياتى من الشيخ ضياء الدين باباخان زعيم المسلمين فى الاتحاد السوفياتى ، وقد لبى معاليه الدعوة وسيرافقه الأستاذ عبد الله العيسى المستشار ، والأستاذ أنور الرفاعى مدير الشئون المالية بالوزارة .ه كما تلقى معاليه مذكرة من السيد روحى الخطيب أمين مدينة القدس توضح الخطر المتمثل فى ظهور المنظمة الصهيونية ((أمناء جبل البيت)) على البيت الحرام فى القدس .

● أعلنت الوزارة عن افتتاح دار القرآن الكريم تقبل المتقدمين من الآن لحفظ القرآن الكريم .

● أعلنت نتائج الامتحان النهائى لمعهد الامامة والخطابة وبلغ عدد الناجحين ٣٢ طالبا .

● رفعت الوزارة مذكرة الى مجلس الوزراء بشأن تكييف جميع مساجد الكويت .

● تولى وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية عناية خاصة بشراء الكتب الاسلامية باللغات الاندونيسية والأوروبية والفيليبينية واليابانية والصينية وغيرها كوسيلة من وسائل الوزارة للعناية بالدعوة الاسلامية فى جنوب شرق آسيا .

● شددت وزارة الاعلام الرقابة على جميع المطبوعات الاجنبية ، ومصادرة الكتب المنافية للأخلاق .

● تم افتتاح ٩ مساجد جديدة فى ٩ مناطق مختلفة خلال الشهر الماضى من بينها مسجد مدينة الحجاج .

القاهرة : انتهت الدراسات الاعدادية الخاصة بانشاء بنك اسلامى عالمى ، وسيعرض المشروع على مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية القادم . صرح بذلك الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين .

● وجّه شيخ الجامع الأزهر نداء الى لجنة (وضع الدستور الدائم) ناشدها العمل على اقتباس الدستور من كتاب الله وشريعة الاسلام.

● أقيمت صلاة الغائب فى مساجد مصر ترحمًا على أرواح المسلمين الضحايا فى مذابح الفيليبين وقد بعث شيخ الأزهر نداء الى الرئيس الفيليبينى دعاه الى وقف المذابح وحقن الدم الاسلامى .

● قام الرئيس داوود ياورا رئيس جمهورية جامبيا بزيارة الامام الأكبر شيخ الجامع الأزهر وقد تعرض الحديث بينهما لمساعدات الأزهر الثقافية لمسلمى جامبيا .

● قام وفد رسمى يمثل فيه الأزهر بزيارة الجزائر وليبيا حيث عقد اتفاقيات مع البلدين لتزويدهما بالخبرات فى مجال التعليم والثقافة .

السعودية : وجّه جلالة الملك فيصل بيانا الى الشعب العربى فى مصر حمد الله فيه على موقف هذا الشعب من العروبة واستمساكه بالاسلام ودعا الى التأييد العملى من العرب والمسلمين لمصر .

● أكد البيان المشترك الذى صدر عقب زيارة الملك فيصل لمصر تمسك البلدين مصر والسعودية بحقوق شعب فلسطين والعمل مشتركين على درء الخطر الصهيونى .

● تلقى جلالة الملك فيصل تقارير من الهيئات الاسلامية عن أحوال المسلمين وأوضاعهم فى جنوب شرق آسيا أثناء زيارته للصين واليابان .

الأردن : تقوم اسرائيل بتنفيذ مخطط جديد لها بتعويض أهالى مدينة القدس العربية عن ممتلكاتهم التى صادرتها السلطات الاسرائيلية .

● رفضت اسرائيل التعاون مع لجنة حقوق الانسان التابعة للامم المتحدة ومنعتها من اجراء أبحاثها حول أوضاع العرب فى الأرض المحتلة .

● تجرى مباحثات جادة مع العواصم العربية لمنع تهويد القدس والقيام بتحرك عالمى واسع النطاق لهذا الغرض .

العراق : أرسل فخامة رئيس الجمهورية رسالة الى حضرة صاحب السمو أمير الكويت المعظم ، كما بعث سيادته رسائل مماثلة الى ثلاث عشرة دولة عربية تتضمن وجهة نظر العراق فى الوضع العربى الراهن .

سوريا : استقبل حضرة صاحب السمو أمير الكويت المعظم بحفاوة بالغة من الحكومة والشعب وقد تفقد سموه معالم النهضة فى البلاد اثناء زيارته الميمونة .

لبنان : عقدت فى الشهر الماضى اجتماعات الدورة الخامسة للتخطيط التربوى لأبناء فلسطين وقد تناولت خطة الخدمات التعليمية فى الأراضى المحتلة وفى المؤسسات العربية كما تناولت بحث المعونة لمن لا مورد له من لدن جامعة الدول العربية .

ليبيا : تقوم بعثة اسلامية من ليبيا بجولة فى بعض دول افريقيا وهى تحمل رسائل من الرئيس القذافى الى رؤساء تلك الدول تتعلق بالشئون الاسلامية .

المغرب : اجتمع جلالة الملك الحسن بالأمير تنكو عبد الرحمن أمين عام الأمانة الاسلامية وقال الملك انه مقتنع بأن مؤتمر المراكز الاسلامية الذى عقد فى الرباط سيعمل على توطيد الروابط الاسلامية .

● أقيمت فى الشهر الماضى مسابقة كبرى فى حفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وقد وزعت الجوائز على الفائزين .

أرتيريا : تمكن رجال حركة التحرير الأرتيرية من اسقاط طائرة أمريكية كانت تقصف قرى المسلمين الأرتيريين وقتلوا قائد الطائرة .

باكستان : تتوالى عودة اللاجئين الى باكستان الشرقية بعد هدوء الأوضاع وانتهاء الفتنة الداخلية .

الفيليبين : راح أكثر من ١٢٠ مسلما ضحية مذابح طائفية قام بها بعض المسيحيين فى الفيليبين بعد أن اقتيد كثير من هؤلاء الضحايا الى المساجد والمدارس وتم قتلهم ، والوعى الاسلامى تأسف لهذا التعصب الهمجى وتناشد العالم الاسلامى والضمير العالمى الضغط على حكومة الفيليبين لايقاف هذه المذابح .

أفغانستان : سيعقد مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية دورة جديدة له فى مدينة كابل (العاصمة) وسيبحث المؤتمر انشاء المراكز الاسلامية وتوحيد وكالات الانباء الاسلامية .

أعود فاقول ان مجرد وجود أبواب الفتن لا يقتضى الاساءة اطلاقا ، والا نهى كذلك فى آيات الصفات وأحاديثها الصحاح .

٢ ـ تساءل الاستاذ الغزالى عما يفعله المسلم المسكين ! وهو يقرأ حديث أنس بن مالك الذى رواه البخارى عن الزبير بن عدى قال : شكونا الى أنس ما نلقى من ((الحجاج)) فقال ((اصبروا ، فانه لا يأتى عليكم زمان الا الـذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم ، سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم ، ونفى الشيخ أن يراد بهذا ((أن أمر المسلمين فى ادبار وأن بناء الامة كلها الى انهيار ، ولا خلاف مع فضيلته فى هذا ، أما أن يستشهد الاستاذ فى نفى هذا الظـاهر بأحداث وقعت فى عصر بنى أمية جاء فيها الأتقى (الملتزم) بعد (غير الملتزم) فهو استشهاد يلزم أن يكون مدار حديث أنس هذا الظاهر فقط لا غيره ، واستميح الشيخ لطفا أن أقول ان حديث أنس لا يحمل هذا ((المضمون)) ليعتمد فى نفيه على هذا ، ذلك لأن الاستشهاد بالنص على كيفية ما ، لا تعنى النص ذاته أن الذى يفسر حديث أنس قول الشعبى قال عبد الله : ليس من عام الا والذى بعده شر منه لا أقول أمير خير من أمير ولا عام أخصب من عام ، ولكنه ذهاب خياركم وعلمائكم ، ويحدث قوم يقيسون الأمور برأيهم فينهدم الاسلام وينثلم ، يعزز هذا التفسير الكثير من أقوال السلف ، ومشاهدة واقع الخلف خير دليل على صحة هذا ، فانكماش الاسلام أمام جحافل البدع والآراء والأهوال فى رحاب عالم اسلامى ، ملىء بمذاهب ونحل داخل (الاسلام) نفسه ، وكأنهم ليسوا ممن يقرأون قول الله تعالى ((واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)) ((ان الذين فرقـوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء)) الى غير ذلك من مفارقات موزعة بين المشاهد والقبور فى كل العالم الاسلامى ، حاشا الحجاز ، فانتشار الاسلام اذن ودخوله كل بيت لا يرد بمحال غربة الدين الخالص البعيد عن ((الشرك)) بأنواعه والأمر أعنى أمر غربة هذا الدين الخالص ، تزداد ما دام الشر ينتشر بجناحى ((الحرية)) والحق مكبلا بقيود القوانين الجائرة ، روى أبو الدرداء قال لو خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عرف شيئا مما كان عليه هو وأصحابه الا الصلاة قال الأوزاعى : فكيف لو كان اليوم (وأقول) فكيف لو جاء اليوم ! ولن تشفع بحال من الأحوال فى ازالة (الغربة) غربة الدين كما أراده اللـه ورسوله تلك الاحصائية الحافلـة برقم ثمانمائة مليون فكثرة الغثاء لا تسمن ولا تغنى من جوع ... وذهاب الأخيار الأول ، فالأول حق لا مرية فيه ، ومدار قيام الساعة يأذن به رقاص الايام المسافر الى الأمام قدما اليها على أن هـذا لا يغرى بالقاء عصا الترحال فى عماية وضع اليد على الذقن ، فالجهاد ماض الى يـوم القيامة ، وعصبة لا تزال على الحق الى أن يأتى أمر الله تعالى .

هذا ما أردت أن أبادل به فضيلة الشيخ الرأى فان يكن صوابا فمن الله تعالى وان يكن غير ذلك فمن نفسى والشيطان ، واستغفر الله أن أقول شططا،ولا يفوتنى أن أشكر للشيخ غيرته وانتصاره للعمل والدعوة الى الله لا سيما ونحن نعيش مجتمعات نفخ فيها الشيطان الرجيم ، وأعطيت فيها حرية العمـــل اللامسئول لألف سامرى أو يزيدون فانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله ولفضيلته شقيق الروح السلام والاحترام .

يهود الحجاز اسرائيليون يقينـــا

جاءنا من الأستاذ محمد عزة دروزة التعقيب الآتى : ـــ

تعليقا على جواب الوعى الاسلامى على (سائل) المنشـــور فى العدد ٧٤ شهر صفر ١٣٩١ هـ نقول أن القرآن قد خاطب يهود الحجاز بصفة بنى اسرائيل فى كثير من الآيات بحيث يكون أى بحث وتخمين فى صور جنسيتهم لا محل له ، وبحيث يكون أى شك وتخمين بأنهم غير اسرائيليين أو عرب متهودون متهافت لا معنى له .

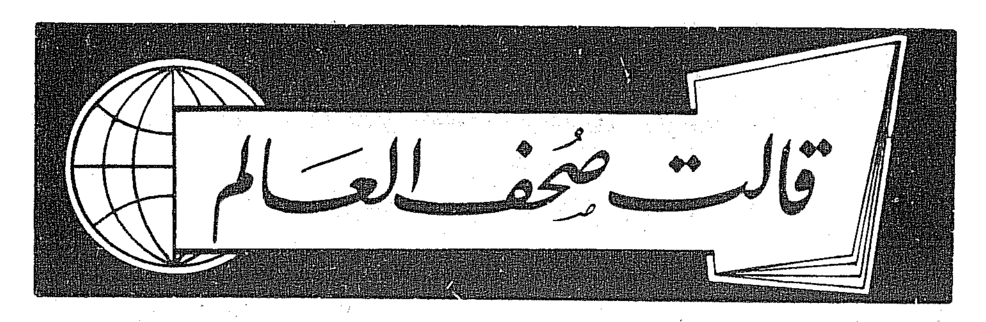
ومع أنهم كانوا أتوا الى الحجاز من أمد غير قصير واندمجوا فى المجتمع العربى ، وتعلموا العربية فقد ظلوا يعيشون حياتهم الخاصة من جهة ، ويحتفظون بلغتهم العبرانية من جهة أخرى على ما تفيده آثار عديدة منها حـــديث رواه الترمذى عن زيد بن ثابت جاء فيه (أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتعلم له كتاب يهود ، قال انى والله ما آمن يهود على كتاب ، قال فما مر بى نصف شهر حتى تعلمته له ، قال فلما تعلمته كان اذا كتب الى يهود كتبت لهم ، واذا كتبوا اليه قرأت له كتابهم ، وقد جاء فى الجزء الثالث من طبقات ابن سعد (أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث بجماعة من المسلمين لاغتيال زعيم يهودى فى خيبر اسمه أبو رافع لتحريضه قبائل غطفان ومن حولها من المشركين على حرب رسول الله ، وقد جعل على رأسهم عبد الله بن عتيك لأنه كان يرطن باليهودية فيسر لهم ذلك دخول خيبر والوصول الى الزعيم وقتله ... وقد روى البخـــارى ومسلم عن ابن عمر قال : ـــ

(اتى بيهودى ويهودية قد زنيا الى النبى صلى الله عليه وسلم فانطلق الى يهود فقال ما تجدون فى التوراة على من زنى قالوا نسود وجوههما ونحملهما ونخالف بين وجوههما ويطاف بهما ، قال فأتوا بالتوراة ان كنتم صادقين فأتوا بها فقرأوها حتى اذا جاءت آية الرجم سترها الذى يقرأ بيده وقرأ ما قبلهـــا وما بعدها فقال عبد الله بن سلام وهو مع النبى مره فليرفع يده فرفعها فاذا تحتها آية الرجم فأمر بهما رسول الله فرجما ، وهذا يفيد أن التوراة كانت بالعبرانية فلم يلحظ مكر القارىء اليهودى الا عبد الله بن سلام الذى كان قد أسلم .

المحـــــرر

مع تقديرنا للكاتب الاسلامى الكبير الاستاذ دروزة واقتناعنا بغزارة علمه وسعة اطلاعه نقـــول :

* اننا انتهينا فى بحثنا عن جنس يهود الحجاز ـــ الذى علق عليه ـــ بأنهم اسرائيليون فقلنا ((ومن هنا نتوصل الى القناعة بأن القبائل اليهودية الثلاث التى سكنت المدينةـــ بنى النضير ، وبنى قريظة ، وبنى قينقاع ـــ هى قبائل من جنس اسرائيلى)) وهذا هو ما ارتآه الكاتب الكبير فى تعقيبه ..



مأساة المسلمين فى الفلبين

نشرت صحيفة الاهرام القاهرية تحت هذا العنوان تقـــول :

المسلمون فى جنوب الفلبين يعيشون كمواطنين من الدرجة الثانية . نصيبهم من التعليم أقل مـــن القليل . فصل دراسى واحد لكل عشرة آلاف مواطن ، بينما فى بقية الجزر فصل دراسى لكل ٣٠٠ فرص العمل أمامهم ضيقة ومحدودة . الذين يسمح لهم بالتوظيف لا يتجاوزر عددهم ٥٠٠ شخص قراهم فقيرة وتعسة لا مشروعات ولا مرافق ولا خدمات .

مسلمو الفلبين ليسوا ضحايا التعصب فقط ، ولكنهم ضحايا زعمائهم أيضا .. هذه حقيقة عشتها فى الفلبين فى جزيرة مندانا والتى شهدت المذابح والتى تعد أحد المراكز الرئيسية لتجمع المسلمين الذين يرصدون كل حركة تحدث فى العالم العربى بينما لا يراهم أحد من على البعد بل لا يكاد احدنا يعرف أين موقعهم على خريطة العالم .

أقليـــة فى بـــلادهم :

هم أقلية لا يتجاوز عددهم ثلاثة ملايين ونصف مليون مسلم موزعون على جزيرتى مندانا وسولو فى الجنوب وثمة أقليات أخرى فى الفلبين (٢٥ مليون نسمة) هم البوذيون والهندوس والوثنيون الذين يعيشون فى أقصى الشرق ويأكلون الكلاب ويعبدونها بينما أغلبية السكان من الكاثوليك .

هذه الصورة كانت مختلفة تماما منذ قرون قليلة مضت .

كانت هناك أغلبية مسلمة ساحقة وكانت جزر الفلبين مجموعة من السلطنات وعندما غزاالأسبان الفلبين فى القرن السادس عشر كان يحكم مانيلا ـ العاصمة الآن ـ السلطان راجا سليمان (دخـــل الاسلام جزر الفلبين على أيدى تجار الجزيرة العربية وحضرموت والملايو فى القرن الثالث عشر عندما كانوا يقومون برحلاتهم الشهيرة الى الصين) .

وطوال اربعة قرون خاض مسلمو الفلبين حربا ضارية ضد الأسبان دفاعا عن الارض وعن العقيدة وخلال هذه الفترة (من القرن السادس عشر الى التاسع عشر) سقطت الجزر المسلمة واحدة تلو الأخرى فى أيدى الأسبان وارغم أهلها على ترك دينهم حتى الذين بقوا على اسلامهم غيروا اسماءهم العربية الى أسبانية خشية البطش والارهاب وأصبح (مامندال) هو البديل عن أسم (محمد) وعباس هو (أباسو) وجعفر هو (كازانو) وهذه الاسماء الجديدة ما زالت منتشرة بين المسلمين الآن .

فى النهاية تركز المسلمون فى جزر الجنوب التى لم يستطع الأسبان اقتحامها بسبب تطرفها وبعدها عن العاصمة (ألف كيلو متر تقريبا بين جزيرة مندانا ومانيلا) وبسبب ظروفها الطبيعية التى ميزتها بالأحراش الكثيفة والجبال العالية . وقد استفاد المسلمون من هذه الظروف فى صد محاولات الغزو ، ونجحوا فى الاحتفاظ بكيانهم فى تلك المناطق .

لكن مسلمى الفلبين أصبحوا أقلية بعد القرون الأربعة التى عاشتها بلادهم تحت الحكم الأسبانى . وفى أوائل القرن العشرين أصبحت الفلبين تحت الاحتلال الامريكى الذى نجح فى السيطرة على المناطق الجنوبية المسلمة ثم منحت الفلبين استقلالها فى عام ١٩٤٦ .

ومنذ عام ١٩٤٨ بدأت المناطق المسلمة تتعرض لاقتحام من نوع جديد ..

والمسلمون هناك لا ينسون أن الارض العربية فى فلسطين قد اغتصبت فى ذلك العام ويعدون أوجه شبه كثيرة بين ما يتعرضون له وبين ما جرى فى فلسطين .

بدأت عملية تهجير سافرة ومنظمة من شمال الفلبين الى جنوبه فى عام ٤٨ وكان هدف العملية هو النفاذ الى ذلك المجتمع الذى ظل طوال قرون عديدة مغلقا على المسلمين وبالفعل أقيمت معسكرات عمل تستقبل العائلات الكاثوليكية المهجرة من الشمال .

ولم تجد هذه العائلات صعوبة فى الاستقرار وسط مجموعة المسلمين فالارض شاسعة وغنية والمسلمون فقراء وسذج وحسنو النية دائما هم أيضا جهلاء لا يعرفون أساليب التحايل فضلا عن نصوص القانون واحكامه .

وبسبب هذا الجهل فقد المسلمون أرضهم بما عليها من ثروة . كان القادمون من الشمال يسجلون الارض باسمائهم بعد قليل من استقرارهم فيها بينما لم يكن هناك من بين المسلمين من يكترث أو يفطن الى ضرورة احتفاظه بسند يثبت ملكيته للارض .

وبعد التسجيل كان المهجرون من الشمال يسعون الى انتزاع الارض من أصحابها المسلمين وعندما يصل الأمر الى القضاء يحكم لصالح من لديه الدليل لاثبات الملكية .. المهاجر طبعا .

وهكذا عاما بعد عام فقد المسلمون فى الجنوب الأف الهكتارات من الاراضى الزراعية بل وطردوهم منها وظلت جموعهم تنحسر وتتقهقر حتى رأينا بعضهم يعيش فى اكواخ على شاطىء المحيط — مياه البحر وراء ظهورهم مباشرة — فى مدينة زامبوانجا فى غرب جزيرة مندناو .

ويقدر البعض أن متوسط عدد الأسر التى تهجر كل عام الآن من الشمال الى الجنوب يصل الى ٥٠٠ أسرة .

الترغيب بالتبشير :

مع عمليات التهجير والتوطين هذه كانت هناك محاولات اقتحام أخرى لمجتمع المسلمين فى الجنوب استخدم فيها أسلوب الترغيب والترهيب .

مضت بعثات التبشير الغنية والنشطة فى طريق الترغيب أقامت المستشفيات والمدارس والجمعيات الدينيه وكل صور الخدمات الممكنة وشدت المسلمين الفقراء الى هذه المواقع حيث وجدوا فيها التعليم والرعاية الطبية والغذاء والكساء بل والمال احيانا .

ولا ينكر أحد أن هذه البعثات قد حققت قدرا من النجاح دفع الكثيرين الى ترك دينهم بعدما لم يبق من تعاليمه لديهم غير القليل المشوه بسبب عزلة المسلمين فى هذه المناطق طوال سبعة قرون وبسبب اختلاط تعاليم الاسلام بآثار من الهندوكية والبوذية اللتين كانتا فى جزر الفلبين قبل الاسلام .

وبنصوص القانون كان الترهيب ...

فمن طريق هذه النصوص لم يعد هناك وجود تقريبا للعديد من الشعائر الاسلامية . فالزواج الشرعى مثلا غير معترف به ولا بد أن يكون هناك عقد مدنى حتى يصبح الزواج قانونيا وتترتب عليه أثاره الطبيعية فى النسب والأرث .

وهكذا أجبر المسلمون على التخلى عن أراضيهم ودفعوا الى ترك دينهم وكان طبيعيا بعد ذلك أن تتناقص أعدادهم ويهتز كيانهم الذى دافعوا عنه طويلا أمام الغزو الأسبانى .

لم يعد المسلمون أقلية فى الفلبين كدولة فقط بل أيضا أصبحوا أقلية فى مدن الجنوب ذاتها التى ظلت طوال القرون الماضية محتفظة بطابعها المسلم .

كان كل سكان جزيرة مندناو من المسلمين فأصبحت نسبتهم الآن لا تتجاوز ٥٠٪ من السكان .

وفى مدينة زامبوانجا كانت نسبة المسلمين ١٠٠٪ وظلت هذه النسبة تتدهور حتى وصلت الى ٣٠٪ فقط لم يبق غير كوتاباتو أحدى مناطق مقاطعة مندناو التى ما زالت تحتفظ بأغلبية مسلمة وكانت كوتاباتو هذه مسرح المذبحة التى جرت فى الاسبوع الماضى وقتل فيها ٧٠ رجلا وطفلا من المسلمين .

« الى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأم عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار — ٧ شارع الصحافة .

جـدة : **مكتبة مكة** — السيد عوض با عامر — ص. ب : ٤٤٧ .

الرياض : مكتبة مكة — شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة — ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة — ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء — السيد محمد زين العابدين .

عـدن : وكالة الأهرام التجارية — السيد محمد قائد محمد .

المكلا : مكتبة الشعب — ص.ب ٢٨ .

مسقط : المكتبة الحديثة — السيد يوسف فاضل .

صنعاء : مكتبة المنار الاسلامية — السيد عاصم ثابت .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات — ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع — ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية — ص.ب ٦٧ .

عمان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات — ص. ب : ٨١ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى — ص.ب ١٣٢ .

بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية — ص.ب ٢٨٠ .

تونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — كورنيش المزرعة .

دبى : مكتبة ومطبعة دبى — السيد خليفة النابوذا .

أبو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — ص. ب : ٨٥٧ .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — ص.ب ١٧١٩ .

قطر : مكتبة الثقافة — السيد سالم الانصارى — الدوحة .

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد